بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية
برنامج ماجستير التربية في الإسلام

الرفق

وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع

إعداد الطالب
محمد حسني محمد موسى

إشراف
الدكتور : محمد عبد الرحمن الطوالبة مشرفا شرعياً
الدكتور : قاسم محمد سمّور مشرفا تربوياً

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية
برنامج ماجستير التربية في الإسلام

الرفق

وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في جامعة اليرموك برنامج التربية في الإسلام

إعداد الطالب

محمد حسني محمد موسى

إشراف

الدكتور : محمد عبد الرحمن الطوالبة مشرفا شرعيا

الدكتور : قاسم محمد سمّور مشرفا تربويا

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الرفق

وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع

إعداد الطالب

محمد حسني محمد موسى

بكالوريوس شريعة ـ قسم أصول الدين في جامعة اليرموك عام ١٩٩٨م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في برنامج التربية في الإسلام كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة اليرموك

لجنة المناقشة

الدكتور محمد عبد الرحمن الطوالبة	مشرفاً شرعياً
الدكتور قاسم محمد سمّور	مشرفاً تربوياً
الدكتور عبد الرزاق موسى أبو البصل	عضو لجنة إشراف
الدكتور محمد فخري مقدادي	عضواً
الدكتور محمد أمين بني عامر	عضواً

١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

****

إلى من أخجلتني بعظيم عطائها ... والدتي

إلى من أشعل في نفسي روح المبادرة ... والدي

إلى شقيقة الروح وبلسم الجروح ... شقيقتي

إلى رمز الأمل وفجر المستقبل ... أحمد

أهدي هذه الدراسة

شكر وتقدير

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى صلى الله عليه وسلم

أما بعد :

فإن أهل الفضل والعطاء أهلٌ للشكر والثناء ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، ولذلك فإنني أقف أمام كل من قدم لي عوناً ، وكلي شكر ووفاء وتقدير وثناء راجياً من المولى عز وجل أن يثيبهم خيراً على ما قدموا . وأخص بالذكر منهم :

- أساتذتي الأفاضل الذين تكرموا بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، وهم الدكتور محمد الطوالبة ، والدكتور قاسم سمور ، والدكتور عبد الرزاق أبو البصل .
- الدكتور الفاضل محمد مقدادي ، والدكتور محمد أمين بني عامر ، اللذين تفضلا بقبول المناقشة .
- الأستاذ الدكتور عبد الناصر أبو البصل عميد كلية الشريعة ، والأستاذ الدكتور محمد عقلة رئيس قسم الدراسات الإسلامية ، والأستاذ الدكتور سامي عبد الحافظ عميد الدراسات العليا ، وكافة المدرسين والإداريين والعاملين في جامعة اليرموك الحبيبة .
- فريق الطباعة والتنسيق والتصوير : نجوى وروان ، وثائر وعلاء ، وخالد وأبو حمزة .
- الأخوة الأحبة فايز أبو ثائر ، ورياض أبو أحمد ، ومالك أبو أنس ، ومحمد أبو النور ، وشادي أبو عثمان ، وأحمد أبو أويس .
- ولا يفوتني بعد ذلك تقديم الشكر لصاحبات الدعوات الصادقة أم أحمد ، وأم رامي ، وأم مالك ، وأم خلدون ، ولكل من دعا لي بظهر الغيب .

فجزاهم الله جميعاً عني كل خير وبارك الله فيهم وفي إيمانهم .

قائمة المحتويات

الفصل الثاني

مظاهر الرفق في الإسلام

الفصل الثالث

المجالات التطبيقية لرفق الفرد والمجتمع

الفصل الرابع

دور المؤسسات التعليمية في تنشئة الأفراد على الرفق

الفهارس

ملخص الدراسة

الـرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع

إعداد الطالب

محمد حسني محمد موسى

إشراف

الدكتور : محمد عبد الرحمن الطوالبة   مشرفا شرعيا

الدكتور : قاسـم محـمـد سـمور   مشرفا تربويا

صح في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف الله عز وجل بالرفيق، والإخبار أنه يحب الرفق ويرضى به ويعين عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ويرضى به ويعين عليه ما لا يعين على العنف)[1] كما ثبت أن الرفق كان صفة له ولرسالته صلى الله عليه وسلم ،قال تعالى ((وما أرسلنك إلا رحمة للعالمين))[2] وأنه أمر بامتثاله سلوكا عمليا على مستوى الفرد والأمة ، فقال مخاطبا عائشة رضي الله عنها: (عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش)[3]وقال مخاطبا أمته : (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[4] ولذلك فقد جاءت هذه الدراسة لبيان المفهوم الصحيح للرفق كما ورد في القرآن والسنة ، ولتعكس آثار هذا الفهم على حياة الفرد والمجتمع ولتوضح دور المؤسسات التربوية في تنشئة الأفراد على هذا السلوك العظيم من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية :

---

[1] رواه مالك في الموطأ ـ كتاب الجامع ـ باب ما يؤمر به من العمل في السفر ـ ح١٧٦٧ ، وأخرج نحوه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب فضل الرفق ـ ح٢٥٩٣.

[2] الأنبياء (١٠٧)

[3] رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا ـ ح ٥٦٨٣

[4] رواه احمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ ح١٢٥٧٩ ، قال شاكر إسناده حسن ح١٢٩٨٦

- **ما الرفق ؟ وما مكانته في الإسلام ؟**
- **ما مظاهر الرفق في الإسلام ؟**
- **كيف ينعكس التصور الصحيح لمفهوم الرفق ومظاهره على واقع الفرد والمجتمع ؟**
- **كيف يمكن للمؤسسات التربوية أن تساهم في التنشئة على سلوك الرفق؟**

وقد استخدم الباحث في دراسته **المنهج الاستقرائي التحليلي** مقسما إياها إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، ومن أهم ما تناولته هذه الفصول :

- ✓ تعريف الباحث للرفق بأنه : كل أصل يدل على اليسر والسهولة واللين والبعد عن العنف ، بما لا يصل حد الاستهانة والضعف.

- ✓ تفصيل أهم مظاهر الرفق في الإسلام المتمثلة باتصاف الخالق عز وجل بالرفق، وإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وتكريم الإنسان بالعقل سبيل الهداية ومناط التكليف ، وفتح أبواب التوبة في الدنيا والمغفرة والشفاعة في الآخرة ، وبناء مقاصد الشريعة على قاعدة الرفق . والإشارة إلى أهم الآثار النفسية والسلوكية والإجتماعية المترتبة على معرفة هذه المظاهر .

- ✓ بيان أهم المجالات التطبيقية التي ينعكس التصور الصحيح لمفهوم الرفق ومظاهره من خلالها ، وأهمها على مستوى الأفراد : الرفق بالنفس والرفق بالحيوان ورفق الراعي بالرعية والداعي في الدعوة،وعلى مستوى المجتمع : الرفق في مجال الأسرة وفي مجال العلاقات الإجتماعية والرفق بالمشركين .

- ✓ الإشارة إلى دور الأسرة في تنشئة الأفراد على سلوك الرفق من خلال القدوة الحسنة ، واستخدام الرفق سلوكا دائما أثناء التربية ، وتعليم الأبناء قواعد الرفق منذ الصغر ، ومعرفة مدى الحاجة إلى عقاب الأبناء .

- ✓ الإشارة إلى دور المدرسة في تنشئة الأفراد على الرفق من خلال التعامل برفق مع الطلاب ، واستخدام وسائل وأساليب تعليمية ترفق بالطلاب ، وتحقيق الرفق في المحتوى الدراسي .

وأخيرا فقد أوصى الباحث في نهاية هذه الدراسة بمجموعة من الأمور أهمها :

- إجراء دراسة ميدانية تطبيقية تقارن بين استخدام المعلم للأسلوب الرفيق والأساليب والوسائل التعليمية الحديثة والمنهاج قليل المحتوى ، وبين استخدام الأساليب التقليدية من المعاملة ووسائل الشرح والمنهاج التقليدي .

- القيام بدراسات تربوية مشابهة يدرس من خلالها الآثار والتطبيقات التربوية لبعض المبادئ والقيم الإسلامية كالتقوى ، والمراقبة ، والوسطية وغيرها .

- إعداد دورات تدريبية للمعلمين ، ودورات تثقيفية للآباء والأمهات ، يُبيِّن من خلالها كيفية الوصول إلى منظومة تصور كامل متناغم من الرفق ونبذ العنف ، مع تفصيل أساليب التربية المتعددة وبيان أن العقاب هو أحد هذه الأساليب وليس أهمها .

- إعادة صياغة المناهج المدرسية والجامعية بصيغ تضمن إيصال الفكرة بصورة سهلة ميسرة ،مع مراعاة أسلمة هذه المناهج واستبعاد الأفكار التي تحدث تضاربا في عقول الطلاب .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وقائدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله المرسل رحمة للعالمين وعلى اله وصحابته أجمعين .

(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)

أما بعد :

فإن الرفق مبدأ عظيمٌ من مبادئ التربية الإسلامية السلوكية ، وهو سبيل لكل خير ، وبه تتجمل الأمور وتزدان ، أحبه الله وأمر به وأعان عليه ، واتصف به عز وجل وجعله صفة لخير خلقه صلى الله عليه وسلم ، فكان عليه السلام رحمة على القريب والبعيد ، عزيز عليه أن يدخل على الناس مشقة ، وكان أحلم الناس وأوسعهم صدرا وأدمثهم خلقا وألطفهم عشرة ، يكظم غيظه ويعفو ويصفح ويغفر لمن زل . فهو صلى الله عليه وسلم ميسر رحيم في رسالته ودعوته وعبادته وصلاته وصومه وطعامه وشرابه ولباسه وحله وترحاله وأخلاقه ، بل إن حياته مبنية على اليسر .

فإذا كان الرفق صفة له ولرسالته صلى الله عليه وسلم ، وجاء الأمر منه به فقال مخاطبا عائشة : (عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ) [1] ومخاطبا لأمته : (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ) [2] ، وجب علينا أن نمتثل الأمر ، وأن يكون الرفق لنا سلوكا عمليا كما كان له صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه رضوان الله عليهم .

[1] رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا - ح ٥٦٨٣ ، وفي كتاب الدعوات - باب قول النبي يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم - ح ٦٠٣٨ .

[2] رواه أحمد في المسند - باقي مسند المكثرين - ح ١٢٥٧٩ ، قال شاكر : إسناده حسن ح١٢٩٨٦.

ولما كانت الدراسات التي عالجت هذا الموضوع من الناحية التربوية قليلة مقتضبة ومبعثرة وجزئية ، أحببت أن يكون [الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع] موضوع دراستي لنيل درجة الماجستير في تخصص التربية في الإسلام قسم الدراسات الإسلامية ، راجيا من المولى الرحيم أن يرحمني ويرفق بي ويعينني في عملي .

وقد عزمت بمشيئة الله عز وجل على تقسيم هذه الدراسة إلى فصل تمهيدي وأربعة فصول أخرى وخاتمة على النحو الآتي :

الفصل التمهيدي ويحتوي على [خلفيات الدراسة] من حيث المشكلة والأهمية والأسئلة ومنهج البحث والإجراءات وتحليل الرموز والمحددات والدراسات السابقة.

الفصل الأول بعنوان [معنى الرفق ومكانته في الإسلام] وفيه مبحثان وأربعة مطالب على النحو الآتي :

المبحث الأول : معنى الرفق :

المطلب الأول : الرفق في اللغة والإصطلاح .

المطلب الثاني : علاقة الرفق بغيره من الألفاظ .

المبحث الثاني : ا لرفق في الإسلام :

المطلب الأول : الرفق كما ورد في القرآن .

المطلب الثاني : الرفق كما ورد في السنة .

الفصل الثاني بعنوان [مظاهر الرفق في الإسلام] وفيه ثلاثة مباحث وتسعة مطالب على النحو الآتي :

المبحث الأول : مظاهر رفق الله :

المطلب الأول : اتصاف الخالق بالرحمة والرفق .

المطلب الثاني : إرسال الرسول رحمة للعالمين .

المطلب الثالث : تكريم الإنسان بالعقل مناط التكليف .

المطلب الرابع : فتح أبواب التوبة في الدنيا ، والمغفرة والشفاعة يوم القيامة.

المبحث الثاني : مظاهر الرفق في التشريع الإسلامي :

المطلب الأول : مقاصد الشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني : أنواع المصلحة المقصودة من التشريع .

المطلب الثالث : قواعد تحقيق المصلحة .

المبحث الثالث :الآثار التربوية المترتبة على معرفة مظاهر الرفق :

المطلب الأول : الآثار النفسية .

المطلب الثاني : الآثار السلوكية .

المطلب الثالث : الآثار الاجتماعية .

الفصل الثالث بعنوان [المجالات التطبيقية لرفق الفرد والمجتمع] وفيه مبحثان وسبعة مطالب على النحو الآتي :

المبحث الأول : المجالات التطبيقية لرفق الأفراد :

المطلب الأول : الرفق بالنفس .

المطلب الثاني : الرفق بالحيوان .

المطلب الثالث : رفق الراعي بالرعية .

المطلب الرابع : رفق الداعية في دعوته .

المبحث الثاني : المجالات التطبيقية لرفق المجتمع :

المطلب الأول : الرفق في مجال الأسرة .

المطلب الثاني : الرفق في مجال العلاقات الإجتماعية .

المطلب الثالث : الرفق بالمشركين .

الفصل الرابع بعنوان [دور المؤسسات التعليمية في تنشئة الأفراد على الرفق] وفيه مبحثان وسبعة مطالب على النحو الآتي :

المبحث الأول : دور الأسرة في تنشئة الأبناء على الرفق :

المطلب الأول : تعليم الأبناء قواعد الرفق منذ الصغر .

المطلب الثاني : استخدام الرفق كسلوك دائم أثناء تربية الأبناء .

المطلب الثالث : القدوة الحسنة في التعامل مع المسنين من الآباء .

المطلب الرابع : معرفة مدى الحاجة إلى العقاب عند الأبوين .

المبحث الثاني : دور المدرسة في تنشئة الطلاب على الرفق :

المطلب الأول : التعامل مع الطلاب برفق .

المطلب الثاني : استخدام وسائل وأساليب تعليمية ترفق بالطلاب .

المطلب الثالث : تحقيق الرفق من خلال المحتوى الدراسي .

الخاتمة وضمنتها أهم النتائج والتوصيات .

الفصـــل التمهيـــدي

خلفيات الدراسة

- مشكلة الدراسة
- أهمية الدراسة
- أسئلة الدراسة
- منهج البحث وإجراءات الدراسة
- محددات الدراسة
- رموز الدراسة
- الدراسات السابقة

الفصل التمهيدي

خلفيات الدراسة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فهذه مجموعة من القضايا يضعها الباحث بين يدي القارئ تمهيداً لموضوع الدراسة :

❖ مشكلة الدراسة :

بات المسلمون دعاة وتربويين في أيامنا هذه بين إفراط وتفريط عند التعامل مع مبدأ الرفق ؛ فبعضهم غيب هذا السلوك ، وأحل محله العنف ، وبعضهم تساهل فيه تساهلاً أدى إلى الضعف، وفي كلا الأمرين ـ الإفراط والتفريط ـ مشكلة وعقبة في طريق الدعوة والتربية ، ولذلك جاءت هذه الدراسة لتبين المفهوم الصحيح للرفق كما ورد في القرآن والسنة، ولتعكس آثار هذا الفهم على حياة الفرد والمجتمع ، ولتوضح أخيراً دور المؤسسات التربوية في تنشئة الأفراد على هذا السلوك العظيم .

❖ أهمية الدراسة :

تنبثق أهمية الدراسة مما يلي :

١ـ سيطرة النظم الوضعية التي غيبت عن كثير من الأذهان القيم و المعاني الروحية السامية كالإخاء والتسامح و الحب واللين والمودة والرفق .

٢ـ قلة أو ندرة الدراسات التربوية المتخصصة في باب الأخلاق .

٣ـ عدم إفراد دراسة تربوية خاصة بموضوع الرفق رغم أهميته في حياة الأفراد والمجتمعات ، فقد قال عليه السلام : (إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلا شَانَهُ)١ وقال : (مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ) ٢ وقال أيضا (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ الرِّفْقَ)٣

٤ـ الزيادة المطردة في مستوى العنف بين أفراد المجتمع .

❖ أسئلة الدراسة :

قامت هذه الدراسة بالإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما الرفق ؟ وما مكانته في الإسلام ؟
- ما مظاهر الرفق في الإسلام ؟
- كيف ينعكس التصور الصحيح لمفهوم الرفق ومظاهره على واقع الفرد والمجتمع ؟
- كيف يمكن للمؤسسات التربوية أن تساهم في التنشئة على سلوك الرفق؟

❖ منهج البحث وإجراءات الدراسة :

قام الباحث باتباع منهج البحث الاستقرائي التحليلي متبعاً الإجراءات التالية :

١. جمع الأيات التي لها علاقة بموضوع البحث .
٢. تتبع الأحاديث المتصلة بالموضوع في الكتب التسعة ٤.
٣. تبويب النصوص المجموعة ضمن عناوين جزئية حسب موضوعاتها .
٤. تحليل النصوص تربويا قدر الإمكان .
٥. بيان الآثار التربوية (النفسية و السلوكية والاجتماعية) لمظاهر الرفق.

---

١ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب فضل الرفق ـ ح٢٥٩٤ .

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب فضل الرفق ـ ح ٢٥٩٢ .

٣ رواه احمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ ح ٢٣٢٩٠ ، ٢٣٢٩١ .

٤ الصحيحان ، وسنن الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجة ، ومسند أحمد ، وموطأ مالك ، وسنن الدارمي .

٦. تحديد أهم المجالات التطبيقية لرفق الأفراد ولرفق المجتمع .

٧. تقديم نماذج لمساهمة المؤسسات التربوية في تنشئة الأفراد على الرفق .

❖ **محددات الدراسة :**

قام الباحث بوضع مجموعة من المحددات للدراسة تتمثل فيما يلي :

١. مجال البحث والاستقراء في الجانب التأصيلي للدراسة سيقتصر على القرآن الكريم والكتب التسعة .

٢. الاكتفاء بقول الترمذي - إن وجد - في حكمه على الحديث ، وبقول الألباني في الحكم على أحاديث السنن الأربعة ، وقول أحمد شاكر في أحاديث المسند [١].

٣. الاقتصار في بحث الآثار التربوية على الآثار النفسية والسلوكية والاجتماعية.

٤. الاكتفاء بذكر المدرسة والأسرة كنماذج للمؤسسات التربوية ؛ باعتبار أن المدرسة نموذجا للمؤسسة النظامية الرسمية ، والأسرة نموذجا للمؤسسة غير النظامية .

❖ **رموز الدراسة :**

استخدم الباحث أثناء دراسته مجموعة من الرموز وهي :

- د•ن : دون ذكر ناشر .
- د•م : دون ذكر مكان نشر .
- د•ت : دون ذكر تاريخ نشر .
- د•ط : دون ذكر طبعة .
- ص : صفحة .
- --/--- : جزء/ صفحة .

---

١ ذكر الباحث ما ثبت ضعفه من الحديث في الجانب التأصيلي من الدراسة لبيان الضعف ، وفي باقي الدراسة أخذا بمنهج العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال .

❖ **الدراسات السابقة :**

بعد البحث والاطلاع لم يجد الباحث أية دراسة تربوية مستقلة أفردت موضوع الرفق بالبحث والتحليل التربوي ، إلا أنه وجد ثلاثة أنواع من الدراسات أشارت إلى موضوع الرفق على النحو الآتي :

النوع الأول : دراسات مستقلة أفردت موضوع الرفق بالبحث .

وجد الباحث دراستين من هذا النوع ؛ الدراسة الأولى دراسة حديثيّة بعنوان : [الأحاديث الواردة في الرفق ودوره في كسب قلوب الناس - جمع وتصنيف وتخريج ودراسة -] [1] قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين ، شعبة الحديث النبوي بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، سنة ١٤١٢ه - ١٩٩٢م ، من إعداد الطالب سليمان صالح الشجراوي ، ركّز الطالب جهده فيها - كما أشار في المقدمة - على :

أ - جمع الأحاديث الواردة في كتب الحديث المتعلقة بهذا الموضوع .

ب - ترتيب الأحاديث من أجل سهولة الوصول إليها .

جـ - بيان درجة هذه الأحاديث .

د - بيان ما ترشد إليه في مجال كسب القلوب .

وبعد الاطلاع على هذه الدراسة وجد الباحث أنها لا تحيط بالجوانب التربوية لموضوع الرفق وذلك للأسباب التالية :

١- اقتصارها على جمع الحديث ، وقصورها عن الآيات القرآنية التي تشير إلى موضوع الرفق .

٢- هدف الدراسة كان حديثياً ولم يكن تربويا .

٣- قلة الإشارات التربوية.

٤- الإشارات التربوية - على قلتها - كانت في المجال النفسي و أغفلت الجانب السلوكي والاجتماعي .

---

[1] الشجراوي - سليمان الصالح - الأحاديث الواردة في الرفق ودوره في كسب القلوب - رسالة ماجستير في أصول الدين شعبة الحديث النبوي - الجامعة الأردنية - عمان - الأردن - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

ولذلك فان هذه الدراسة رغم أهميتها الحديثية إلا أنها لا تفي بالأغراض التربوية، ولكن يمكن الرجوع إليها واعتبارها مرجعا مهما من مراجع البحث .

الدراسة الثانية دراسة دعوية بعنوان [من صفات الداعية : اللين والرفق]١ للأستاذ فضل إلهي ظهير ، وهذه الدراسة عبارة عن كتاب مؤلف من سبعين صفحة ، قسمه مؤلفه إلى ستة مباحث هي [المراد باللين والرفق في الدعوة ، ونصوص تبين ضرورة تحلي الداعية باللين والرفق ، والدعوة بالرفق في سيرة إمام الدعاة - صلى الله عليه وسلم - ، وأقوال العلماء حول ضرورة تحلي الداعية بالرفق ، وأحوال يعدل فيها عن الدعوة بالرفق ، وضرورة مراعاة ما يترتب على الدعوة بالشدة] . وقد وجد الباحث هذا الكتاب متميزا في بابه ، وأفاد منه بشكل كبير في مجال الرفق في الدعوة .

النوع الثاني : أجزاء من كتب أشارت إلى الرفق باعتباره خُلقاً من مجموعة الأخلاق التي حث الإسلام عليها ، فكان الرفق يشكل مجموعة وريقات في كل دراسة من هذه الدراسات تركز الحديث فيها على إيراد بعض الآيات الآمرة بامتثال هذا الخلق ، وبعض الأحاديث الحاثة على الالتزام به ، بالإضافة إلى ذكر بعض القصص والآثار التي لها علاقة بهذا الخلق العظيم .

ومن الكتب التي استطاع الباحث الوقوف عليها :

١- [الأخلاق الإسلامية وأسسها] ٢ لعبد الرحمن الميداني (ص٣٣٧ - ص٣٤٢) بين المؤلف فيها معنى الرفق ومدى اتصاله بالصبر والرحمة ، كما حذر من العنف، وساق سبعة أحاديث حثت على هذا الخلق الرفيع ، ثم أشار بعد ذلك إلى ضرورة رفق الدعاة والمعلمين والولاة والحكام .

---

١ ظهير - فضل إلهي - من صفات الداعية اللين والرفق - إدارة ترجمان الإسلام الباكستان - ط٦ - ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢ الميداني - عبد الرحمن حسن حبنكة - الأخلاق الإسلامية وأسسها - دار العلم - دمشق /بيروت - ط١ - ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م .

٢- [تهذيب الأخلاق]١ لعبد الحي بن فخر الدين الحسيني (ص١٣٧ ـ ص١٦٤)
أشار الكاتب إلى عدة مواضيع تتصل اتصالا مباشرا بالرفق ، مستدلا بالآيات والأحاديث المتعلقة بها ومن تلك الأبواب : الشفقة على خلق الله من الرعية ، الحلم والأناة والرفق ، حسن المعاشرة بالنساء ، ملاطفة الضعفاء والمنكسرين : (اليتامى ،البنات ،الأرامل ،المساكين) ، الرحمة بالبهائم.

٣- [الأخلاق والواجبات]٢ لعبد القادر المغربي (ص١٣٧ ـ ص ١٤٦)
أفرد المؤلف بابا من كتابه للرحمة والشفقة ، بين فيه مظاهر الرفق بالضعفاء من خدم وعمال وأسرى حرب وأطفال وصغار وفقراء ومستضعفين . ثم عقد بابا آخر للرفق بالحيوان.

٤- [الإسلام ومكارم الأخلاق] بقلم عشرة من علماء الإسلام (ص٦٩ ـ ص٧٤)
ورد في الكتاب بحث للأستاذ يوسف الدجوي بعنوان [من أخلاق الإسلام] ٣ أشار فيه إلى بعض مجالات الرفق مدعما كلامه بأدلة من السنة النبوية .

٥- [تهذيب الأخلاق في الإسلام]٤ لعبد المقصود عبد الغني خيشة (ص١٢٢ ـ ص١٢٥) قام الكاتب بتعريف الرحمة وذكر مظاهرها ، ومن ثم أشار إلى الرحمة بالحيوان .

---

١ الحسيني ـ عبد الحي بن فخر الدين ـ تهذيب الأخلاق ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ د٠ط ـ ١٩٨٠م .

٢ المغربي ـ عبد القادر ـ الأخلاق والواجبات ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٣٤٤هـ .

٣ الدجوي ـ يوسف ـ من أخلاق الإسلام في كتاب الإسلام ومكارم الأخلاق بأقلام عشرة من العلماء ـ دار الكتاب العربي ـ د.م ـ د.ط ـ د.ت .

٤ خيشة ـ عبد المقصود عبد الغني ـ تهذيب الأخلاق في الإسلام ـ دار الثقافة العربية ـ د.م ـ د.ط ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩١ .

٦- [فتح الخلاق في مكارم الأخلاق][1] لأحمد سعيد الدجوي (ص١١٣ - ص١١٧)
قام المؤلف بتعريف الرفق أولا ، ثم استدل بمجموعة من الآيات والأحاديث على أهميته كخلق إسلامي نبيل ، ومن ثم ذكر مجموعة من الأقوال والقصص التي تحث عليه .

<u>**النوع الثالث :** مقالات في مجلات أشارت إلى جزئية من جزئيات الرفق</u> ، ومن هذه المقالات :

- المقال الأول بعنوان : [الرفق في العبادة] للأستاذ فكري ياسين ، مكونه من خمس صفحات ، أشار فيها إلى نهي الله عن الإثقال في الطاعات والمغالاة فيها مستدلاً بالآيات والأحاديث على ذلك .[2]

- المقال الثاني بعنوان : [الرفق الرفق] للأستاذ محمد أبو زهرة ، وهو مكون من خمس صفحات أشار فيها الكاتب إلى رفق النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ثم قسم الرفق إلى أربعة أقسام : الرفق في العبادة ، والمعاملة ، والحكم ، والتأديب .[3]

- المقال الثالث بعنوان : [الرفق بالخدم] للأستاذ محمد الأحمدي أبو النور ، مكون من صفحتين ؛ بين فيه أن الرفق بالخدم يكون بمعاملتهم بالحسنى ، كما أشار للحقوق التي كفلها الإسلام للخادم . ثم حلل حديث أنس بن مالك في وصفه لخدمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تحليلاً تربويا جميلا .[4]

---

١ الدجوي - أحمد سعيد - فتح الخلاق في مكارم الأخلاق - مكتبة دار المحبة - دمشق - د.ط - ١٩٩١م .

٢ياسين - فكري - الرفق في العبادة - مجلة الأزهر العدد ١٣٦٧/٧هـ - ص٥٨٥ - ٥٨٩

٣ أبو زهرة - محمد - الرفق الرفق - لواء الإسلام العدد ١٣٧٦/١٠هـ/١٩٥٧م - ص٦٠٤ - ص٦٠٨

٤ أبو النور - محمد الأحمدي - من معين الأسوة الحسنة الرفق بالخدم - الفيصل العدد ١٩٥ / ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م - ص٥٦ ص٥٧

- المقال الرابع بعنوان : [ما خالط الرفق شيئاً إلا زانه] لابتسام الكثيري ، وهو صفحة واحدة وجهت كاتبته فيه مجموعة من النصائح لتعليم الأطفال اللطف الاجتماعي .[1]

وبعد :

فقد جاءت هذه الدراسة [**الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع**] مجمعة لهذه الجهود المتناثرة مضيفة إليها ترتيباً وتنسيقاً جديداً ، ومركزة على الجانب التربوي الذي أغفلته أغلب الدراسات السابقة .

---

١ الكثيري ـ ابتسام ـ ما خالط الرفق شيئاً إلا زانه ـ منار الإسلام العدد ١٤٢١/٦هـ/٢٠٠٠م

الفصل الأول

معنى الرفق ومكانته في الإسلام

المبحث الأول : معنى الرفق

المطلب الأول : الرفق في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني : علاقة الرفق بغيره من الألفاظ

المبحث الثاني : ا لرفق في الإسلام

المطلب الأول : الرفق كما ورد في القرآن

المطلب الثاني : الرفق كما ورد في السنة

الفصل الأول

معنى الرفق ومكانته في الإسلام

تمهيد :

لفظ الرفق ليس غريبا عن مسامعنا أو جديدا علينا ، ولكنه بات كمفهوم ومصطلح ينتابه بعض التشويش ؛ فأصبح الناس بين معمم له ومخصص :
فأما من خصص فقد قصر الرفق على الحيوان ، فأنشأ الجمعيات الخاصة بالرفق بالحيوان والمحافظة عليه والدفاع عنه ، حتى إن الدنيا تقوم وتقعد إذا اعتدي على جرو أو هرة ، وفي المقابل يقتل آلاف البشر ولا يحرك هؤلاء ساكنا ، وأما من عمم فقد أخذ فكرة الرفق وسماها بغير اسمها وطبعها بقالب غير قالبها ، فأطلق عليها اسم حقوق الإنسان أو التعاطف الإنساني أو الأخوة الإنسانية ، لتشمل جميع البشر متجاوزة الحدود العقائدية والجغرافية والعرقية ، فأما من صدق من هؤلاء فقد وجد أن نظرته هذه مثالية بل غير قابلة للتطبيق ، وأما من لم يصدق فقد أدار الفكرة وعممها ليستفيد منها ويستغل المؤمنين بها لغاياته الخاصة .

وقد جاء هذا الفصل من أجل تحديد مفهوم الرفق الذي تعالجه هذه الدراسة ، من خلال بيان أصوله ومظاهره أولا ، ومرادفاته وأضداده ثانيا ، وبيان موقعه في القرآن والسنة ثالثا .

المبحث الأول

معنى الرفق

المطلب الأول | الرفق في اللغة والإصطلاح |

الفرع الأول : الرفق لغة :

ورد في لسان العرب[1] أن الرفق : ضد العنف ، وأنه لين الجانب ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق ، وقد رَفَقَ يَرفُق ، وإذا أمرت قلت رفقا ، ومعناه :ارْفُق رفقاً ، ورَفَقَ بالأمر وله وعليه يرْفُقُ رِفقا و رَفُقَ يَرْفُقُ و رَفِقَ : لطف .

وفي حديث المزارعة (نهانا عن أمر كان بنا رافقا)[2] أي ذا رِفْق و الرِّفْقُ : لين الجانب خلاف العنف ، وفي الحديث (ما كان الرفق في شيء إلا زانه)[3] أي اللطف .. والحديث الآخر (أنت رَفِيقٌ والله الطبيب)[4] أي أنت تَرْفُقُ بالمريض وتُلطِّفُهُ والله الذي يبرئه ويعافيه.

و الرِّفق و المِرْفَقُ و المَرْفِقُ والمَرْفَقُ ما استُعين به وقد تَرَفَّقَ به و ارْتَفَقَ، وفي التنزيل ((وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفقا))[5]. و المِرْفَقُ المُغْتَسَلُ و مَرَافِقُ الدار مصابُّ الماء ونحوها .. والمِرْفَقةُ بالكسر و المِرْفَقُ المُتَّكأ والمِخَدَّةُ ، وقد تَرَفَّقَ عليه و ارْتَفَقَ : تَوَكّأ وقد تَمَرْفَقَ إذا أخذ مِرفقة وبات فلان مُرْتَفِقا أي مُتَّكِئا على مِرْفَق يده ... وقال عز وجل ((نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقا))[6]: مُرْتَفقا أي مُتَّكأ .

---

[1] ابن منظور - جمال الدين - لسان العرب - دار الفكر - بيروت - ط ١ - ١٩٠٠م -١١٨/١٠، انظر الفيروز أبادي - مجد الدين محمد بن يعقوب - القاموس المحيط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ -١٩٨٧م - ١١٤٥/١ .

[2] رواه البخاري في الصحيح - كتاب المزارعة - باب ما كان من أصحاب - النبي صلى الله عليه وسلم - يواسي بعضهم بعضا في الزراعة - ح ٢٢١٤ .

[3] أخرجه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق - ح ٢٥٤٩ بلفظ قريب .

[4] رواه أحمد في المسند - مسند الشاميين - أبي رمثة التيمي - ح ١٦٨٤٣ ، قال شاكر: إسناده صحيح ح ١٧٤٢٢.

[5] الكهف (١٦) .

[6] الكهف (٣١) .

و رافق الرجل : صاحبه . و رفيقك : الذي يرافقك ، وقيل هو الصاحب في السفر خاصة الواحد والجمع في ذلك سواء مثل الصديق قال الله تعالى : ((وحسن أولئك رفيقا))١ وقد يجمع على رفقاء ..

يقال : الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة فهو فعيل بمعنى فاعل..

و الرفيق ضد الأخرق ، و رفيقة الرجل امرأته .. و رفيق المرأة زوجها ..

ومرتع رفق سهل المطلب " ويقال طلبت حاجة فوجدتها رفق البغية إذا كانت سهلة.."٢

و الملاحظ في التعريف اللغوي أن مادة (رفق) فيها دلالة واضحة على السهولة والتيسير .

الفرع الثاني : الرفق في الاصطلاح :

عرف أبو هلال العسكري الرفق بأنه " اليسر في الأمور والسهولة في التوصل إليها "[٣] وقال ابن حجر : "هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل ، وهو ضد العنف"٤. وعرفه المباركفوري بأنه : "المداراة مع الرفقاء ولين الجانب ، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها "٥. واشترك شمس الحق العظيم أبادي٦ والزرقاني٧ معهما في التعريف .

---

١ النساء (٦٩) .

٢الفيروز أبادي ـ القاموس المحيط ١١٤٥/١ ، ابن منظور ـ لسان العرب ١١٩/١٠ .

[٣] العسكري ـ الفروق ـ ص ١٨٠

٤ ابن حجر ـ أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢) ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ـ دار المعرفة ـ بيروت د.ط ـ د.ت ـ ٤٤٩/١٠

٥ المباركفوري ـ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣) ـ تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت ـ ١٣٠/٦

٦ العظيم أبادي ـ محمد شمس الحق أبو الطيب ـ عون المعبود شرح سنن أبي داوود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٣ / ١١٢.

٧الزرقاني ـ محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢) ـ شرح الزرقاني على الموطأ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ٥٠٤/٤

وعرّف الأستاذ الدجوي - وهو من العلماء المحدثين - الرفق بأنه : " التذرع بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات ، لا فرق بين إنسان وحيوان . والعطف على البؤساء والضعفاء ، ومعاملة جميع الناس بالرأفة ولين الجانب ، والابتعاد عن القسوة والغلظة " ١ وعرفه الأستاذ الشجراوي بأنه : " كل أصل يدل على موافقة ومقاربة وملاطفة ولين "٢ وقيد أبو زهرة اللين والتساهل بما لا يصل إلى الاستهانة فقال :" وليس الرفق هو اللين والتساهل الذي يبلغ حد الاستهانة ، إنما الرفق : الاتجاه إلى المقاصد والغايات اتجاها سليما من غير عوج ومن غير غلظة "٣ وأشار الأستاذ فضل إلهي عند تعريفه للرفق في الدعوة إلى أن : "المقصود من اتصاف الداعية بالرفق أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والقسوة والشدة والجفاء ، أو بعبارة أخرى : أن تكون عنده مداراة". ٤

وبرى الباحث من خلال النظر في هذه التعاريف أن الرفق كل أصل يدل على اليسر والسهولة واللين والبعد عن العنف بما لا يصل حد الاستهانة والضعف .

١الدجوي - أحمد سعيد - فتح الخلاق في مكارم الأخلاق - مكتبة دار المحبة - دمشق - د.ط - ١٩٩١م - ص ١١٣ .

٢الشجراوي - الأحاديث الواردة في الرفق - ص ٥ .

٣ أبو زهرة - الرفق الرفق لواء الإسلام - ص ٦٠٤ .

٤ ظهير - من صفات الداعية اللين والرفق - ص٩ .

القرع الأول : الألفاظ المشاركة للرفق فى بعض معانيه :

للرفق ألفاظ تشاركه في بعض معانيه كارحمة والرقة واللين والسماحة وغيرها ، حيث تدور كثير من هذه الألفاظ بين أصل له وبين سبب أو نتيجة ، ويختلف مدى تقاطعها مع الرفق باختلاف السياق والمراد منه . وسيحاول الباحث في هذا المطلب بيان العلاقة بين الرفق وهذه الألفاظ من خلال تقسيمها إلى مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى : ألفاظ يغلب عليها أنها نفسية : كالرحمة والرقة والرأفة . و

المجموعة الثانية : ألفاظ يغلب عليها أنها سلوكية حركية : كاللين واللطف والسماحة .

والمجموعة الثالثة : ألفاظ يغلب عليها أنها سلوكية حركية عارضة : كالعفو والحلم والمغفرة . ولبيان ذلك لابد من الرجوع إلى هذه الألفاظ ومدلولاتها :

المجموعة الأولى : مرادفات يغلب عليها أنها نفسية؛ كالرحمة والرقة والرأفة :

يعرف العلماء الرحمة بأنها : الرقة والتعطف ، والمغفرة [1]. أو هي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة [2]. والرحمة في بني آدم عند العرب : رقة القلب وعطفه . ورحمة الله : عطفه وإحسانه ورزقه . [3]

ولم تفرق كثير من الأحاديث بين الرفق والرحمة ، بل استخدم اللفظان للدلالة على المراد نفسه ، ومن هذه الأحاديث : حديث أسير بني عقيل وفيه: (وكان رسول الله

١ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٢٣٠/١٢ .

٢ الأصفهاني ـ ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢) ـ المفردات في غريب القرآن ـ تحقيق محمد سيد كيلاني ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت ـ ص١٩١ .

٣ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٢٣٠/١٢ ، الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن ـ ص ١٩١ .

صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا) ١. و حديث مالك بن الحويرث ، وفيه: (وكان رفيقا رحيما) ٢ أي الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

كما بوب المصنفون أحاديث الرفق والرحمة باسم الرفق أو باسم الرحمة ومنهم : البخاري الذي أورد أحاديثه في الأبواب الآتية: رحمة الناس والبهائم٣ ، و رحمة الولد٤، والرفق بالأمر كله٥ . والترمذي الذي أوردها في الأبواب الآتية : ما جاء في رحمة الولد٦، و ما جاء في رحمة اليتيم ٧ ، وما جاء في رحمة الصبيان ٨، وما جاء في رحمة المسلمين ٩، وما جاء في الرفق ١٠. وأبو داود الذي أوردها في بابين هما : باب في الرفق ١١، وباب في الرحمة ١٢.

وعلى هذا الأساس نستطيع القول إن هناك علاقة وثيقة بين الرحمة والرفق ، تتلخص في أن الرحمة تشكل أصلا نفسيا للرفق فهي قلبية ذات دلالة سلوكية حركية، والرفق ترجمة عملية للرحمة فهو سلوك حركي له أصل نفسي ، ولذلك استخدمهما

---

١ رواه احمد في المسند - أول مسند البصريين - ح ١٩٠٤٨ واللفظ له ، وأبو داود في السنن - كتاب الايمان والنذور - باب في النذر في ما لا يملك - ح ٣٣١٦ . و أخرجه مسلم في الصحيح - كتاب النذر - باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد - ح ١٦٤١ ولفظه "و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا ".

٢ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الادب - باب رحمة الناس والبهائم - ح٥٦٦٢ ، وفي كتاب الاذان - باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد - ح٦٠٢ ، وباب الاذان للمسافر اذا كانوا جماعة - ح٦٠٥ ، والنسائي في السنن - كتاب الاذان - باب اجتزاء المرء بأذان غيره في الحضر - ح٦٣٥ ولفظه "رحيما رفيقا"، واحمد في المسند - مسند المكيين - ح ١٥٠٤٥ .

٣ ٢٢٣٨/٥ .

٤ ٢٢٣٤/٥ .

٥ ٢٢٤٢/٥ .

٦ ٣١٨/٤ .

٧ ٣٢٠/٤ .

٨ ٣٢١/٤ .

٩ ٣٢٣/٤ .

١٠ ٣٦٧/٤ .

١١ ٢٥٤/٤ .

١٢ ٢٥٨/٤ .

العلماء كمفهومين متقاربين ، من باب أن الأصل يدل على الفرع ، والفرع يشير إلى الأصل .

وهذا ما أشار إليه الأستاذ الميداني في قوله " فإن من يشعر نحو غيره بشعور الرحمة يكون في معاملته رفيقا لا عنيفا أو يدفعه إلى الرفق به رحمته به "١

وهو ما نفهمه أيضا من فقه الإمام النووي وفهم ابن حجر رحمهما الله : حيث بوب الأول في صحيح مسلم " باب رحمة النبي للنساء و أمر السواق مطاياهن بالرفق بهن "٢ فرحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنساء ترجمت إلى سلوك عملي وهو الرفق بهن. وقسم الثاني - ابن حجر - في الفتح ٣ شعب الإيمان إلى ثلاثة أفرع هي : أعمال القلب و أعمال اللسان وأعمال البدن ، ثم أدرج الرحمة في أعمال القلب ، وذكر الرفق في أعمال الأبدان .

وقد تابع الصابوني وسيد قطب أسلافهم من العلماء في فهمهم هذا عندما فسروا القرآن فأشار الصابوني إلى هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى ((فبما رحمة من الله لنت لهم))٤ فقال :" أي بسبب رحمة من الله أودعها الله في قلبك يا محمد كنت هينا لين الجانب مع أصحابك ٠٠" ٥ وأشار سيد قطب إليه عند تعليقه على قصة الفتية في سورة الكهف بقوله : فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم ، ويهجرون ديارهم و يفارقون أهلهم . ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة ، هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم .هؤلاء يستروحون رحمة الله ، ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة ٠٠ فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها ، وتشملهم باللين والرفق والرخاء ٦ .

---

١ الميداني - عبد الرحمن - الأخلاق الإسلامية وأسسها -دار العلم - دمشق /بيروت - ط١ - ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م - ٣٣٧/٢ .

٢ ١٨١١/٤ .

٣ انظر ابن حجر - فتح الباري ٥٢/١ .

٤ آل عمران (١٥٩).

٥ الصابوني - محمد علي - صفوة التفاسير - دار الفكر - بيروت - د.ط - ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م - ٢١٩/١ .

٦ انظر قطب - في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٦٢ .

ويشارك الرحمة في هذه العلاقة مع الرفق كل من (الرقة،والرأفة)حيث عرف اللغويون الرقة بأنها الرحمة[1]وهي في الخلق خلقة والرحمة فعل الراحم ، ولذلك يقولون رق عليه فرحمه ، وعرفوا الرأفة بأنها الرحمة أيضا،وقيل أشد الرحمة،وقيل أنها أخص من الرحمة وأرق[2] .

ونخلص أخيرا إلى أن جميع هذه الألفاظ تعتبر أصولا نفسية للرفق، ويعتبر الرفق ترجمة عملية لها، مع العلم أنه كثيرا ما يكون فيها دلالة على السلوك، سواء كان سلوكا لازما أو عارضا.

المجموعة الثانية : وتحتوي على اللطف والسماحة واللين والهون والتيسير؛ فاللطف في العمل :الرفق فيه، ولطف به وله يلطف لطفا إذا رفق به. ولطف الله : أوصل إليك ما تحب برفق.[3]

والسماحة والمسامحة : المساهلة ، وقولهم[الحنيفية السمحة] ليس فيها ضيق ولا شدة.[4]

وقد عرف ابن عاشور السماحة بقوله: السماحة سهولة المعاملة في اعتدال ، فهي وسط بين التضييق والتساهل ، وهي السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشدد فيه ، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد.[5]

واللين ضد الخشونة، واللين : السهل.[6]والأصل في استخدام اللين للأجسام ، ثم استعير للخلق وغيره من المعاني.[7]

---

١ انظر ابن منظور ـ لسان العرب ١٢٢/١٠ ، الفيروز أبادي ـ القاموس المحيط ـ ١١٤٥/١.

٢ انظر ابن منظور ـ لسان العرب ١١٢/٩،الفيروز أبادي ـ القاموس المحيط ـ ١٠٤٩/١.

٣ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٣١٦/٩،٣١٧.

٤ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٤٨٩/٢.

٥ ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص ١٨٥.

٦ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٣٩٤/١٣.

٧ الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن ـ ص٤٥٧.

والهون : الرفق ، وهونه الله عليه : أي سهله وخففه.[1] واليسر ضد العسر : وهو السهولة.[2]وقد ورد في الحديث : (حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس)[3].

وإنا إذا نظرنا إلى هذه الألفاظ لاحظنا ظهور الجانب السلوكي الحركي فيها ، فهي أقرب إلى العمل منها إلى التصور النفسي ، كما أنها قد تستخدم للتعبير عن الجانب النفسي والسلوكي معا. كما أننا نلاحظ أن هذه الألفاظ تقترب كثيرا من مفهوم الرفق الذي حددناه في المطلب الأول ، وأنه ينتمي إليها ابتداء ، وقد يكون مع غيرها تبعا لاختلاف السياق والمراد منه .

المجموعة الثالثة : وفيها الصفح والمغفرة والعفو والحلم.

ويعرف الصفح بأنه محو أثر الذنب.[4]وتعرف المغفرة بالتغطية والستر ، فنقول : غفر الله ذنوبه أي سترها.[5]أما العفو فهو: التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس ،[6]وهو كما يعرفه الدجوي : الصفح عند القدرة عمن هفا ، وعدم الأخذ بالثأر ممن ارتكب جرما.[7]

وهكذا يشمل العفو كلا من الصفح والمغفرة ، فهو ستر للجرم كالمغفرة ، ومحو لها وتجاوز عنها كالصفح . أما الحلم فهو ضبط النفس عند هيجان الغضب حال وجود ما يدعو إليه.[8]

---

١ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٤٣٨/١٣.

٢ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٢٩٥/٥.

٣ رواه أحمد في المسند ـمسند المكثرين من الصحابة ـ مسند عبد الله من مسعود ـ ح ٣٧٤٢ ، قال شاكر إسناده صحيح ح ٣٩٣٨.

٤ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٥١٥/٢.

٥ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٢٥/٥.

٦ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ٧٢/١٥.

٧ الدجوي ـ فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ـ ص ٦٦ .

٨ الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن ـ ص ١٢٩ ، الدجوي ـ فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ـ ص١٥.

وإننا إذا نظرنا إلى هذه الألفاظ لاحظنا:

١ـ أنها جميعا تدل على السلوك.

٢ـ أن هذا السلوك ليس دائما ، بل يحتاج إلى سلوك سابق له ، فهي سلوكيات عارضة.

٣ـ أنها تحتاج إلى أصل نفسي مغروس في النفس حتى تتحقق ، فمن لا يملك الرحمة والرأفة لا يستطيع أن يغفر أو يصفح أو يعفو ، ولا يستطيع أن يكون حليما " فالعفو والحلم والمغفرة والصفح لا تصدر إلا من قلب مليء بالرحمة".[١]

٤ـ أما عن علاقتها بالرفق فإنها لا تعدو كونها نتيجة له إن اعتبرناه دالا على السلوك والأصل النفسي معا،أما إن اعتبرناه دالا على السلوك فقط ،فإن هذه الألفاظ تكون سببا لوجوده ؛ ومثال الحالة الأولى :أن الرفيق الرحيم لا بد أن يكون عفوا في المواقف التي تحتاج إلى عفو ، أو حليما في مواطن الغضب ، ومثال الحالة الثانية : أن سلوك الرفق لازم لمن امتلأ قلبه بالحلم والمغفرة.

---

١ انظر خيشة ـ عبد المقصود عبد الغني ـ تهذيب الأخلاق في الإسلام ـ دار الثقافة العربية ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٢هـ / ١٩٩١ـ ص ١٢٢.

الفرع الثاني : أضداد الرفق :

أولا : بيان أن العنف ضد الرفق :

اتفق أهل اللغة على التضاد بين الرفق والعنف فقد ورد في المعاجم اللغوية أن الرفق : ضد العنف[1]، وورد أيضا أن العنف : ضد الرفق [2]. و تابع شراح الحديث أهل اللغة في هذا التعريف ، فها هو ابن حجر و المباركفوري والعظيم آبادي يعرفون الرفق بالتعريف نفسه [3]. ويعرف النووي وابن حجر والعظيم آبادي العنف بأنه ضد الرفق[4]. ولعل أصل هذا الاتفاق ناتج عن الاستدلال بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم - الذي أوتي جوامع الكلم - حيث قال مخاطبا عائشة : (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه)[5]. وقال في الحديث الآخر :(عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش)[6]. وفي الحديثين دلالة واضحة على التضاد بين مفهومي الرفق والعنف .

ثانيا : العنف في اللغة والاصطلاح :

ورد في لسان العرب أن العنف :" الخرق بالأمر وقلة الرفق به ،وهو ضد الرفق "[7]. "والعنيف : من لا رفق له بركوب الخيل ، والشديد من القول والسير ، واعتنف الأمر : أخذه بعنف ، أو أتاه ولم يكن له به علم ، وعنفه : لامه بعنف وشدة "[8] ، وقيل هو "

---

١ ابن منظور - لسان العرب ١١٨/١٠ .

٢ الفيروز أبادي - القاموس المحيط ١٠٨٥/١ ،ابن منظور - لسان العرب ٢٥٧/٩

٣ ابن حجر - فتح الباري ٤٤٩/١٠، المباركفوري - تحفة الأحوذي ١٣٠/٦ ، العظيم أبادي - عون المعبود ١١٢/١٣

٤ النووي - محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف - شرح النووي على صحيح مسلم - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط٢ - ١٣٩١هـ/١٩٧٢ - ١٤٥/١٦ ، ابن حجر - فتح الباري ٢٠٠/١١ ، العظيم أبادي - عون المعبود ١١٢/١٣ .

٥ رواه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق - ح ٢٥٩٣ .

٦ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا - ح٥٦٨٣ .

٧ انظر ابن منظور - لسان العرب ٢٥٧/٩ .

٨ انظر الفيروز أبادي - القاموس المحيط ١٠٨٥/١

التشديد في التوصل إلى المطلوب "[1] ، والتعنيف : التعيير واللوم . وفي الحديث : (إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)٢ وهو بالضم : الشدة والمشقة ، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله " ٣

وقد تعاضد الإستخدام النبوي واستخدام الصحابة للفظ العنف واشتقاقاته مع المعنى اللغوي ، فقد ورد في مسند أحمد عَنْ جَابِر بن عبد الله قال : قال - صلى الله عليه وسلم - : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّفًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا) وفي رواية أخرى له : (لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا أَوْ مُفَتِّنًا)٤ وفي رواية لمسلم : (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا)٥. وفي نص الحديث دلالة على أن العنف ضد التيسير ، كما أن اختلاف الروايات يدل على أن العنف مرادف للعنت أي المشقة .

وفي حديث عبد الله بن مليكة عن عائشة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاطبها قائلا : (عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش) ٦ وفي الحديث دلالة على أن الفحش والتوبيخ نوع من العنف .

أما دلالة العنف على الملامة والتأنيب فهو واضح في الأحاديث الآتية:

أ- قول عبد الله بن عمر في حديث الصلاة في بني قريظة ٧ (فلم يعنف واحدا منهم)٨ وفي رواية مسلم (فما عنف واحدا من الفريقين) ٩.

---

[1] العسكري - الفروق - ص١٨٠

٢ أخرجه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق - ح ٢٥٩٣ بلفظ قريب .

٣ انظر ابن منظور - لسان العرب ٢٥٧/٩

٤رواهما احمد في المسند - باقي مسند المكثرين - ح ١٤٥٥٥ ، وأخرج نحوه مسلم في الصحيح - كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بنية - ح ١٤٧٨.

٥ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بنية - ح ١٤٧٨ .

٦ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا - ح٥٦٨٣ .

٧ و نصُّهُ في البخاري :"عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنْ الْأَحْزَابِ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمْ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ ".

٨ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجمعة - باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء - ح ٩٠٤ .

٩ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين - ح١٧٧٠ .

ب - قصة عمرو بن العاص حيث أجنب في ليلة باردة فتيمم وتلا: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)) ،[1] فذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يعنف.[2]

ج - قصة هِصَّان الكاهِن العدوي حيث قال : (جَلَسْتُ مَجْلِسًا فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ وَلَا أَعْرِفُهُ قَالَ : حدثنا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ تَمُوتُ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجِعُ ذَاكُمْ إِلَى قَلْبٍ مُوقِنٍ إِلَّا غُفِرَ لَهَا . قَال- - أي هصان - قُلْتُ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ؟ قَالَ : فَعَنَّفَنِي الْقَوْمُ . فَقَالَ - أي عبد الرحمن ابن سمرة - : دَعُوهُ فَإِنَّهُ لَمْ يُسِئْ الْقَوْلَ ، نَعَمْ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ مُعَاذٍ زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي رواية قال : (لا تعنفوه ولا تؤنبوه دعوه نعم أنا سمعت ذلك من معاذ)[3]

د - وأخيرا فإن اختلاف الرواية في حديث أبي هريرة[4] المرفوع للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، وفيه: (أن ملك الموت أَتَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنَفْتُ بِهِ) و في رواية (لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ) فيه دلالة على التوافق بين دلالة العنف والمشقة .

والذي يبدو من خلال النظر في المعنى اللغوي ومن خلال تتبع النصوص أن العنف : هو كل سلوك فيه مشقة وتعسير وعنت أو فحش وملامة وتأنيب .

---

١ النساء(٢٩)

٢ رواه البخاري في الصحيح معلقا - كتاب التيمم - باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت .

٣ رواهما احمد في المسند - مسند الأنصار - ح ٢٢٠٥٣، ٢٢٠٥١ ، قال شاكر إسناده صحيح ح ٢١٨٩٩.

٤ رواه أحمد في المسند - باقي مسند المكثرين - ح ١٠٩١٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا قَالَ فَأَتَى مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَأَتَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنَفْتُ بِهِ وَقَالَ يُونُسُ لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ اذْهَبْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ لَهُ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدِ أَوْ مَسْكِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ وَارَتْ يَدُهُ سَنَةٌ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ مَا بَعْدَ هَذَا قَالَ الْمَوْتُ قَالَ فَالْآنَ قَالَ فَشَمَّهُ شَمَّةً فَقَبَضَ رُوحَهُ ، قَالَ يُونُسُ فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَيْنَهُ وَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً .وأخرج نحوه مسلم في الصحيح - كتاب الفضائل باب فضائل موسى ح ٢٣٧٢ .

ثالثا :أضداد أخرى للرفق :

من خلال النظر في معنى العنف يتضح أن هناك مجموعة من الألفاظ نستطيع اعتبارها ضدا للرفق ـ أو مظاهرا للعنف ـ ومن أهمها : القسوة والغلظة والشدة والمشقة والخشونة والعنت والملامة والتأنيب والفحش .

وإننا إذا دققنا النظر في معنى الرفق نجد أن هناك نوعين من السلوكيات تختلف مع مضمونه ، بل إن الرفق يكون وسطا بينها ؛ الجزء الأول يتجلى في مجانبة الرفق والاتجاه إلى العنف والشدة ، والثاني يكون بالتمادي بالرفق إلى حد الضعف والاستهانة ، وبذلك يكون " المستهين تاركا للحق ، والرفيق طالبا له من أيسر مسالكه، والعنيف يطلبه من أشق مهايعه[١] " [٢]، ومن الأمثلة على ذلك :

- أن الرفق في العبادة يكون بالاتجاه إلى مقصدها الأساسي من تخليص النفس من الشوائب وأدران الهوى ، والاستهانة تكون بالتهاون في أدائها أو ترك فرائضها ، أما العنف فيكون بقصد المشقة التي لا يمكن الاستمرار عليها .[٣]
- أن الرفق في الدعوة يكون بالمداراة وهي لين الكلمة وترك الإغلاظ في القول للجاهل الذي يستتر بالمعاصي ، بقصد رده عما هو فيه ، والاستهانة تكون بالمداهنة وهي لقاء الفاسق المعلن لفسقه ومؤالفته وعدم الإنكار عليه ولو بالقلب[٤] ، أما العنف فيكون بالإغلاظ عليه أو سبه أو التشهير به مما يؤدي إلى العناد والتمادي .
- أن الرفق في المعاملة يتجلى في سماحة المؤمن وسهولته ودفعه للسيئة بالحسنة ، والاستهانة تكون بقبول الاستحذاء والسكوت عن الحق والإغضاء عن المعاصي ، أما العنف فيكون بالمخاشنة والتعامل الغليظ .[٥]

---

١ جمع مَهيَع :الطريق البيِّن .انظر أنيس ـ المعجم الوسيط ١٠٠٣/٢ .

٢ أبو زهرة ـ الرفق الرفق لواء الإسلام ـ ص ٦٠٥ .

٣ انظر أبو زهرة ـ الرفق الرفق لواء الإسلام ـ ص ٦٠٥ .

٤ انظر ابن حجر ـ فتح الباري ١٠/ ٥٢٨ .

٥ انظر أبو زهرة ـ الرفق الرفق لواء الإسلام ص ٦٠٦ .

المبحث الثاني

الرفق في الإسلام

المطلب الأول | الرفق كما ورد في القرآن |

الفرع الأول : مادة رفق في القرآن :

وردت مادة (رفق) في القرآن الكريم في خمسة مواضع فقط [1]، واختلفت المعاني في هذه المواضع تبعا لاختلاف الاشتقاق . وفيما يلي استعراض لهذه الآيات مع بيان المراد من مادة رفق في كل آية :

١- ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى **الْمَرَافِقِ** وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ....)) [2] والمرافق جمع مِرفق ، والمِرفق : موصِلُ الذراع في العضد .[3]

٢- ((وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ **رَفِيقًا**)) [4] والرفيق هو الصاحب ، فرفيقك :الذي يرافقك ، وقيل هو الصاحب في السفر خاصة [5]، والمراد بالرفيق في هذه الآية : النبيين [6].

١ عبد الباقي ـ محمد فؤاد ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت ـ ص٣٢٣ .

٢ المائدة (٦)

٣ الفيروز أبادي ـ القاموس المحيط ١١٤٥/١ .

٤ النساء(٦٩).

٥ ابن منظور ـ لسان العرب ١١٨/١٥ ، الفيروز أبادي ـ القاموس المحيط ١١٤٥/١ .

٦ ابن منظور ـ لسان العرب ١١٨/١٥ .

٣- ((وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا)) ١
مرتفقا: متكأ ، وأتى ذلك في النار، وإنما هو بمقابلة قوله تعالى : حسنت مرتفقا ٢.

٤- ((مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)) ٣، والمرتفق في اللغة هو: المتكأ ٤. وفي التفسير : مرتفقا : منزلا ومقيلا يرتفق به ٥.

٥- ((وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)) ٦ المِرفق لغة: ما استعين به .٧ ومرفقا : ما ترتفقون وتنتفعون به، وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع ٨. وفي التفسير : يسهّل عليكم أسباب الرزق وما ترتفقون من غداء وعشاء في هذا الغار ٩. وجمع (النشر) مع (الرجمة) وجمع (التهيئة) مع (المرفق) في الآية فيه دلالة على إرادة الرحمة الرفق بهم ، فكأن المعنى : يرحمكم ويرفق بكم .

الفرع الثاني : آيات الرفق في القرآن :

بالنظر إلى آيات الرفق في القرآن الكريم نجد أنها جاءت على قسمين :
الأول : فيه إشارة إلى آيات الرفق بلفظ قريب منه : كاللين واللطف والرحمة والرأفة وخفض الجناح والصفح والعفو والمغفرة والتيسير والإحسان والهون والمودة .

---

١ الكهف (٢٩) .
٢ انظر أبا السعود ـ محمد بن علي العمادي ت (٩٥١) ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت ـ ٢٢٠/٥ .
٣ الكهف (٣١).
٤ ابن منظور ـ لسان العرب ١١٨/١٥ .انظر أبا السعود ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ـ ٢٢٠/٥ .
٥ الصابوني ـ صفوة التفاسير ١٧٦/٢ .
٦ الكهف (١٦) .
٧ ابن منظور ـ لسان العرب ١١٨/١٠ .
٨ انظر أبا السعود ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ـ ٢١١/٥ .
٩ الصابوني ـ صفوة التفاسير ١٧٠/٢ .

والثاني : فيه إشارة ودلالة على موضوع الرفق دون ورود لفظه أو لفظ مقارب له في المعنى، وسيقتصر الباحث هنا على جمع آيات النمط الأول وتبويبها ، ويترك النمط الثاني ليورده في مواقعه المناسبة له خلال الدراسة :

- آيات فيها وَصفٌ لله عز وجل بما فيه دلالة على الرفق :

- ((وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي **إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ** إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)) ١

- ((**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ** يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)) ٢

- ((**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**))٣

- ((**فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ولا يُرَدّ بأسُهُ عن القوم المجرمين**))٤

- آيات فيها وصفٌ للرسول- صلى الله عليه وسلم- بالرفق أو أمرٌ له بامتثاله :

- ((لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**)) ٥

- ((**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ**)) ٦

- ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ(٨٧) وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ** وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))٧

---

١ يوسف (١٠٠).

٢ الشورى(١٩).

٣ الأعراف (١٥٦)

٤ الأنعام (١٤٧)

٥ الحجر (٨٨).

٦ الشعراء (٢١٥)

٧ الزخرف (٨٧ ـ ٨٩).

- ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))١

- ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا)) ٢

- ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) ٣

- ((وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))٤

- ((وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا))٥

- ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ)) ٦

- آيات وصفت الأنبياء السابقين أو أتباعهم بالرفق :

- ((اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى)) ٧

- ((ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابتدعوها ما كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) ٨

---

١ آل عمران (١٥٩).

٢ الفتح (٢٩).

٣ التوبة (١٢٨).

٤ التوبة (٦١).

٥ الإسراء (٢٨).

٦ المؤمنون(٩٦).

٧ طه (٤٢ ـ ٤٥).

٨ الحديد (٢٧) .

- آيات تأمر الأمة بالرفق أو تحث عليه او ترغب فيه :

- ((وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) ١

- ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ **إِحْسَانًا** وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)) ٢

- ((وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) ٣

- ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) ٤

- ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ **مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**))٥

- ((وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) ٦

-((قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا **يَغْفِرُوا** لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))٧

((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ **تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا** فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)) ٨.

---

١ آل عمران(١٣٣ ـ ١٣٤).

٢ النساء(٣٦).

٣ النور (٢٢).

٤ الفرقان (٦٣) .

٥ الروم (٢١) .

٦ الشورى (٤٣) .

٧ الجاثية (١٤) .

٨ التغابن (١٤) .

ومن أهم الدلالات التربوية التي تشير إليها هذه النصوص :

١ـ ضرورة التحلي بالرفق واللطف .

٢ـ اختيار القيادة من وسط الناس يجعلها أكثر فاعلية وتأثيرا .

٣ـ الداعية أو المربي الرفيق مركز للتجميع والداعية الفظ الغليظ مصدر للتنفير .

٤ـ المربي الناجح يحرص على إبعاد المشقة عن الناس .

٥ـ القول اللطيف وكظم الغيظ من مظاهر الرفق التي ينبغي على الداعية والمربي التحلي بهما .

٦ـ الأصل في التعامل أن يكون لينا حتى مع العصاة ما لم يؤثر هذا التعامل على نشر الدعوة .

المطلب الثاني | الرفق كما ورد في السنة |

وسيقتصر الباحث في هذا المطلب على ما ورد في الكتب التسعة من أحاديث ورد فيها لفظ الرفق أو أدرجها مصنفو هذه الكتب في باب من أبوابه :

الفرع الأول : مادة رفق في السنة :

وردت مادة رفق في السنة باشتقاقات متعددة يمكن تقسيمها إلى قسمين :

الأول : ما ليس له علاقة بموضوع البحث مثل : مرفق : وهو موصل الذراع بالعضد، رفيق : وهو الصاحب ، مرفقة : وهي الوسادة أو ما يتكأ عليه . وهذا سنغض الطرف عن دراسته لكثرته في كتب السنة ولعدم تعلقه بموضوع البحث .

الثاني : ما له علاقة بموضوع الدراسة ، وهو ما سنعرضه في الفرع الثاني من هذا المطلب .

الفرع الثاني : أحاديث الرفق في الكتب التسعة :

وردت أحاديث الرفق في الكتب التسعة على أشكال متعددة ، فمنها ما جاء فيه أمر بالرفق او ترغيب فيه ، ومنها ما جاء فيه الرفق وصفا للرسول أو وصفا لغيره ، ومنها ما جرى لفظ الرفق فيه على لسانه صلى الله عليه وسلم أو على لسان غيره ، ومنها ما وردت في أبواب الرفق ولم يرد لفظ الرفق فيها ، وفيمايلي تفصيل ذلك :

- أحاديث أمر فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفق أو رغب فيه :

أ - أحاديث أمر فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالرفق :

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، قَالَ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ،

عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ ، قَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ، قَالَ : أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ) ١.

* عن أنَس بْن مَالِكٍ قالَ : (قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ **فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**) ٢.

* عَنْ أنَس بْن مَالِكٍ قالَ : (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرٍ لَهُ فَحَدَا الْحَادِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ** وَيْحَكَ بِالْقَوَارِيرِ) ٣.

* عَنْ أمِّ الفَضْلِ قالَتْ : (رَأَيْتُ كَأَنَّ فِي بَيْتِي عُضْوًا مِنْ أَعْضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ فَجَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فقالَ : خَيْرًا تَلِدُ فَاطِمَةُ غُلامًا فَتَكْفُلِينَهُ بِلَبَنِ ابْنِكِ قُثَمٍ ، قالَتْ : فَوَلَدَتْ حَسَنًا فَأَعْطِيتُهُ فَأَرْضَعْتُهُ حَتَّى تَحَرَّكَ أَوْ فَطَمْتُهُ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْلَسْتُهُ فِي حِجْرِهِ فَبَالَ فَضَرَبْتُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَالَ **ارْفُقِي بِابْنِي** رَحِمَكِ اللَّهُ أَوْ أَصْلَحَكِ اللَّهُ أَوْجَعْتِ ابْنِي ، قالَتْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْلَعْ إِزَارَكَ وَالْبَسْ ثَوْبًا غَيْرَهُ حَتَّى أَغْسِلَهُ قالَ : إِنَّمَا يُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ وَيُنْضَحُ بَوْلُ الْغُلامِ) ٤.

* عَنْ الأَدْرَعِ السُّلَمِيِّ قَالَ : (جِئْتُ لَيْلَةً أَحْرُسُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَجُلٌ قِرَاءَتُهُ عَالِيَةٌ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مُرَاءٍ قَالَ : فَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ فَفَرَغُوا مِنْ جِهَازِهِ فَحَمَلُوا نَعْشَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **ارْفُقُوا بِهِ رَفَقَ اللَّهُ بِهِ** إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قال : وَحَفَرَ حُفْرَتَهُ فَقَالَ أَوْسِعُوا لَهُ أَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ حَزِنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَجَلْ إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ٥ .

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا ـ ح ٥٦٨٣ ، وفي كتاب الدعوات ـ باب قول النبي يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم ـ ح ٦٠٣٨ .

٢ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ ح ١٢٥٧٩ ، قال شاكر إسناده حسن ح ١٢٩٨٦ .

٣ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب المعاريض مندوحة عن الكذب ـ ح٥٨٥٦ ، وأحمد في المسند باقي مسند المكثرين ـ ح ١٢٣٠٠ ، ١٢٤٧٦ ، ١٢٦٢٣ ، ١٢٨٩٨ بلفظ قريب .

٤ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ ح ٢٥٦٤١ ، قال شاكر إسناده حسن ح ٢٦٧٥٢ .

٥ رواه ابن ماجه في السنن ـ كتاب ما جاء في الجنائز ـ باب ما جاء في حفر القبر ـ ح ١٥٥٩، ضعفه الألباني.

ب - أحاديث رغب فيها الرسول – صلى الله عليه وسلم - بالرفق ودعا إليه :

* عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا عَائِشَةُ **إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ** وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) [1]، وروى الحديث أبو هريرة [2] وعلي بن أبي طالب [3] وعبد الله بن مغفل [4] دون لفظ : (وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) . أما خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ فلفظه: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ** وَيَرْضَى بِهِ **وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ** فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا فَإِنْ كَانَتْ الأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا وَعَلَيْكُمْ بِسَيْرِ اللَّيْلِ فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لا تُطْوَى بِالنَّهَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْحَيَّاتِ) [5].

* عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ قَالَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَهْلا يَا عَائِشَةُ، **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ** فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ) [6].

---

١ رواه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق - ح ٢٥٩٣ .

٢ رواه ابن ماجه في السنن - كتاب الأدب - باب الرفق - ح٣٨٦٦ ، وأخرجه مسلم عن عائشة .

٣رواه أحمد في المسند - مسند العشرة المبشرين بالجنة - ح ٨٥٩ ، وأخرجه مسلم عن عائشة .

٤ رواه أبو داود في السنن - كتاب الأدب - باب في الرفق - ح٤٨٠٧ ،والدارمي في السنن - كتاب الرقاق - باب في الرفق - ح ٢٧٩٣ ، واحمد في المسند - اول مسند المدنيين اجمعين - ح ١٦٢٠٠ ،١٦٢٠٣ ، واخرجه مسلم عن عائشة .

٥ رواه مالك في الموطا - كتاب الجامع - باب ما يؤمر به من العمل في السفر - ح١٧٦٧ ، واخرج نحوه مسلم عن عائشة.

٦ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب الرفق في الأمر كله - ح ٥٦٧٨ ، وفي كتاب الاستئذان - باب كيف يرد على أهل الذمة السلام - ح ٥٩٠١ ، وفي كتاب الدعوات - باب الدعاء على المشركين - ح ٦٠٣٢ . ومسلم في الصحيح - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم - ح ٢١٦٥ ، والترمذي في السنن - كتاب الاستئذان والأدب مع رسول الله - باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة - ح ٢٧٠١ ، وأحمد في المسند - باقي مسند الأنصار - ح ٢٢٩٦١ ،٢٤٤٥٢ كلهم مع ذكر قصته ، ورواه ابن ماجه في السنن

* عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ**). وفي رواية أخرى : (رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ** ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ) ١.

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ**) ٢.

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا : (إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ)٣. وفي رواية لأبي الدرداء:(مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الْخَيْرِ وليس شيءٌ أثقلَ في الميزان من الخُلُق الحسَن)٤.

وعَنْ جَرِيرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (**مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ**) ٥.

ـ كتاب الأدب ـ باب الرفق ـ ح ٣٦٨٩ ، والدارمي في السنن ـ كتاب الرقاق ـ باب الرفق ـح٢٧٤٩ ، وأحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ ح٢٢٩٦٢، ٢٣٤١٤ ،دون ذكر القصة .

١ رواهما مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب فضل الرفق ـ ح ٢٥٤٩ ؛ واللفظ له ، ورواه ابو داوود في السنن ـ كتاب الأدب ـ باب في الرفق ـ ح ٤٨٠٨ ، وفي كتاب الجهاد ـ باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو ـ ح ٢٤٧٨ ، وأحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ ح ٢٣١٧١، ٢٣٦٦٤ ، ٢٣٧٩١ ، ٢٤٢١٧ ، ٢٤٥٢٧، ٢٤٦٧٩ ؛ كلاهما بلفظ قريب ، ورواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ ح ١٣٠٤٢ ؛ وذكر فيه قصة اليهود وليس قصة البعير .

٢ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب البر والصلة عن رسول الله ـ باب ما جاء في الرفق ـ ح٢٠١٣ ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن عائشة وجرير بن عبد الله وأبي هريرة.

٣ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار باقي المسند السابق ـ ح ٢٤٠٩٨ .

٤ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ بقية حديث أبي الدرداء ـ ح ٢٦٢٧٣ .

٥ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب فضل الرفق ـ ح ٢٥٩٢ ، و أبو داود في السنن ـ كتاب الأدب ـ باب في الرفق ـ ح ٤٨٠٩ وفيه زيادة " يحرم الخير كله " ، وابن ماجه في السنن ـ كتاب الأدب ـ باب الرفق ـ ح ٣٦٨٧ ، وأحمد في المسند ـ أول مسند الكوفيين ـ ح ١٨٤١١، ١٨٤٥٥ .

* عن عَائِشَة رضي الله عنها قالت : (سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا : اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا **فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**) ١.

* عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا **أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ الرِّفْقَ**). وفي رواية: (**دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ**).٢

* عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (**مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ**) ٣.

* عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ سَتَرَ اللَّـهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ ؛ **رِفْقٌ بِالضَّعِيفِ** ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَمْلُوكِ) ٤.

▫ <u>أحاديث وُصِف فيها الرسول بالرفق أو وُصِف بها غيره :</u>

أ - أحاديث وُصِف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفق :

* عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ : (لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمْتُ أُمُورًا مِنْ أُمُورِ الإِسْلَامِ فَكَانَ فِيمَا عَلِمْتُ أَنْ قَالَ لِي إِذَا عَطَسْتَ فَاحْمَدْ اللَّهَ وَإِذَا عَطَسَ الْعَاطِسُ فَحَمِدَ اللَّهَ فَقُلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ فَحَمِدَ اللَّهَ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ رَافِعًا بِهَا صَوْتِي فَرَمَانِي النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ حَتَّى احْتَمَلَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ شُزْرٍ قَالَ فَسَبَّحُوا فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ الْمُتَكَلِّمُ قِيلَ هَذَا الأَعْرَابِيُّ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي إِنَّمَا الصَّلَاةُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ

---

١ رواه مسلم في الصحيح – كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية – ح ١٨٢٨ ، واحمد في المسند – باقي مسند الأنصار – ح٢٥٠٣٧ بلفظ قريب .

٢ رواه احمد في المسند – باقي مسند الأنصار – ح ٢٣٢٩٠ ، ٢٣٢٩١ .

٣ رواه احمد في المسند – مسند الأنصار – ح٢٠٧٠٦ .

٤ رواه الترمذي في السنن – كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله – ح ٢٤٩٤ ، وقال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب .

جَلَّ وَعَزَّ فَإِذَا كُنْتَ فِيهَا فَلْيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنُكَ **فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ١.

* عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ : (كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأُصِيبَتْ مَعَهُ الْعَضْبَاءُ فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ بِمَ أَخَذْتَنِي بِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ إِعْظَامًا لِذَلِكَ فَقَالَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ **وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا** فَأَتَاهُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ قَالَ لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي وَظَمْآنُ فَاسْقِنِي قَالَ هَذِهِ حَاجَتُكَ قَالَ فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ ٠٠٠) ٢.

* عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ : (أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ **وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا** فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) ٣.

---

١ رواه الترمذي في السنن - كتاب الصلاة - باب تشميت العاطس في الصلاة - ح ٩٣١ . وأخرجه مسلم في الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحتها - ح ٥٣٧ ولفظه "ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني "

٢ رواه احمد في المسند - أول مسند البصريين - ح ١٩٠٤٨ واللفظ له ، وأبو داود في السنن - كتاب الأيمان والنذور - باب في النذر في ما لا يملك - ح ٣٣١٦ . وأخرجه مسلم في الصحيح - كتاب النذر - باب لا وفاء لنذرفي معصية الله ولا فيما لا يملك العبد - ح ١٦٤١ ولفظه "و كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحيما رفيقا ".

٣ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم - ح٥٦٦٢ ، وفي كتاب الأذان - باب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد - ح٦٠٢ ، وباب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة - ح٦٠٥ ، وفي كتاب أخبار الآحاد - باب ما جاء في إجازة خبر الواحد - ح ٦٨١٩ ، والنسائي في السنن - كتاب الأذان - باب اجتزاء المرء بأذان غيره في الحضر - ح٦٣٥ ، والدارمي في السنن - كتاب الصلاة - باب من أحق بالإمامة - ح١٢٥٣ ،واحمد في المسند - مسند المكيين - ح ١٥٠٤٥ ،ومسلم في الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب من أحق بالإمامة - ح ٦٧٤ ولفظه "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رقيقا "

* عَنْ ظُهَيْرِ بْنِ رَافِعٍ قَالَ : (لَقَدْ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ بِنَا رَافِقًا ، قُلْتُ : مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهُوَ حَقٌّ ، قَالَ : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : مَا تَصْنَعُونَ بِمَحَاقِلِكُمْ ؟ قُلْتُ : نُؤَاجِرُهَا عَلَى الرُّبُعِ وَعَلَى الْأَوْسُقِ مِنْ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ . قَالَ : لَا تَفْعَلُوا ازْرَعُوهَا أَوْ أَزْرِعُوهَا أَوْ أَمْسِكُوهَا) ١.

وفي رواية أخرى عنه قالَ : (نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ يَرْفُقُ بِنَا وَطَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ أَرْفَقُ بِنَا نَهَانَا أَنْ يَزْرَعَ أَحَدُنَا إِلَّا أَرْضًا يَمْلِكُ رَقَبَتَهَا أَوْ مَنِيحَةً يَمْنَحُهَا رَجُلٌ) ٢.

وفي روايةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُحَرِّمْ الْمُزَارَعَةَ وَلَكِنْ أَمَرَ أَنْ يَرْفُقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ) ٣.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ أَخَذَهُمَا بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ أَخْذًا رَفِيقًا وَيَضَعُهُمَا عَلَى الْأَرْضِ فَإِذَا عَادَ عَادَا حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْعَدَهُمَا عَلَى فَخِذَيْهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرُدُّهُمَا فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَقَالَ لَهُمَا الْحَقَا بِأُمِّكُمَا قَالَ فَمَكَثَ ضَوْءُهَا حَتَّى دَخَلَا) ٤.

* أَخْبَرَ أَبُو بَكْرَةَ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ عَلَى ظَهْرِهِ وَعَلَى عُنُقِهِ فَيَرْفَعُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَفْعًا رَفِيقًا لِئَلَّا

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب المزارعة - باب ما كان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يواسي بعضهم بعضا في الزراعة - ح ٢٢١٤ واللفظ له ،ومسلم في الصحيح - كتاب البيوع -باب كراء الأرض بالطعام - ح١٥٤٨ ، والنسائي في السنن - كتاب الإيمان والنذور - باب ذكر الأحاديث المختلفة في النهي عن كراء الارض.. - ح٣٩٢٣، ٣٩٢٤ ، وابن ماجه في السنن - كتاب الأحكام - باب ما يكره من المزارعة - ح ٢٤٥٩ ، واحمد في المسند - مسند الشاميين- ح١٦٦٥٢ ، وفي مسند الكوفيين - ح١٨٢٢٨ .

٢ رواه ابو داود في السنن - كتاب البيوع - باب في المزارعة - ح٣٣٩٧ ، واحمد في المسند - مسند المكيين - ح١٥٢٦٢ . صححه الالباني ٦٥٢/٢ .

٣ رواه الترمذي في السنن - كتاب الأحكام عن رسول الله - باب من المزارعة - ح ١٣٨٥ ، قال أبو عيسى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

٤ رواه احمد في المسند - باقي مسند الأنصار - ح ١٠٢٤٦ ، قال شاكر إسناده صحيح ح ١٠٦٠٧ .

يُصرَعَ قالَ فعلَ ذلِكَ غيْرَ مَرَّةٍ فلمَّا قضَى صلَاتَهُ قـالوا يَـا رَسُولَ اللَّـهِ رَأَيْنَـاكَ صَنَعْـتَ بالْحَسَنِ شيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ صنَعْتَهُ قالَ إِنَّهُ رَيْحَانَتِي مِنْ الدُّنْيَا وَإِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَعَسَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنْ يُصلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ) ١.

ب ـ أحاديث وُصِف بها غير الرسول صلى الله عليه وسلم :

* عَنْ أَبِي رِمثَة قَالَ : (انْطَلَقتُ مَعَ أَبِي نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ فَـإِذَا هُوَ ذُو وَفْرَةٍ بِهَا رَدْعُ حِنَّاءٍ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ ٠٠٠ قَالَ : فَقَالَ لَهُ أَبِـي : أَرِنِـي هَـذَا الَّـذِي بِظَهْرِكَ فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ ، قَـالَ : اللَّـهُ الطَّبِيبُ ، بَلْ **أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ** طَبِيبُـهَا الَّـذِي خَلَقَهَا)٢.

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : (يَا نَافِعُ قَدْ تَبَيَّغَ بِيَ الدَّمُ فَـالْتَمِسْ لِـي حَجَّامًـا **وَاجْعَلْـهُ رَفِيقًـا** إِنْ اسْتَطَعْتَ وَلَا تَجْعَلْهُ شَيْخًا كَبِيرًا وَلَا صَبِيًّا صَغِيرًا ٠٠٠) ٣.

* عن ابْنِ عَبَّاسٍ : (أَنَّ أَعْمَى كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ وَكَـانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ وَكَانَ لَهُ مِنْهَا ابْنَانِ وَكَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَـةَ بِرَسُـولِ اللَّـهِ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ وَتَسُبُّهُ فَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ وَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرْتُ النَّبِيَّ صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَعَتْ فِيهِ فَلَمْ أَصْبِرْ أَنْ قُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِـهَا فَاتَّكَـأْتُ عَلَيْـهِ فَقَتَلْتُهَا فَأَصْبَحَتْ قَتِيلًا فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ أَنْشُدُ اللَّـهَ رَجُلًا لِي عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَ مَا فَعَلَ إِلَّا قَامَ فَـأَقْبَلَ الْـأَعْمَى يَتَدَلْـدَلُ فَقَـالَ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ أَنَـا صَاحِبُهَا كَانَتْ أُمَّ وَلَدِي **وَكَانَتْ بِي لَطِيفَةً رَفِيقَةً** وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَلَكِنَّهَا

---

١ رواه أحمد في المسند ـ أول مسند البصريين ـ ح ١٩٦١١ ، قال شاكر إسناده صحيح ح ٢٠٢٧١ .

٢ رواه أبو داود في السنن ـ كتاب الترجل ـ باب في الخضاب ـ ح٤٢٠٧ ، واحمد في المسند ـ مسند الشـاميين ـ ح ١٦٨٤٣ ، ومسند المكثرين من الصحابة ـ ح ٦٨١٣ . صححه الالباني ٧٩٢/٢ .

٣ رواه ابن ماجه في السنن ـ كتاب الطب ـ باب في أي الأيام يحتجم ـ ح ٣٤٨٧ ، صححه الألباني ٢٦١/٢.

كَانَتْ تُكْثِرُ الْوَقِيعَةَ فِيكَ وَتَشْتُمُكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ فَلَمَّا كَانَتْ الْبَارِحَةُ ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ فَقُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ) ١.

- <u>أحاديث جرى فيها لفظ الرفق على لسانه عليه السلام أو على لسان غيره :</u>

أ - أحاديث جرى فيها لفظ الرفق على لسانه صلى الله عليه وسلم:

* عَنْ أَبِي أَيُّوبَ : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ قَالَ فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **السُّفْلُ أَرْفَقُ** فَقَالَ لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُلُوِّ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ ...) ٢.

* حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ الطويل وفيه : (.. وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَحَوَّلَ فِي مَكَانِهِ فَأَمَرَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ النَّاسُ أَطَاعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ **رَفَقُوا بِأَنْفُسِهِمْ** وَأَصَابُوا وَإِنْ كَانُوا خَالَفُوهُمَا فَقَدْ خَرِقُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ حَيْثُ فَقَدُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَا لِلنَّاسِ أَقِيمُوا بِالْمَاءِ حَتَّى تُصْبِحُوا فَأَبَوْا عَلَيْهِمَا وَانْتَهَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ وَقَدْ كَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا عَطَشًا ...) ٣.

* عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُخْبَطُ وَلَا يُعْضَدُ حِمَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ **يُهَشُّ هَشًّا رَفِيقًا**) ٤.

---

١ رواه النسائي في السنن - كتاب تحريم الدم - باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم - ح ٤٠٧٠ ، صححه الألباني ٨٥٣/٣ . ورواه أبو داود في السنن - كتاب الحدود - باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم - ح٤٣٦١ .

٢ رواه مسلم في الصحيح - كتب الا شربة - باب إباحة أكل الثوم - ح ٢٠٥٣ ، واحمد في المسند - باقي مسند الأنصار - ح ٢٢١٤٧ .

٣ رواه احمد في المسند - باقي مسند الأنصار - ح ٢١٥٣٠ ، قال شاكر إسناده صحيح ح ٢٢٤٧٤ .

٤ رواه أبو داود في السنن - كتاب المناسك - باب في تحريم المدينة - ح ٢٠٣٩ ، صححه الألباني ٣٨٣/١.

ب ـ أحاديث جرى لفظ الرفق فيها على لسان غيره صلى الله عليه وسلم :

* عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : (كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَقَدْ افْتَرَقَ مَلَؤُهُمْ وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ **وَرَفَقُوا لِلَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ) ١.

* عن عَطَاء قَالَ : (حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ جِنَازَةَ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تُزَعْزِعُوهَا وَلَا تُزَلْزِلُوهَا **وَارْفُقُوا** فَإِنَّهُ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعٌ كَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ وَلَا يَقْسِمُ لِوَاحِدَةٍ)٢.

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَى عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلُ وَضَحَّى النَّاسُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَضَاحِيُّ **لَتَرْفُقُ بِالنَّاسِ** كَانُوا يَدَّخِرُونَ مِنْ لُحُومِهَا وَوَدَكِهَا قَالَ فَمَا يَمْنَعُهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوَ لَمْ تَنْهَهُمْ عَامَ أَوَّلَ عَنْ أَنْ يَأْكُلُوا لُحُومَهَا فَوْقَ ثَلَاثٍ فَقَالَ إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ ذَلِكَ لِلْحَاضِرَةِ الَّتِي حَضَرَتْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِيَبُثُّوا لُحُومَهَا فِيهِمْ فَأَمَّا الْآنَ فَلْيَأْكُلُوا وَلْيَدَّخِرُوا) ٣.

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : (أَنَّ بِلَالًا بَطَّأَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَبَسَكَ فَقَالَ مَرَرْتُ بِفَاطِمَةَ وَهِيَ تَطْحَنُ وَالصَّبِيُّ يَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا إِنْ شِئْتِ كَفَيْتُكِ الرَّحَا وَكَفَيْتِنِي الصَّبِيَّ وَإِنْ شِئْتِ كَفَيْتُكِ الصَّبِيَّ وَكَفَيْتِنِي الرَّحَا فَقَالَتْ **أَنَا أَرْفَقُ بِابْنِي** مِنْكَ فَذَاكَ حَبَسَنِي قَالَ فَرَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ) ٤.

---

١ رواه احمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ ح ٢٣١٨٤ ، وأخرج نحوه البخاري في الصحيح ـ كتاب المناقب ـ باب مقدم النبي وأصحابه المدينة ح ٣٧١٥ .

٢ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب النكاح ـ باب كثرة النساء ـ ح ٤٧٨٠ ، ومسلم في الصحيح ـ كتاب الرضاع ـ باب جواز هبتها نوبتها لضرتها ـ ح ١٤٦٥ ،واحمد في المسند ـ من مسند بني هاشم ـ ح ٣٠٨٩ ،٣٠٩١ .

٣ رواه الدارمي في السنن ـ كتاب الأضاحي ـ باب لحوم الأضاحي ـ ح ١٩٥٩ ، و أخرج نحوه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأضاحي ـ باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها ح ٥٢٥٠ .

٤ رواه احمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ ح ١٢٠٦٦ قال شاكر إسناده منقطع ح ١٢٤٦٣.

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنَّا نُؤْذِنُهُ لِمَنْ حُضِرَ مِنْ مَوْتَانَا فَيَأْتِيهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ فَيَحْضُرُهُ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَنْتَظِرُ مَوْتَهُ قَالَ فَكَانَ ذَلِكَ رُبَّمَا حَبَسَهُ الْحَبْسَ الطَّوِيلَ فَشَقَّ عَلَيْهِ قَالَ فَقُلْنَا أَرْفَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ لَا نُؤْذِنَهُ بِالْمَيِّتِ حَتَّى يَمُوتَ قَالَ فَكُنَّا إِذَا مَاتَ مِنَّا الْمَيِّتُ آذَنَّاهُ بِهِ فَجَاءَ فِي أَهْلِهِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ إِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَشْهَدَهُ انْتَظَرَ شُهُودَهُ وَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَنْصَرِفَ انْصَرَفَ قَالَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ طَبَقَةً أُخْرَى قَالَ فَقُلْنَا أَرْفَقُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْمِلَ مَوْتَانَا إِلَى بَيْتِهِ وَلَا نُشْخِصَهُ وَلَا نُعَنِّيَهُ قَالَ فَفَعَلْنَا ذَلِكَ فَكَانَ الْأَمْرُ) ١.

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ قَالَ : (تُوُفِّيَ أَخِي وَأَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ فَقُلْتُ يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّ أَخِي تُوُفِّيَ وَتَرَكَ عِيَالًا وَلِي عِيَالٌ وَلَيْسَ لَنَا مَالٌ وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ بِعِيَالِي وَعِيَالِ أَخِي حَتَّى نَنْزِلَ بَعْضَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ فَيَكُونَ **أَرْفَقَ عَلَيْنَا فِي مَعِيشَتِنَا** قَالَ وَيْحَكَ لَا تَخْرُجْ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)٢.

* عَنْ فُرَيْعَةَ بِنْتِ مَالِكٍ قَالَتْ : (خَرَجَ زَوْجِي فِي طَلَبِ أَعْلَاجٍ لَهُ فَأَدْرَكَهُمْ بِطَرَفِ الْقَدُومِ فَقَتَلُوهُ فَأَتَانِي نَعْيُهُ وَأَنَا فِي دَارٍ شَاسِعَةٍ مِنْ دُورِ أَهْلِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقُلْتُ إِنَّ نَعْيَ زَوْجِي أَتَانِي فِي دَارٍ شَاسِعَةٍ مِنْ دُورِ أَهْلِي وَلَمْ يَدَعْ لِي نَفَقَةً وَلَا مَالًا لِوَرَثَتِهِ وَلَيْسَ الْمَسْكَنُ لَهُ فَلَوْ تَحَوَّلْتُ إِلَى أَهْلِي وَأَخْوَالِي لَكَانَ **أَرْفَقَ بِي فِي بَعْضِ شَأْنِي** قَالَ تَحَوَّلِي فَلَمَّا خَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ إِلَى الْحُجْرَةِ دَعَانِي أَوْ أَمَرَ بِي فَدُعِيتُ فَقَالَ امْكُثِي فِي بَيْتِكِ الَّذِي أَتَاكِ فِيهِ نَعْيُ زَوْجِكِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ قَالَتْ فَاعْتَدَدْتُ فِيهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا قَالَتْ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَخَذَ بِهِ) ٣.

* عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : (سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ **وَيَسْتَرْفِقُهُ** فِي شَيْءٍ وَهُوَ

١ رواه احمد في المسند - باقي مسند المكثرين - ح ١١٢٠٢ قال شاكر إسناده حسن ح ١١٥٧١.

٢ رواه احمد في المسند - باقي مسند المكثرين - ح ١٠٨١٦ قال شاكر إسناده صحيح ح ١١١٨٥.

٣ رواه احمد في المسند - باقي مسند الأنصار - ح ٢٥٨٤٠ قال شاكر إسناده صحيح ح ٢٦٩٦٦.

يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ) ١.

- أحاديث وردت في أبواب الرفق ولم يرد لفظ الرفق فيها :

قام أصحاب الكتب التسعة- عدا أحمد- بإيراد باب للرفق أو اكثر في مصنفاتهم ، وأوردوا في هذه الأبواب ماله علاقة بالرفق من الأحاديث ، و جاء التبويب فيها على النحو الآتي :

١- أورد البخاري باباً واحداً للرفق أسماه (باب الرفق في الأمر كله)٢

٢- أورد مسلم ثلاثة أبواب وهي :

باب فضل الرفق ٣ ، وباب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليها ٤ ، وباب رحمة النبي للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن ٥ .

٣- أورد الترمذي بابين هما :-

باب ما جاء في الرفق ٦ ، وباب ما جاء في انظار المعسر والرفق به ٧ .

٤- أورد النسائي بابين هما :-

باب إشارة الحاكم بالرفق ٨ ، وباب حسن المعاملة والرفق في المطالبة ٩ .

٥- أورد كل من أبي داود والدارمي وابن ماجة باباً واحداً في الرفق أسماه الأولان (باب في الرفق)١ وأسماه الثالث (باب الرفق)٢.

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الصلح - باب هل يشير الإمام بالصلح - ح٢٥٥٨ .

٢ (٢٢٤٢/٥)

٣ (٢٠٠٣/٤)

٤ (١٤٥٨/٣)

٥ (١٨١١/٤)

٦ (٣٦٧/٤)

٧ (٥٩٩/٣)

٨ (٢٤٥/٨)

٩ (٣١٨/٧)

٦ـ أورد مالك باباً واحداً في الرفق تحت اسم (باب الرفق بالمملوك)٣.

وبهذا يكون مجموع الأبواب اثنا عشر باباً موزعة على الكتب الثمانية ، سيقوم الباحث بإيراد الأحاديث التي وردت فيها ولم تذكر فيما سبق .

أ ـ صحيح البخاري : باب الرفق في الأمر كله :

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : (أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُزْرِمُوهُ ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ) ٤.

ب ـ صحيح مسلم : باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم :

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) ٥.

* عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)٦.

* عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ قال :(إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)٧.

وفي رواية عنه أيضا قال : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ : مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ الْجَنَّةَ)٨.

---

١ (٢٥٤/٤)،(٤١٦/٢)

٢ (١٢١٦/٢)

٣ (٩٨٠/٢)

٤ رواه في كتاب الأدب ـ ح ٥٦٧٩ .

٥ رواه في كتاب الامارة ـ ح ١٨٢٧ .

٦ رواه في كتاب الإمارة ـ ح ١٨٢٩ .

٧ رواه في كتاب الإمارة ـ ح ١٤٢ .

٨ رواه في كتاب الإمارة ـ ح ١٤٢ .

* حَدَّثَ الْحَسَنُ (أَنَّ عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ أَيْ بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَقَالَ لَهُ اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ إِنَّمَا كَانَتْ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ)[1].

ج - سنن الترمذي : باب ما جاء في انظار المعسر والرفق به :

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)[2].

* عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُوسِرًا وَكَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنْ الْمُعْسِرِ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ تَجَاوَزُوا عَنْهُ)[3].

د - سنن النسائي :

د/١ باب حسن المعاملة والرفق في المطالبة :

* عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ قَالَ لَا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ)[4].

---

١ رواه في كتاب الإمارة – ح ١٨٣٠ .

٢ رواه في كتاب البيوع عن رسول الله – ح ١٣٠٦ ، قَالَ أَبُو عِيسَى : حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

٣ رواه في كتاب البيوع عن رسول الله – ح ١٣٠٧ ، قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٤ رواه في كتاب البيوع – ح ٤٦٩٤ ، صححه الألباني ٩٧٠/٣.

وفي حديث آخر لأبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ : (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ وَكَانَ إِذَا رَأَى إِعْسَارَ الْمُعْسِرِ قَالَ لِفَتَاهُ تَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَاوَزُ عَنَّا فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ)[1].

* عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا الْجَنَّةَ)[2].

د/٢ باب إشارة الحاكم بالرفق :

* حَدَّثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ : (أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِرَاجِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ سَرِّحْ الْمَاءَ يَمُرُّ فَأَبَى عَلَيْهِ فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلْ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ يَا زُبَيْرُ اسْقِ ثُمَّ احْبِسْ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ قَالَ الزُّبَيْرُ إِنِّي أَحْسَبُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) الْآيَةَ)[3].

هـ ـ موطأ مالك : باب الأمر بالرفق بالمملوك :

* حَدَّثَ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يُكَلَّفُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ)[4].

و بَلَغَهُ : (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى الْعَوَالِي كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ فَإِذَا وَجَدَ عَبْدًا فِي عَمَلٍ لَا يُطِيقُهُ وَضَعَ عَنْهُ مِنْهُ)[5].

---

١ رواه في كتاب البيوع ـ ح ٤٦٩٤ ، صححه الألباني ٩٧١/٣.

٢ رواه في كتاب البيوع ـ ح ٤٦٩٦ ، صححه الألباني ٩٧١/٣ .

٣ رواه في كتاب آداب القضاة ـ ح ٥٤١٦ ، صححه الألباني ١١٠٠/٣.

٤ رواه في كتاب الجامع ـ ح ١٧٦٩ ، وأخرج نحوه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ح ١٦٦٢ .

٥ رواه في كتاب الجامع ـ ح ١٧٧٠ .

- عن عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قال وَهُوَ يَخْطُبُ : (لَا تُكَلِّفُوا الْأَمَةَ غَيْرَ ذَاتِ الصَّنْعَةِ الْكَسْبَ فَإِنَّكُمْ مَتَى كَلَّفْتُمُوهَا ذَلِكَ كَسَبَتْ بِفَرْجِهَا وَلَا تُكَلِّفُوا الصَّغِيرَ الْكَسْبَ فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَجِدْ سَرَقَ وَعِفُّوا إِذْ أَعَفَّكُمْ اللَّهُ وَعَلَيْكُمْ مِنْ الْمَطَاعِمِ بِمَا طَابَ مِنْهَا)[1].

وبعد فإن لهذه الأحاديث دلالات تربوية كثيرة أهمها :

١- عدم التجريح ومس الكرامة
٢ - البعد عن التعنيف ، وضرورة الملاطفة
٣- التواضع وعدم التكبر
٤- إظهار الحرص على المدعوين
٥- التيسير وعدم التعسير
٦- ضرورة تقديم النصيحة للآخرين

كما أن هذه النصوص تقتضي من الداعية المربي مجموعة من الأمور منها : -

١- هداية الناس
٢- التيسير عليهم
٣- اختيار أيسر الأمور
٤- اختيار الكلام الحسن
٥- التعامل مع الناس بلطف

وينبني على هذه الأحاديث مجموعة من الآثار مثل الاستمرارية في أحلام الناس ، والتهوين مما يلاقيه المربون والدعاة من أهل الفساد ، وعدم التشدد والغلو في الدين

ومن الجدير ذكره أن هناك أحاديث أخرى فيها دلالة واضحة على الرفق لم يبوبها أصحاب الكتب التسعة في أبواب الرفق ، سيقوم الباحث بعرضها في أثناء بحثه.

---
١ رواه في كتاب الجامع - ح ١٧٧١.

أهم ما تضمنه الفصل :

- يعرف الرفق بانه : كل أصل يدل على اليسر والسهولة واللين والبعد عن العنف بما لا يصل حد الاستهانة والضعف .
- للرفق ألفاظ كثيرة تشاركه في بعض معانيه كالرحمة والرأفة والرقة واللين والسماحة وغيرها يمكن تقسيمها إلى مجموعات ثلاث :

المجموعة الأولى : ألفاظ يغلب عليها أنها نفسية : كالرحمة والرقة والرأفة . و المجموعة الثانية : ألفاظ يغلب عليها أنها سلوكية حركية: كاللين واللطف والسماحة . والمجموعة الثالثة : ألفاظ يغلب عليها أنها سلوكية حركية عارضة : كالعفو والحلم والمغفرة .

- هناك علاقة وثيقة بين الرحمة والرفق ، تتلخص في أن الرحمة تشكل أصلا نفسيا للرفق فهي قلبية ذات دلالة سلوكية، والرفق ترجمة عملية للرحمة فهو سلوك له أصل نفسي ، ولذلك استخدمهما العلماء كمفهومين متقاربين ، من باب أن الأصل يدل على الفرع ، والفرع يشير إلى الأصل .
- يشارك الرحمة في العلاقة مع الرفق كل من الرقة، والرأفة، وتعتبر هذه الألفاظ أصولا نفسية للرفق ، ويعتبر الرفق ترجمة عملية لها،مع العلم أنه كثيرا ما يكون فيها دلالة على السلوك، سواء كان سلوكا لازما أو عارضاً.
- إذا نظرنا إلى ألفاظ اللطف والسماحة واللين والهون والتيسير لاحظنا ظهور الجانب السلوكي فيها ، فهي أقرب إلى العمل منها إلى التصور النفسي ، كما أنها قد تستخدم للتعبير عن الجانب النفسي والسلوكي معا، وبذلك تقترب هذه الألفاظ كثيرا من مفهوم الرفق الذي حددناه ، وأنه ينتمي إليها ابتداءً ، وقد يكون مع غيرها تبعا لاختلاف السياق والمراد منه .

- إذا نظرنا إلى ألفاظ الصفح والمغفرة والعفو والحلم لاحظنا:

١. أنها جميعا تدل على السلوك.

٢. أن هذا السلوك ليس دائما ، بل يحتاج إلى سلوك سابق له ، فهي سلوكيات عارضة.

٣. أنها تحتاج إلى أصل نفسي مغروس في النفس حتى تتحقق .

٤. أما عن علاقتها بالرفق فإنها لا تعدو عن كونها نتيجة له إن اعتبرناه دالا على السلوك والأصل النفسي معا ، أما إن اعتبرناه دالا على السلوك فقط ، فإن هذه الألفاظ تكون سببا لوجوده.

- اتفق أهل اللغة على التضاد بين الرفق والعنف.
- من خلال النظر في المعنى اللغوي ومن خلال تتبع النصوص يتبين أن العنف : هو كل سلوك فيه مشقة وتعسير وعنت أو فحش وملامة وتأنيب .
- من خلال النظر في معنى العنف يتضح أن هناك مجموعة من الألفاظ نستطيع اعتبارها ضداً للرفق - أو مظاهراً للعنف - ومن أهمها : القسوة والغلظة والشدة والمشقة والخشونة والعنت والملامة والتأنيب والفحش .
- الرفق وسط بين نوعين من السلوكيات :

النوع الأول : السلوكيات التي تمتاز بالعنف والشدة والقسوة .

النوع الثاني : السلوكيات التي يكون فيها تماديا بالرفق إلى حد الضعف والاستهانة

- وردت مادة [رَفَقَ] في القرآن الكريم في خمسة مواضع فقط ، ولم تشر أي من هذه المواضع إلى معنى الرفق الذي حددناه .

- بالنظر إلى آيات الرفق في القرآن الكريم نجد أنها جاءت على قسمين :

الأول : فيه إشارة إلى آيات الرفق بلفظ قريب منه : كاللين واللطف والرحمة والرأفة وخفض الجناح والصفح والعفو والمغفرة والتيسير والإحسان والهون والمودة .

والثاني: فيه إشارة ودلالة على موضوع الرفق دون ورود لفظه أو لفظ مقارب له في المعنى .

- وردت أحاديث الرفق في الكتب التسعة على أشكال متعددة، فمنها ما جاء فيه أمر بالرفق أو ترغيب فيه ، ومنها ما جاء فيه الرفق وصفا للرسول أو وصفا لغيره، ومنها ما جرى لفظ الرفق فيه على لسانه صلى الله عليه وسلم أو على لسان غيره ، ومنها ما وردت في أبواب الرفق ولم يرد لفظ الرفق فيها .

الفصل الثاني

مظاهر الرفق في الإسلام

المبحث الأول : مظاهر رفق الله عز وجل

المطلب الأول : اتصاف الخالق بالرحمة والرفق

المطلب الثاني : إرسال الرسول رحمة للعالمين

المطلب الثالث : تكريم الإنسان بالعقل مناط التكليف

المطلب الرابع : التوبة والمغفرة والشفاعة

المبحث الثاني : مظاهر الرفق في التشريع الإسلامي

المطلب الأول : مقاصد الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني : أنوع المصلحة المقصودة من التشريع

المطلب الثالث : قواعد تحقيق المصلحة

المبحث الثالث : الآثار التربوية المترتبة على معرفة مظاهر الرفق

المطلب الأول : الآثار النفسية

المطلب الثاني : الآثار السلوكية

المطلب الثالث : الآثار الاجتماعية

يؤمنون))١. وقال : ((فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ))٢. واتساع رحمة الله عز وجل فيها دلالة على اتساع رفقه ، وذلك أن الرفق مظهر من مظاهر الرحمة - كما قررنا في الفصل الأول من هذه الدراسة - فكلما زادت آثار الرحمة الإلهية زادت آثار رفقه عز وجل .

ومن مظاهر سعة رحمة الله وعظيم رفقه بعباده عز وجل :

أولاً : أنه جعل الرحمة مائة جزء ، ووضع جزءاً واحداً بين الخلق ليتراحموا فيما بينهم :

من سعة رحمته عز وجل أنه جعل الرحمة مائة رحمة ، أمسك عنده منها تسعا وتسعين ، وأنزل رحمة واحدة بين الإنس والجن والبهائم والهوام يتعاطفون بها ويتراحمون ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ..)٣. وقَالَ : (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ ؛ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)٤. فإذا كانت جميع مظاهر التراحم بين الخلق ناتجة عن رحمة واحدة ، فكيف الحال في ظل تسع وتسعين رحمة ؟.

ثانيا : أن الله عز وجل أرحم بعباده من الوالدة بولدها :

الناظر إلى قلب الأم وما تحمله من حب لأبنائها يعلم عظيم الرحمة التي تشعر بها نحوهم ، حتى أنها تضحي بنفسها من أجل ابنها ، وتكون كالشمعة التي تحترق لتضيء الطريق له . ومن عظيم رفق الله ورحمته بعباده أنه أرحم من هذه الأم بأولادها - رغم ما تحمله من رحمة - وهذا ثابت في السنة الشريفة فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ

---

١ الأعراف: (١٥٦).

٢ الأنعام : (١٤٧).

٣ رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق - باب الرجاء والخوف - ح٦١٠٤.

٤ رواه مسلم في الصحيح - كتاب التوبة - باب سعة رحمة الله ح٢٧٥٢.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا : لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ : لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)[1]. وفي حديث آخر (بَيْنَمَا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس بين أصحابه إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءٌ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ قَدْ الْتَفَّ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَمَرَرْتُ بِغَيْضَةِ شَجَرٍ فَسَمِعْتُ فِيهَا أَصْوَاتَ فِرَاخِ طَائِرٍ فَأَخَذْتُهُنَّ فَوَضَعْتُهُنَّ فِي كِسَائِي فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ مَعَهُنَّ فَلَفَفْتُهُنَّ بِكِسَائِي فَهُنَّ أُولَاءِ مَعِي قَالَ : ضَعْهُنَّ عَنْكَ ، فَوَضَعْتُهُنَّ وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الْأَفْرَاخِ فِرَاخَهَا قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْأَفْرَاخِ بِفِرَاخِهَا ، ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ ، فَرَجَعَ بِهِنَّ)[2].

ثالثا : أن رحمته عز وجل غلبت غضبه :

كثيرا ما يعصي الإنسانُ ربَّه عز وجل ، فلو وقع غضب الله وعقابه على كل عاص حال معصيته لهلك الناس ، ولكن رحمة الله بهذا الإنسان واسعة حيث غلبت رحمته غضبه وسبق عفوه عقوبته ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)[3].

رابعا : مضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات :

تمام العدل أن يعطى الإنسان حقه ؛ فإن عمل خيرا أثيب عليه ، وإن عمل شرا جوزي به ، ومن عظيم رفق الله بنا أنه يضاعف أجر الخير ويبقي وزر الشر بلا مضاعفة أو يمحوه إن شاء . ولو تخيل الإنسان أن الوزر يضاعف لضاقت نفسه وزاد همه ، ولكن الله رفيق بعباده رحيم بهم ، عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنْ رَبِّهِ قَالَ : (إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَحِيمٌ ؛ مَنْ هَمَّ

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته - ح٥٦٥٣.

٢ رواه أبو داود في السنن - كتاب الجنائز - باب الأمراض المكفرة للذنوب - ح٣٠٨٩ ، ضعفه الألباني .

٣ رواه البخاري في الصحيح - كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق - ح٣٠٢٢.

بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَةً إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ وَاحِدَةً أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا هَالِكٌ)[1] . وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً)[2].

<u>خامسا : أن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً</u> ،إذ ليس لنا من الأعمال ما نرجو بها العفو ، ولكن نرجو ذلك برحمته وكرمه عز وجل ، قال تعالى : ((قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[3] عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ وَرُبَّمَا قَالَ :أَصَبْتُ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَرُبَّمَا قَالَ :أَصَابَ ذَنْبًا قَالَ : قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ :أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ)[4].

<u>سادسا : أن من وحد الله نجا :</u>

مما يدل على سعة رحمة الله عز وجل أنه يدخل الجنة كل من قال لا إلـه إلا الله ومات على ذلك ، وإن زنى وسرق وإن فعل من المعاصي ما فعل رحمة منه وفضلا ، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ

---

[1] رواه أحمد في المسند ـ كتاب ومن مسند بني هاشم ـ باب بداية مسند عبد الله بن عباس ـ ح٢٣٨٨.
وأخرج نحوه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ـ ح١٣٠.

[2] رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار ـ باب فضل الذكر والدعاء ـ ح٢٦٨٧.

[3] الزمر (٥٣).

[4] رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله ـ ح٧٠٦٨.

وَهُوَ نَائِمٌ ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ : (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ ..)[١].

وعَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: (يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ..)[٢].

و في حديث البطاقة :(إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَفَلَكَ عُذْرٌ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ احْضُرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَقَالَ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)[٣].

سابعا : ومن سعة رحمته تعالى أنه يكشف الكروب ، ويغيث المضطرين ، ويفرج هم المهمومين ، وقد جاء على لسان أيوب عليه السلام في قوله تعالى : ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ))[٤]. [٥]

ثامنا : جميع النعم الدنيوية تدل على سعة رحمته عز وجل ، فالصحة والمال والبنون وصلاح الذرية والأزواج ، ونزول الغيث من السماء وتسخير المخلوقات تؤكد على

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب اللباس ـ باب الثياب البيض ـ ح٥٤٨٩.

٢ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب زيادة الإيمان ونقصانه ـ ح٤٤ .

٣ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب الإيمان عن رسول الله ـ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ـ ح٢٦٩٣ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

٤ الأنبياء (٨٣).

٥ انظر الميداني ـ عبد الرحمن حسن حبنكة ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ـ مؤسسة الريان ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ـ ص٣٣٠ بتصرف.

عظيم رحمة الله تعالى ((فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))١. ((وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))٢.

فانظر إلى هذا الفيض من الرحمات الربانية التي اختص بها بني البشر، فكل نفس يتنفسه الإنسان يحمل في نسماته عظيم رفق الله فينا ، ثم انظر إلى ما يتركه هذا الرفق من آثار جليلة في نفوس العباد " فليس ذلك الحنان الذي نراه في قلوب الآباء والأمهات في أفراد النوع الإنساني - وسائر أنواع الحيوان - مما يسوقهم سوقاً اضطرارياً إلى تعهد الولد ومراعاته في كل ما يجب له ، ولا تلك الشفقة التي تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوما ضعيفاً أو فقيرا بائساً ،إلا أثراً من آثار تلك الرحمة الإلهية . كما أن مواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التي حث عليها الدين وندبت إليها الشريعة ، وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية ،التي قامت بها السماوات والأرض " ٣.

---

١ الروم (٥٠)

٢ القصص (٧٣)

٣ الدجوي - يوسف - من أخلاق الإسلام في كتاب الإسلام ومكارم الأخلاق بأقلام عشرة من العلماء - دار الكتاب العربي - د.م - د.ط - د.ت - ص٦٩.

المطلب الثاني | إرسال الرسول رحمة للعالمين |

من رفق الله عز وجل بعباده أن جعل غريـزة التدين [الدين الغريـزي][1] فـي نفوسهم أصلا من أصول الفطرة ، فلا يوجد أحد مـن البشـر إلا ولديـه شـعور وجدانـي بسلطان غيبي فوق قوى الكون والسنن والأسباب التي قام بها نظام كل شيء في العالم .
ومن كمال رفقه تعالى أن جعل إرسال الرسل [الدين التعليمي] حاجـة فطريـة مكملـة لغريزة الدين عند البشر ومانعة من فساد الفطرة بالاتجاه إلى عبادة الأوثـان أو الشـمس أو القمر .
ولا يخفى على أحد ما لإرسال الرسل بما يوافق فطرة الناس من أثر عظيم في استقرار نفوسهم ، وإنقاذهم من التخبط في الضلال ، لأن الرسل عليـهم السلام جـاءوا لإرشـاد الناس إلى سبيل الإله الذي مالت إليه النفوس بفطرتها ، فوجهوا الناس إلى ربهم وإلـى الطريق الموصل له و لعبادته .

ولذلك امتن الله تعالى على هـذه الأمـة بإرسـاله للرسـول صلـى الله عليه وسـلم معلما ومربيا بعد أن كان الناس في ضلال مبين فقال :((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَـى الْمُؤْمِنِيـنَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُزَكِّيـهِمْ وَيُعَلِّمُـهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))[2] فهي منة إلهيـة متمثلـة فـي رسـالة النبـي صلـى الله عليه وسلم إلى هذه الأمة [3].

---

[1] قسم الأستاذ محمد رشيد رضا الدين إلى دين غريزي ودين تعليمي وذكر أن الدين التعليمي من حاجات الفطرة كالدين الغريزي وأنه لايتم كمال الفطرة بدونه ، فهو لنوع الإنسان كالعقل لأفراده . انظر رضا ـ محمد رشيد ـ الوحي المحمدي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١٠ ـ ١٩٨٥ـ ص ١٥٨ .

[2] آل عمران (١٦٤)

[3] انظر قطب ـ سيد ـ في ظلال القرآن ـ دار الشروق ـ د.م ـ ط٩ ـ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ـ ١/٥٠٠.

الفرع الأول : الغاية من إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم :

زيادة في المنة الإلهية والرفق والكرم جعل الله غاية إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، فقال : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ))١. يقول سيد قطب في التعليق على هذه الآية : لقد أرسل الله رسوله رحمة للناس كافة لأن المنهج الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة ، ولقد كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده ٢، ومن الدلالات التي تشير إليها هذه الآية الكريمة :-

١- أن إرسال الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان رحمة في العقيدة ورحمة في التشريع ورحمة في الأخلاق .

٢- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رحمة للمدعوين ميسرا عليهم

٣- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن فظا غليظا في دعوته

٤- شمول هذا الخطاب للدعاة من بعده صلى الله عليه وسلم

الفرع الثاني : صفات النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على الرفق :

لما كانت الغاية من إرسال الرسول هي رحمة العالمين أراد الله له أن يتصف بصفات الرفق والرحمة ليكون صلى الله عليه وسلم رحمة في ذاته كما هو رحمة في رسالته ، فقال تعالى في وصفه صلى الله عليه وسلم : ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))٣ فلم يقل جاءكم رسول منكم ، ولكن قال : من أنفسكم ، وهي أشد حساسية وأعمق صلة وأدل على نوع الوشيجة التي تربطهم به ، فهو بضعة من أنفسهم يتصل بهم صلة النفس بالنفس ، وهي أعمق وأحس . وقال : عزيز عليه ما عنتم :أي يشق عليه عنتكم و مشقتكم ، وهو

---

١ الأنبياء (١٠٧)

٢ انظر قطب - الظلال - ٢٤٠١/٤ - ٢٤٠٢.

٣ التوبة (١٢٨)

حريص عليكم لا يلقي بكم في المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوي [1]، و بعد ذلك فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

وهذه الصفات التي اتصف بها صلى الله عليه وسلم وغيرها مما يدل على الرفق، ورد وصفه بها في التوراة ، فقد ذكر كعبٌ و عَبْد اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم مجموعة من الأوصاف التي وردت في التوراة للرسول صلى الله عليه وسلم ومنها : (لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ)[2].

كما أنه وصف بالرفق قبل أن يبعث حيث وصفته السيدة خديجة بقولها :(إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)[3] وكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ) [4].

وللرسول الرفيق صلى الله عليه وسلم صفة خاصة في معاملته لأصحابه فيها دلالة واضحة على الرفق بينها الله له فقال : ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ))[5] ، وقال : ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))[6] . فهو اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة ، صورة خفض الجناح كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط ، وكذلك كان رسول الله عليه السلام مع المؤمنين طوال حياته ، فقد كان خلقه القرآن وكان هذا الترجمة الحية الكاملة للقرآن الكريم [7]. والتعبير عن اللين والمودة

---

[1] انظر قطب ـ الظلال ـ ١٧٤٣/٣.

[2] رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب البيوع ـ باب كراهية السخب في السوق ـ ح٢٠١٨ والدارمي في السنن ـ كتاب المقدمة ـ باب صفة النبي في الكتب قبل البعثة ـ ح ٥.

[3] رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب بدء الوحي ـ باب بدء الوحي ـ ح ٤ .

[4] رواه الترمذي في السنن ـ كتاب المناقب عن رسول الله ـ باب ما جاء في صفة النبي ـ ح٣٦٣٨. وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ليس إسناده بمتصل .

[5] الشعراء (٢١٥)

[6] الحجر(٨٨)

[7] انظر قطب ـ الظلال ـ ٢٦٢٠/٥.

والعطف بخفض الجناح تعبير حيوي يمثل لطف الرعاية وحسن المعاملة ورقة الجانب في صورة محسوسة على طريقة القرآن في التعبير ١.

أما عن حاله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فقد ظهر جليا في قوله تعالى ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ))٢ . وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثالا للرحمة بالأمة والأتباع : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ((رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)) الْآيَةَ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام ((إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ وَهُوَ أَعْلَمُ فَقَالَ اللَّهُ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ)٣ .

وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصفا حاله مع أمته : (مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي)٤.وفي رواية أخرى : (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ)٥.

وكان صلى الله عليه وسلم رحمة على القريب والبعيد ، عزيز عليه أن يدخل على الناس مشقة ، فكان يخفف بالناس مراعاة لأحوالهم ، وربما أراد أن يطيل في الصلاة فيسمع بكاء الطفل فيخفف لئلا يشق على أمه ، ولما بكت أمامة بنت زينب ابنته

---

١ انظر قطب ـ الظلال ـ ٢١٥٤/٤.

٢ الفتح (٢٩)

٣ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب دعاء النبي لأمته وبكائه عليهم ـ ح٢٠٢.

٤ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب شفقته على أمته ـ ح٢٢٨٥.

٥ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب شفقته على أمته ـ ح ٢٢٨٣.

حملها وهو يصلي بالناس ،فإذا سجد وضعها ، وإذا قام رفعها ، وسجد مرة فصعد الحسن على ظهره ، فأطال السجود ، فلما سلم اعتذر للناس وقال :(وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ)١ وقال : (إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمْ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ)٢ وقال لمعاذ لما طول بالناس : (يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ أَوْ أَفَاتِنٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ) وقال : (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ)٣ وربما ترك العمل خشية أن يفرض على الناس وكان يتخول أصحابه بالموعظة .

وكان أحلم الناس وأوسعهم صدرا ، وأدمثهم خلقا وألطفهم عشرة ، فقد كان يكظم غيظه ويعفو ويصفح ويغفر لمن زل ، ويتنازل عن حقوقه الخاصة ما لم تكن حقوقا لله . وقد واجهه الأعراب بالجفاء وسوء الأدب ، فحلم وصفح ، وقد امتثل أمر ربه في قوله: ((فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ))٤ فكان لا يكافئ على السيئة بالسيئة ، بل يعفو ويصفح ، وكان لا ينفذ غضبه إذا كان لنفسه ، ولا ينتقم لشخصه ، بل إذا غضب ازداد حلما ، وربما ابتسم في وجه من أغضبه فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً قَالَ أَنَسٌ: فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)٥ ، وكان يبلغه الكلام السيئ فيه ، فلا يبحث عمن قاله

---

١ رواه النسائي في السنن - كتاب التطبيق باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة - ح١١٤١ ، صححه الألباني ٢٤٦/١ .

٢ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الصلاة - باب أمر الأمة بتخفيف الصلاة - ح٤٦٧ .

٣ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجمعة - باب السواك يوم الجمعة - ح٨٤٧ .

٤ الحجر (٨٥)

٥ رواه البخاري - كتاب الأدب - باب التبسم والضحك - ح٥٧٣٨ ، ومسلم في الصحيح - كتاب الزكاة - باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة - ح١٠٥٧ .

ولا يعاتبه ولا يعاقبه . وورد عنه انه قال : (لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ)١ .

وقد أوذي من خصومه في رسالته وعرضه وسمعته وأهله ، فلما قدر عليهم عفا عنهم وحلم عليهم . وقال له رجل : اعدل ، فقال : (خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ)٢ ، ولم يعاقبه بل صفح عنه . وواجهه بعض اليهود بما يكره ، فعفا وصفح . وقد وسع بخلقه وتسامحه الناس ، وأطفأ بحلمه نار العداوات ممتثلا قول ربه : ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ))٣.

وكان مع أهله أرفق الناس ،يمازحهم ويلاطفهم ويعفو عنهم فيما يصدر منهم ، ويدخل عليهم بساما ضحاكا ، يملأ قلوبهم وبيوتهم أنسا وسعادة ، يقول خادمه أنس بن مالك : (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ لَا وَاللَّهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ وَلَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَهُ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ أَلَّا فَعَلْتَهُ)٤ وهذا غاية الحلم ونهاية حسن الخلق ، وقمة جميل السجايا ولطيف العشرة ، بل كان كل من رافقه أو صاحبه أو بايعه يجد من لطفه ووده وحلمه ما يفوق الوصف ، حتى تمكن حبه من القلوب فتعلقت به الأرواح ومالت له نفوس الناس بالكلية .

كل ذلك رحمة منه صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : (وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا)٥ ويقول : (بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)٦ ويقول : (إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ

---

١ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب المناقب ـ باب فضل أزواج النبي ـ ٣٨٩٦. قال ابو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه . واخرجه أحمد في المسند ـ مسند المكثرين من الصحابة ـ مسند عبد الله بن مسعود ـ ح ٣٥٧١ ، قال شاكر إسناده حسن ح ٣٧٥٩ .

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الزكاة ـ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ـ ح ١٠٦٦.

٣ المؤمنون (٩٦)

٤ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ باقي المسند السابق ـح ١٢٥٦١ ، وأخرج نحوه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ـ ح ٢٣٠٩.

٥ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل ـ ح٦٠٩٨ .

٦ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ حديث أبي أمامة ـ ح ٢١٢٦٠ ن قال شاكر : إسناده حسن ح ٢٢١٩٢ .

أيْسَرُهُ)[1] ويقول : (خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا)[2] ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، وأنكر على الثلاثة الذين شددوا على أنفسهم في العبادة ، وقال : (أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[3] ، وأفطر في سفر في رمضان ، وقصر الرباعية ، وجمع بين الظهر والعصر ،وبين المغرب والعشاء في السفر ، ونادى مؤذنه في المطر أن صلوا في رحالكم ، وقال : (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)[4] ، وأنكر على عبد الله بن عمرو بن العاص إرهاق نفسه بالعبادة . ويروى عنه قوله : (إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ)[5] ، وقال : (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[6] وهذا اليسر في حياته عليه الصلاة والسلام يوافق يسر الملة وسهولة الشريعة ، وهو امتثال صلى الله عليه وسلم لقول ربه : ((وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى)) [7]، ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وسعَها))[8]، ((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) [9]، ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ))[10] ، ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) [11].. وغيرها من الآيات .

فهو صلى الله عليه وسلم سهل ميسر رحيم في رسالته ودعوته وعبادته وصلاته وصومه وطعامه وشرابه ولباسه وحله وترحاله وأخلاقه ، بل حياته مبنية على اليسر ؛ لأنه جاء لوضع الآصار والأغلال عن الأمة ، فليس اليسر أصلا إلا معه ، ولا يوجد

---

[1] رواه أحمد في المسند ـ مسند المكين ـ حديث أعرابي ـ ح١٥٣٧١، قال شاكر :إسناده صحيح ، ح ٢٠٢٢٧.

[2] رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الصيام ـ باب صيام النبي في غير رمضان ـ ح٧٨٢.

[3] رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ـ ح٤٧٧٦.

[4] رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب العلم ـ باب هلك المتنطعون ـ ح٢٦٧٠.

[5] رواه أحمد في المسند ـ أول مسند الكوفيين ـ حديث أبي موسى ـ ح ١٨٩١٧ ، قال شاكر : إسناده صحيح ، ح ١٩٥٦٦.

[6] رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ باب الإقتداء بسنن رسول الله ـ ح٦٨٥٨.

[7] الأعلى (٨)

[8] البقرة (٢٨٦)

[9] التغابن (١٦)

[10] البقرة (١٨٥)

[11] الحج (٧٨)

اليسر إلا في شريعته ، فهو اليسر كله ، وهو الرحمة والرفق بنفسه ، صلى الله عليه وسلم .[1]

وقد تجلت آثار رفقه صلى الله عليه وسلم في المظاهر الآتية :

١ـ حرصه صلى الله عليه وسلم على هداية الناس .

٢ـ صبره صلى الله عليه وسلم على أذاهم .

٣ـ ادخار دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة .

٤ـ التيسير على الناس وعدم التعسير عليهم واختيار أيسر الأمور ما لم يكن إثما .

٥ـ حسن الكلام عند مخاطبة الناس .

٦ـ قلة التكاليف التي جاء بها صلى الله عليه وسلم ، ومراعاة أصحاب الأعذار وتشريع الرخص تخفيفا على الناس .

ومن أهم الآثار التي تنبني على هذه المظاهر ، دفع الداعية إلى الاستمرار بالدعوة ، وبعده عن اليأس ، وتهوين ما يلقاه من الأذى والعذاب من أهل الجهل والغفلة .

---

١ انظر القرني ـ عائض بن عبد الله ـ كتاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ـ ص٥٣

المطلب الثالث : تكريم الإنسان بالعقل مناط التكليف :

العقل أسمى شئ في الإنسان ، وأبرز ميزة وصفة تميزه عن بقية المخلوقات ، وهو أعظم منحة من رب العالمين ليرشد الإنسان إلى الخير ويبعده عن الشر ويكون معه مرشدا ومعينا ، والعقل محل التكريم والتفضيل للإنسان [1] ، ومن رفق الله بالإنسان أن جعل العقل مناطا للتكليف ، بعد أن جعله سببا في تكريم الإنسان وتفضيله عن بقية المخلوقات ، وذلك أن فهم الإنسان لما يطلب منه وجوبا أو تحريما، يحدث عنده توازنا واستقرارا ويبعده عن التضارب بين ما يمليه عليه التشريع وبين ما يمليه عليه تفكيره وفي هذا رفق بالإنسان .

وقد جاء المصدر الأول للتشريع بكثير من الأدلة التي تدعو الإنسان إلى استخدام عقله، وتدعو العقل إلى التفكر والتعلم .

الفرع الأول : الدعوة إلى استخدام العقل :

ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن الحكيم زهاء خمسين مرة وذكر أولو الألباب أي العقول في بضع عشرة مرة ، وأما أولو النهى - أي العقول - فقد جاءت مرة واحدة من آخر سورة طه [2].

وأكثر ما ذكر فعل العقل في القرآن جاء في الكلام على آيات الله وكون المخاطبين بها والذين يفهمونها ويهتدون بها العقلاء ، ويراد بهذه الآيات في الغالب آيات الكون الدالة على علم الله ومشيئته وحكمته ورحمته ، كقوله تعالى : ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))[3] ويلي ذلك في

---

[1] انظر الزحيلي - محمد - مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان - في حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة - كتاب الأمة - وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية - العدد٨٧ - ١٤٢٣هـ - ص ١٠٦ .

[2] انظر رضا - الوحي المحمدي - ص ١٦١

[3] البقرة (١٦٤)

الكثرة آيات كتابه التشريعية ووصاياه ، كقوله في تفصيل الوصايا الجامعة من أواخر سورة الأنعام : ((ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))١ . وكرر قوله [أفلا تعقلون] أكثر من عشرة مرات ، كأمره لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يحتج على قومه بكون القرآن من عند الله لا من عنده بقوله : ((فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))٢ .

وجعل القرآن إهمال استعمال العقل سبب عذاب الآخرة بقوله في أهل النار من سورة الملك : ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ))٣ وما في معناه قوله تعالى من سورة الأعراف : ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))٤ وقوله في سورة الحج : ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا))٥ .

ولاستخدام العقل مجموعة من الثمرات التربوية أهمها :

١ـ الشعور بالمسؤولية

٢ـ الارتباط مع الله عز وجل .

٣ـ الارتباط مع البشر .

٤ـ الارتفاع عن شهوات الدنيا.

٥ـ منح الإنسان الحرية الكاملة في فعل الخير .

---

١ الأنعام (١٥١)

٢ يونس (١٦)

٣ الملك (١٠)

٤ الأعراف (١٧٩)

٥ الحج (٤٦)

الفرع الثاني : الدعوة إلى التفكر :

آيات النظر العقلي والتفكر كثيرة في الكتاب العزيز ، فمن تأملها علم أن أهل هذا الدين هم أهل النظر والتفكير والعقل والتدبر ، وأن الغافلين عن الدين يعيشون كالأنعام ، لاحظ لهم منه إلا الظواهر التقليدية التي لا تزكي الأنفس ولا تثقف العقول ، ولا تصعد بها في معارج الكمال ، ومنها قوله تعالى : ((قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا))١ وقوله : ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى))٢ وقوله في صفات العقلاء أولي الألباب: ((وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))٣ وقوله بعد نفي علم الغيب والتصرف في خزائن الأرض عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحصر وظيفته في اتباع الوحي : ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ))٤ .

وقد صرح بعض الحكماء أن التفكر هو مبدأ ارتقاء البشر ، وبقدر جودته يكون تفاضلهم ٥. والتفكر في الإسلام فريضة دينية لإعمال العقل ، وحثه على النظر في الكون والحياة وفي الأرض والسماء ، ومنحه الحرية في الاعتقاد والتدين ، وحرية التفكير المرتبط بالبحث لكشف الحقائق ومعرفة أسرار الكون والاستفادة مما فيه .

ولكن هذه الحرية ليست مطلقة وإلا أدت إلى الفوضى والدمار والتناقض ، ولذلك فإن للحرية قيدين أساسيين : الأول : أن تتوقف حرية الشخص عند حرية الآخرين ، والثاني: أن تتقيد حرية التفكير في حدود العقل وإمكاناته المادية دون الغيبية ٦، ومن الأمور التي ينبغي للمسلم أن يتفكر بها :

١ـ التفكر في آيات الله .

٢ ـ التفكر في آلاء الله ونعمه .

---

١ سبأ (٤٦)

٢ الروم (٨)

٣ آل عمران (١٩١)

٤ الأنعام (٥٠)

٥ رضا ـ الوحي المحمدي ـ ص١٦١ .

٦ انظر الزحيلي ـ مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان ـ ص١٠٩ .

٣ـ التفكر في الثواب والعقاب وما أعده الله للمتقين وما أعده للعصاة الغافلين .

٤ـ التفكر في إحسان الله لعباده .

٥ـ التفكر في جميع الأعمال خيرها وشرها .

٦ـ التفكر في عاقبة الدنيا .

وللتفكر مجموعة من الثمرات على المسلم أهمها :

١ـ العمل بطاعة الله والبعد عن معصيته

٢ـ معرفة عظمة الله وقدرته .

٣ـ الزيادة في حسنات المسلم وأجره عند الله إذ أن التفكر عباده .

الفرع الثالث : الدعوة إلى العلم :

موقف الإسلام من العلم كان العامل الأول والفاعل الأساسي وراء الانتقال بالجماعة العربية من الجاهلية وبداوتها إلى العلم وحضارته، فالاستهلال الذي بدأ به الوحي رسالة الإسلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كان استهلالا يعلن ميلاد طور جديد للإنسانية ، بلغت فيه سن الرشد والنضج ، فكانت كلمته الأولى ـ في الأمة الأمية ، وإلى النبي الأمي ، وبصيغة الأمر والوجوب ـ هي: [اقرأ] وحتى يوضع هذا التكليف ـ الذي يبدو غريبا ، بل ومستحيلا على التحقيق ـ حتى يوضع في الإطار الذي يؤكد إمكانه ، اقترن الأمر [اقرأ] بالحديث عن قدرة الشارع ، سبحانه وتعالى ، وعن نعمه وآلائه ، ومنها العلم ، والتعليم ((اقرَأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقرَأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))١، إنه تكليف واجب بدأت به آيات القرآن ، وصاحب هذا التكليف سبحانه ((الرَّحْمَانُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ))٢ الذي أقسم فقال : ((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ))٣. ١

---

١ العلق (١ ـ ٥)

٢ الرحمن (١ ـ٤)

٣ القلم (١)

إن العلم ، بنظر القرآن الكريم ، قد كان السر والسبب الذي من أجله استحق الإنسان شرف الخلافة ، في الأرض .. ففاز بهذا الشرف دون سائر المخلوقات ، بمن فيهم الملائكة المقربون ..((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ))٢.. لقد رجح العلم كفة من في طبيعته الخطأ على الملائكة المقربين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . !

والعلم طريق الجنة وطريق السعادة ، وبه يهتدي الإنسان إلى العمل الطيب الصالح الذي يقربه من خالقه عز وجل ، والعلم بنظر القرآن هو سبب الإيمان والسبيل إليه ، فطريق معرفة الله فيه : العقل ، ومناط التكليف فيه : العقل ، ووحيه معجزة عقلية ؛ لا تدهش العقل ، وإنما ترعى وتشحذ وتنمي ما له من قدرات وملكات .. لقد حدد الإسلام ،في حسم ووضوح ،أن العلم هو سبب الإيمان وسبيل التصديق بالدين ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ))٣

ذلك هو موقف الإسلام من العلم .. لقد تجاوز به نطاق الحق إلى حيث جعله فريضة إلهية .. وضرورة إنسانية .. وبنص حديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

---

١ عمارة ـ محمد ـ الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق ـ عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت ـ العدد ٨٩ ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ـ ص ٦٩ـ٧٠

٢ البقرة (٣٠ ـ ٣٣)

٣ فاطر (٢٧ ـ ٢٨)

(طَلبُ العِلمِ فريضَةٌ علَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[1].. إنه ضرورة ، وفرض عين على كل إنسان ، وليس مجرد حق من الحقوق ، يباح لصاحبه التنازل عنه بالاختيار ، دون إثم أو حرج أو تثريب .. وحتى عندما يكون تخصصا يعز تحصيله على الكافة والجمهور ، ودرجة من التحصيل لا يبلغها إلا الراسخون في العلم ، نراه ، بنظر الإسلام فرض كفاية ، أي فريضة اجتماعية واجبة على مجموع الأمة ، يقع الإثم على الأمة جمعاء إذا حدث التفريط فيه ! .. ((وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ))[2].[3]

وبذلك تكون دعوة القرآن الكريم إلى العلم والتفكر واستخدام العقل دعوة سامية ترتقي بالإنسان ، وتبعده عن التخبط الذي يحدثه التضاد بين العقل والدين في الأديان الوضعية والسماوية المحرفة . وهذا تمام الرفق بالإنسان وعقله ومصدر من مصادر الراحة النفسية والاطمئنان والسعادة .

---

[1] رواه ابن ماجة في السنن - كتاب المقدمة - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم - ح٢٢٤، صححه الألباني ٤٤/١.

[2] التوبة (١٢٢)

[3] انظر عمارة - الإسلام وحقوق الإنسان - ص ٨٠

الفرع الأول : التوبة من دلائل الرفق والرحمة :

من تمام رحمة الله عز وجل بعباده انه يقبل التوبة من عباده ويغفر لهم بها ، ويكفر عنهم ذنوبهم إذا آبوا إليه نادمين تائبين حيث اقترنت التوبة بالرحمة في غير آية من القرآن الكريم ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))١ ((رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))٢ وبذلك تعتبر التوبة من أهم محطات التنقية من الذنوب التي فتحها الله لعباده رحمة بهم ورفقا بحالهم .

وقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ)٣

وفي الحديث الذي ذكرناه سابقا : (إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ . فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، قَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي . فَقَالَ :أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ)٤ .

---

١ البقرة (٣٧)

٢ البقرة (١٢٨)

٣ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب التوبة ـ باب في الحض على التوبة والفرح بها ـ ح ٢٧٤٤ .

٤ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله ـ ح٧٠٦٨.

فانظر إلى عظيم الرفق ، العبد يذنب ويعصي ثم يتوب ، فيفرح الخالق بهذه التوبة وهو قادر على عذابه أو إهلاكه إن شاء الله . ولكنه يقبل التوبة ويعفو عن العبد التائب ((وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ))[1] و (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ) [2]، فتذكر العبد أن له ربا يغفر ، وتركه للذنب، وندمه على فعله ، وعزمه على عدم العودة شروط لا بد منها لقبول التوبة من الذنب في حق الله .

وقبول التوبة لا يعني الاستمرار في المعصية واستمرائها ، فهناك أمور تعظم بها الذنوب وإن كانت من الصغائر، منها [3]:

١ - الإصرار والمواظبة : فالعفو عن كبيرة قد انقضت ولم يتبعها مثلها أرجى من العفو عن صغيرة يواظب عليها العبد

٢ - استصغار الذنب : فالذنب كلما استصغره العبد صغر عند الله تعالى ،لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له . قال ابن مسعود رضي الله عنه : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ قَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ)[4]

٣ - المجاهرة بالذنب وذكره بعد ستر الله له : فيأتي بالذنب الذي فعله بالليل بستر من الله ثم يذكره بمحضر من الناس ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : - (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيَقُولَ يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ).[5]

---

١ الشورى (٢٥)

٢ رواه الترمذي في السنن - كتاب الدعوات عن رسول الله - كتاب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله - ح ٣٥٣٧ وقال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب .

٣ انظر المقدسي - أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة ت(٧٤٢) - مختصر منهاج القاصدين - مكتبة أبو بكر أيوب - نيجيريا - ط١ - ١٤٢١هـ /٢٠٠١م - ص٢١٢

٤ رواه الترمذي في السنن - كتاب صفة القيامة والورع عن رسول الله - باب ومنه - ح ٢٤٩٧ ، صححه الألباني ٢٨٠/٢ .

٥ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب ستر المؤمن على نفسه - ح ٥٧٢١ .

٤ ـ أن يكون المذنب عالما يقتدى به ، فإذا علم منه الذنب كبر ذنبه ،كلبسه للحرير ، واطلاق اللسان في الأعراض ، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها ، ويموت ويبقى شرها مستطيرا في العالم . وفي الحديث : (مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلام سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلام سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)[١]

فعلى العالم وظيفتان : إحداهما : ترك الذنب والثانية : إخفاؤه إذا أتاه[٢].

ومن الدروس التربوية التي يستفيدها الإنسان من التوبة :ـ

١ـ التوبة تمحو السيئات وتبدلها حسنات .

٢ـ التوبة تبين عداوة الشيطان للإنسان .

٣ـ التوبة تبين أن الإنسان ليس معصوما من الذنوب .

٤ـ التوبة تبين أن باب الله مفتوح للإنسان إذا أقبل عليه ثابتا .

٥ـ التوبة تبين مواقف المؤمنين ومواقف الفاسقين من المعصية .

الفرع الثاني : بالاستغفار وفعل الحسنات تمحى السيئات :

الاستغفار من أعظم مكفرات الذنوب وأهم مصادر الرحمة كالتوبة ، قال تعالى: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا))[٣] وفي الحديث (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)[٤]

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة مع أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ

---

١ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الزكاة ـ باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة او كلمة طيبة ـ ح ١٠١٧ .

٢ المقدسي ـ مختصر منهاج القاصدين ـ ص٢١٢

٣ النساء (٦٤)

٤ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب التوبة ـ باب سقوط الذنوب بالتوبة والاستغفار ـ ح ٢٧٤٩ .

سَبْعِينَ مَرَّةً)١ . ومن فوائد الاستغفار رفع العذاب وزيادة الرزق بجميع أنواعه ، قال تعالى ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ))٢ وقال ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا))٣، ومن فوائد الاستغفار أيضا أنه يوصل العبد بربه قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي :

(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني)[٤]

كما أن الاستغفار يحقق رضوان الله عز وجل ، ويبعد غواية الشيطان ويزكي النفوس ويطهر القلوب ، وكما أن الاستغفار يكفر الذنوب فإن الحسنات تذهبها وتمحوها ، قال تعالى ((إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ))٥ وقال صلى الله عليه وسلم (وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا)٦ وفي سبب نزول الآية ورد (أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ فَنَزَلَتْ ((أَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ))٧ فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي) ٨

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الدعوات ـ باب استغفار النبي في اليوم والليلة ـ ح ٥٩٤٨ .

٢ الأنفال (٣٣)

٣ نوح (١٠-١٢)

[٤] رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ـ ح ٢٦٧٥

٥ هود (١١٤)

٦ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب البر والصلة عن رسول الله ـ باب ما جاء في معاشرة الناس ـ ح ١٩٨٧ ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

٧ هود (١١٤)

٨ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب التوبة ـ باب الحسنات يذهبن السيئات ـ ح ٢٧٦٣ ، عن عبد الله بن مسعود .

الفرع الثالث : شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومغفرة الله عزّ وجلّ :

لم يقتصر رفق الله على دار العمل ، ولكنه تعدى إلى دار الجزاء على العمل ، فبعد أن فتح لنا من أبواب العمل ما نكفر به عن الذنوب في الدنيا جاءت مكرماته في يوم تعظم فيه الذنوب وتمتنع فيه المكفرات إلا ما كان فضلا منه ورحمة . ومن أهم هذه المكفرات شفاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث ادخر صلى الله عليه وسلم دعوته وشفاعته لأمته إلى يوم القيامة، وفي ذلك دلالة على حرصه عليه السلام على سعادة أمته .

وقد ورد أن أهل البصرة اجتمعوا وذهبوا إلى انس بن مالك ليسألوه عن حديث الشفاعة فقال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :(إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ.. قَالَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي

وكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ) ١، وهذا كله أثر لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما مغفرة الله عو وجل فهي أعظم وأوسع ، فقد ورد في الحديث:(إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمِنُوا فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً لَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ : يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمْ النَّارَ، قال : فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ فَيُخْرِجُونَهُمْ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ : أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنْ الْإِيمَانِ ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ حَتَّى يَقُولَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ .. فَيَقُولُونَ رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ الْأَنْبِيَاءُ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ قَالَ : فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ أَوْ قَالَ قَبْضَتَيْنِ نَاسٌ لَمْ يَعْمَلُوا لِلَّهِ خَيْرًا قَطُّ قَدْ احْتَرَقُوا حَتَّى صَارُوا حُمَمًا، قال : فَيُؤْتَى بِهِمْ إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ فَيَخْرُجُونَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ فِي أَعْنَاقِهِمْ الْخَاتَمُ عُتَقَاءُ اللَّهِ قَالَ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا تَمَنَّيْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا قَالَ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَيَقُولُ رِضَائِي عَلَيْكُمْ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا).٢

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب التوحيد - باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء - ح ٧٠٧٢ .

٢ رواه أحمد في المسند - باقي مسند المكثرين - مسند أبي سعيد الخدري - ح ١١٤٦٣ ، قال شاكر إسناده صحيح ح ١١٠٢٣.

المبحث الثاني

الرفق في التشريع الإسلامي

تمهيد :

لا يمتري أحد في أن كل شريعة شرعها الله للناس إنما ترمي أحكامها إلى مقاصد مرادةٍ لمشرعها الحكيم تعالى ،إذ قد ثبت بالأدلة القطعية أن الله منزه عن العبث((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا))[1]،((وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ))[2].

كما أن تتبع أدلة كثيرة من القرآن والسنة يوجب لنا اليقين بأن أحكام الشريعة الإسلامية منوطة بحِكم وعلل راجعة للصلاح العام للمجتمع والأفراد . منها قوله تعالى عقب آية الوضوء : ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ))[3]،وقوله : ((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يا أولي الْأَلْبَابِ))[4]. [5]

ونستطيع القول أن هناك مجموعة من المقاصد للشريعة الإسلامية ، كما أن لهذه المقاصد مجموعة من القواعد الشرعية التي توصل إليها وتحفظها ، وهذه المقاصد والقواعد الشرعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالرفق والتيسير ورفع الحرج . وهذا ما سنبسط الكلام عنه في هذا المبحث .

---

١ المؤمنون (١١٥)

٢ الدخان (٣٨)

٣ المائدة (٦)

٤ البقرة (١٧٩)

٥ انظر ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص١١٧ ـ ١١٨.

إذا تتبعنا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا من كليات دلائلها ومن جزئياتها المتتبعة أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام العالم واستدامة صلاحه بصلاح الإنسان . قال تعالى حكاية عن رسوله شعيب : ((إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ))١ ، وقال : ((وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ))٢، وقال مخاطباً هذه الأمة : ((وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ))٣. ومن عموم هذه الأدلة ونحوها يحصل لنا اليقين بأن الشريعة منطلبة لجلب المصالح ودرء المفاسد ، وتعتبر هذه قاعدة كلية في الشريعة .٤

ويفهم من هذه القاعدة أنه لا توجد مصلحة للإنسان إلا و رعاها الشرع ، وأوجد لها الأحكام التي تكفل إيجادها والحفاظ عليها، ولا يخفى ما في ذلك من رفق بالإنسان ، لأن تحقيق المصالح فيه جلب للمنفعة بأيسر الطرق وأسهلها تحقيقا .

وقد وردت النصوص الشرعية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق معللة بأنها لتحقيق المصالح ودفع المفاسد ٥:

فالعقيدة بأصولها وفروعها جاءت لرعاية مصالح الإنسان في هدايته إلى الدين الحق ، والإيمان الصحيح ، مع تكريمه والسمو به عن مزالق الضلال والانحراف وإنقاذه من العقائد الباطلة ، والأهواء المختلفة والشهوات الحيوانية ، فجاءت أحكام العقيدة لترسخ الإيمان بالله تعالى ، واجتناب الطاغوت ، ليسمو الإنسان بعقيدته وإيمانه إلى العليا وينجو من الوقوع في شرك الوثنية وتأليه المخلوقات من بقر وقرود ، وشمس وقمر ، ونجوم وشياطين ، وإنس وجن ، ويترفع عن الأوهام والسخافات والخيالات . وفي مجال العبادات وردت نصوص كثيرة تبين أن الحكمة والغاية من العبادات إنما هي

---

١ هود (٨٨)

٢ الأعراف (١٤٢)

٣ البقرة (٦٠)

٤ انظر ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص١٨٨ ـ ١٩٠، و ص ٢٠٩ ـ بتصرف .

٥ انظر الزحيلي ـ مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان محور ـ ص(٧٣ ـ ٧٤)

تحقيق مصالح الإنسان الكبرى ، وأن الله تعالى غني عن العبادة والطاعة ، فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، وأن العبادات تعود منافعها للإنسان في كل ركن من أركانها، أو فرع من فروعها ، ومن أهم الآثار التربوية للعبادة في الإسلام [1]:

١ ـ العبادات تعلم الوعي الفكري الدائم ، فالله لا يقبل العبادة إلا إذا أخلص العبد النية ابتداء، وأتى بها على الشكل والأسلوب الذي سنه صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ العبادات تربي المسلمين على الارتباط بالجماعة ارتباطا واعيا منظما متينا مبنيا على عاطفة صادقة وثقة بالنفس عظيمة .

٣ ـ العبادات تربي المسلم على العزة والكرامة والاعتزاز بالله لأنه أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم ،كما أن العبادات الجماعية تعزز التعارف و التناصح و التشاور .

٥ ـ العبادة تربي عند المسلم قدرا من الفضائل الثابتة المطلقة التي لا تقف عند حدود الأرض أو القوم أو المصلحة القومية .

٦ ـ العبادة تزود المسلم بشحنات من القوة المستمدة من قوة الله ، والثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله ، والأمل بالمستقبل المستمد من الأمل بنصر الله وثواب الجنة .

وفي المعاملات بين الله تعالى الهدف والحكمة منها ، وأنها لتحقيق مصالح الناس بجلب النفع والخير لهم ، ودفع المفاسد والأضرار والمشاق عنهم ، وإزالة الفساد والغش والحيف والظلم من العقود ، لتقوم على المساواة والعدل بين الأطراف . وتتجلى مصالح العباد في تحريم الخبائث والمنكرات لدفع الفساد والضرر عن الإنسان ، وحمايته من كل أذى أو وهن .

كما تظهر مصالح الإنسان بشكل قطعي في الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وحسن التعامل ، والإحسان إلى الإنسان ، وتجنب الإساءة إليه ، ولو بالحركة والإشارة والكلمة واللسان ، واليد والتصرفات ، لتسود المودة بين الناس ، ويكونوا كما صورهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[2].

---

[1] النحلاوي ـ عبد الرحمن ـ أصول التربية الإسلامية وأساليبها ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط٢ ـ ١٩٨٣م ـ ص(٥٤ ـ ٥٨)

[2] رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ـ ح٢٥٨٦ .

وللدعوة إلى الأخلاق في الإسلام مجموعة من الي‌ثار على النفس البشرية ، أهمها تهذيب السلوك وتحقيق السعادة في الدارين ، والاستقامة على أمر الله ، وتفجير طاقات الخير عند الإنسان ، وتوثيق العلاقة بين الأفراد ، والبعد عن مواطن الشبهات .

وبالنظر إلى غاية جلب المصالح ودرء المفاسد تكون السماحة واليسر اول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها ، والسماحة هي السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه ، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضر أو فساد [1]. ووصف الإسلام بالسماحة ثبت بأدلة القرآن والسنة ، حيث قال الله تعالى : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ))[2] ، وقال ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ))[3] ، وقال ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ))[4] وفي الحديث (أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ)[5]أي دين الإسلام ، فأثبت أن السماحة هي وصف الإسلام . وفي الحديث أيضا ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)[6]، أي كان الدين غالبا . و السماحة في الشريعة الإسلامية راجعة إلى أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة ، ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات قال تعالى: ((يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا))[7]. وقد أراد الله أن تكون الشريعة الإسلامية شريعة عامة ودائمة فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلا ، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعنات ، فكانت بسماحتها أشد ملاءمة للنفوس . وقد ظهر للسماحة أثر عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها ، فعلم أن اليسر من الفطرة لأن في فطرة الناس حب الرفق .[8]

---

١ انظر ابن عاشور - مقاصد الشريعة الإسلامية - ص١٨٤ بتصرف

٢ البقرة (١٨٥)

٣ الحج (٧٨)

٤ المائدة (٦)

٥ رواه البخاري في الصحيح معلقا - كتاب الإيمان - باب الدين يسر .

٦ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الإيمان - باب الدين يسر - ح٣٩.

٧ النساء (٢٨)

٨ انظر ابن عاشور - مقاصد الشريعة الإسلامية - ص١٨٦ - ١٨٧.

استبان لنا أن الشريعة الإسلامية جاءت متطلبة لجلب المصالح ودرء المفاسد الذي يحقق مقاصد الشريعة من سماحة ويسر وصلاح للأمة . ولذلك لا يُعتبر من المصالح إلا ما تحقق انه مقصود للشريعة ، لأن المصالح كثيرة ، و قد جاءت الشريعة بمقاصد تنفي كثيرا من الأحوال التي اعتبرها العقلاء في بعض الأزمان مصالح ، وتثبت عوضا عنها مصالح أرجح منها . نعم إن مقصد الشارع لا يجوز أن يكون غير مصلحة ولكنه لا يلزم أن يكون مقصوداً منه كل مصلحة .

وتنقسم المصالح باعتبار آثارها في قوام الأمة إلى ثلاثة أقسام : ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية.[1]

الفرع الأول : المصالح الضرورية :

المصالح الضرورية هي التي تقوم عليها حياة الناس الدينية والدنيوية ، ويتوقف عليها وجودهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة وإذا فقدت هذه المصالح الضرورية اختل نظام الحياة ، وفسدت مصالح الناس ، وعمت الفوضى .

وتنحصر المصالح الضرورية للناس في خمسة أشياء ، وهي الدين ، والنفس ، والعقل، والنسل أو العرض أو النسب ، والمال . وجاءت الشريعة الغراء لحفظ هذه المصالح الضرورية ، وذلك بتشريع الأحكام التي تحفظ الدين ، وتحفظ النفس ، وتحفظ العقل ، وتحفظ النسل أو النسب ، وتحفظ المال .[2]

" فحفظ الدين معناه ، حفظ كل واحد من المسلمين من أن يدخل عليه ما يفسد اعتقاده وعمله اللاحق بالدين . وحفظ الدين بالنسبة لعموم الأمة هو دفع كل ما شأنه أن ينقض أصول الدين القطعية " [3]، وقد شرع الإسلام لإيجاد الدين وإقامته : إيجاب الإيمان ،

---

١ ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص٢٠٩.

٢انظر الزحيلي ـ مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان ـ (ص٧٩ـ ٨١)

٣ ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص٢١٢.

وأحكام القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام ، وسائر العقائد ، وأصول العبادات التي قصد الشارع بتشريعها إقامة الدين وتثبيته في القلوب باتباع الأحكام التي لا يصلح الناس إلا بها ، وأوجب الدعوة إليه وتأمين الدعوة إليه من الإعتداء عليها وعلى القائمين بها ومن وضع عقبات في سبيلها . وشرع لحفظه وكفالة بقائه وحمايته من العدوان عليه أحكام الجهاد لمحاربة من يقف عقبة في سبيل الدعوة إليه ، ومن يفتن متدينا ليرجعه عن دينه ، وعقوبة من يرتد عن دينه ، وعقوبة من يبتدع ويحدث في الدين ما ليس منه أو يحرف أحكامه عن مواضعها ، والحجر على المفتي الماجن الذي يحل المحرم [1].

" ومعنى حفظ النفوس حفظ الأرواح من التلف أفراداً وعموماً . وأهم الحفظ حفظها عن التلف قبل وقوعه مثل مقاومة الأمراض السارية "[2] وقد شرع الإسلام لإيجادها الزواج للتوالد والتناسل وبقاء النوع على أكمل وجوه البقاء [3].

ومعنى حفظ العقل حفظه من أن يدخل عليه خلل ، لأن الخلل يؤدي إلى فسادٍ عظيم من عدم انضباط التصرف ، وقد شرع الإسلام لحفظه تحريم الخمر وكل مسكر وعقاب من يشربها [4]

" وأما حفظ المال فهو حفظ له من الإتلاف ومن الخروج إلى أيدي غير الأمة بدون عوض "[5] وشرع الإسلام لتحصيله وكسبه إيجاب السعي للرزق وإباحة المعاملات والمبادلات والتجارة والمضاربة . وشرع لحفظه وحمايته تحريم السرقة ، وحد السارق والسارقة ، وتحريم الغش والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل ، وإتلاف مال الغير ، وتضمين من يتلف مال غيره ، والحجر على السفيه وذي الغفلة ودفع الضرر وتحريم الربا [6].

---

١ انظر خلاف ـ عبد الوهاب ـ علم أصول الفقه ـ دار القلم ـ د.م ـ ط٨ ـ د.ت ـ ص (٢٠٠ـ ٢٠١)

٢ ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص٢١٢.

٣ انظر خلاف ـ علم أصول الفقه ـ ص ٢٠١.

٤ انظر ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص٢١٣.

٥ انظر ابن عاشور ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ ص٢١٣.

٦ انظر خلاف ـ علم أصول الفقه ـ ص٢٠١.

وأما حفظ الأنساب أو النسل فهو حفظ من التعطيل لأن التعطيل يؤدي إلى انتقاض النوع وشرع الإسلام لحفظ الأنساب تحريم الاختصاء والرهبانية وقطع أعضاء الرحم التي بها الولادة . وإن أريد بحفظ النسب حفظ انتساب النسل إلى أهله فعدُّه من الضرورات غير واضح ، إذ ليس من الضرورة معرفة أن زيدا هو ابن عمرو ، وإنما الضرورة في وجود أفراد النوع . ولكن لما كان لفوات حفظ النسب بهذا المعنى عواقب كثيرة سيئة يضطرب لها أمر نظام الأمة وتنخرم دعائم العائلة اعتبر العلماء حفظ النسب بهذا المعنى من الضروريات .[1]

فانظر إلى مراعاة الإسلام لما تقدم به حياة الناس ، وإلى ما شرع من أحكام تكفل وجوده وأحكام أخرى تكفل حفظه ، أفلا يدل كل ذلك على رفق هذه الأحكام ؟!

الفرع الثاني : المصالح الحاجية :

المصالح الحاجية : هي الأمور التي يحتاجها الناس لتأمين شؤون الحياة بيسر وسهولة ، وتدفع عنهم المشقة ، وتخفف عنهم التكاليف ، وتساعدهم على تحمل أعباء الحياة ، وإذا فقدت هذه الأمور لا يختل نظام الحياة ، ولكن يلحقهم الحرج والضيق والمشقة .[2] وقد شرع الإسلام في مختلف أبواب العبادات والمعاملات والعقوبات جملة أحكام المقصود بها رفع الحرج واليسر بالناس :

ففي العبادات شرع الرخص ترفيها وتخفيفا عن المكلفين إذا كان في العزيمة مشقة عليهم ، فأباح الفطر في رمضان لمن كان مريضا أو على سفر ، وقصر الصلاة الرباعية للمسافر ، والصلاة قاعدا لمن عجز عن القيام ، وأباح التيمم لمن لم يجد الماء، والصلاة في السفينة ولو كان الاتجاه لغير القبلة ، وغير ذلك من الرخص التي شرعت لرفع الحرج عن الناس في عباداتهم . وفي المعاملات ، شرع كثيرا من أنواع العقود والتصرفات التي تقتضيها حاجات الناس ، كأنواع البيوع والإجارات والشركات والمضاربات ، وشرع الطلاق للخلاص من الزوجية عند الحاجة ، وأحل الصيد وميتة

---

١ انظر ابن عاشور - مقاصد الشريعة الإسلامية - ص٢١٤ .

٢ انظر الزحيلي - مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان - ص٨٢ .

البحر والطيبات من الرزق ، وجعل الحاجات مثل الضروريات في إباحة المحظورات.
وفي العقوبات جعل الدية على العاقلة تخفيفا عن القاتل خطأ ، ودرأ الحدود بالشبهات ، وجعل لولي المقتول حق العفو عن القصاص من القاتل . ١
وبذلك يتبين مدى الرفق في الأحكام الشرعية حيث شرعت للمكلفين ما يؤمن اليسر والسهولة ، ودفع المشقة والحرج في جميع مناحي الحياة .

الفرع الثالث : المصالح التحسينية :

المصالح التحسينية : هي الأمور التي تتطلبها المروءة والآداب والذوق العام ، ويحتاج إليها الناس لتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه ،وأكمل أسلوب ،وأقوم نهج ، وإذا فقدت هذه الأمور فلا تختل شؤون الحياة ، ولا ينتاب الناس الحرج والمشقة ، ولكن يحسون بالضجر والخجل ، وتتقزز نفوسهم ، وتستنكر عقولهم ، وتأنف فطرتهم من فقدها. وهذه الأمور التحسينية ترجع إلى ما تقتضيه الأخلاق الفاضلة ، والأذواق الرفيعة ، وتكمل المصالح الضرورية ، والمصالح الحاجية على أرفع مستوى وأحسن حال ٢.

وقد شرع الإسلام في مختلف أبواب العبادات والمعاملات والعقوبات أحكاما تقصد إلى هذا التحسين والتجميل وتعود الناس أحسن العادات وترشدهم إلى أحسن المناهج وأقومها . ففي العبادات شرع الطهارة للبدن ، والثوب ، والمكان ، وستر العورة ، والاحتراز عن النجاسات . والاستنزاه من البول . وندب إلى أخذ الزينة عند كل مسجد ، وإلى التطوع بالصدقة والصلاة والصيام ، وفي كل عبادة شرع مع أركانها وشروطها آدابا لها ، ترجع إلى تعويد الناس أحسن العادات .
وفي المعاملات حرم الغش والتدليس والتغرير والإسراف والتقتير ، وحرم التعامل في كل نجس وضار ،ونهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه ، وعن التعسير ، وغير ذلك مما يجعل معاملات الناس على أحسن منهج .

---

١ انظر خلاف ـ علم أصول الفقه ـ ص٢٩٩.

٢ الزحيلي ـ مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان ـ ص٨٢ .

وفي العقوبات ، يحرم في الجهاد قتل الرهبان والصبيان والنساء ، ونهى عن المثلة والغدر ، وقتل الأعزل ، وإحراق ميت أو حي . وفي أبواب الأخلاق وأمهات الفضائل قرر الإسلام ما يهذب الفرد والمجتمع ويسير بالناس في أقوم السبل . [1]

أفلا يظهر جليا بعد ذلك ما في الإسلام من رفق بالإنسان ، حيث أعطاه حقه من الضرورات وحفظه له ، ثم أزال عنه الحرج والضيق في الحاجيات ، وشرع له بعد ذلك ما يحقق له الرقي والتقدم من التحسينيات .

---

[1] خلاف - علم أصول الفقه - ص٢٠٣.

الفرع الأول : القواعد الشرعية الكبرى :

وضع علماء الأصول مجموعة من الأحكام الكلية التي تنطبق على الأحكام الفرعية المتنوعة ، لتكون قواعد شرعية تسهل على الأصولي استنباط الأحكام ، وتنطلق جميع هذه القواعد من مراعاة المصلحة باعتبارها المقصد الأول من التشريع . ومما يجدر ذكره أن هذه القواعد عبارة عن عبارات قصيرة تحمل معاني عظيمة استقاها العلماء من القرآن الكريم والسنة المشرفة ومما جرى على ألسنة الصحابة رضوان الله عليهم من عبارات جامعة ، ومن أمثلتها((مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ))١ و ((وَالصُّلْحُ خَيْرٌ))٢ ، (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)٣. وقول عُمَر: " مَقَاطِعُ الْحُقُوقِ عِنْدَ الشُّرُوطِ "٤.

وخص العلماء بعض القواعد الشرعية بوصفها القواعد الكبرى ،أو بأمهات القواعد الفقهية نظرا لعمومها وشمولها لغيرها من القواعد الفرعية والأحكام الكثيرة . ومنهم من ألحق بها سادسة أو سابعة وهذه القواعد هي :

[الأمور بمقاصدها ، الضرر يزال ، المشقة تجلب التيسير ، اليقين لا يزول بالشك ، العادة محكمة] .

والناظر في هذه القواعد يلحظ جليا ما فيها من التيسير في الأحكام الشرعية والرفق بالمكلفين ، فالرفق ليس استثناء في أحكام هذا الدين بل هو أصل وأساس بدليل تضمن أصول الأحكام الشرعية على التيسير والتخفيف ودفع المشقة والضرر ومراعاة أحوال المكلفين .

١ التوبة (٩١)

٢ النساء (١٢٨)

٣ رواه البخاري في الصحيح - كتاب بدء الوحي - باب بدء الوحي - ح١.

٤ رواه البخاري في الصحيح معلقا - كتاب النكاح - باب الشروط في النكاح .

الفرع الثاني : قواعد الإسلام العامة في التكاليف الشخصية :

تبين لنا مما سبق أن الدين الإسلامي جاء في مجمله رفيقا باتباعه ، ولذلك بنيت قواعد أحكامه الكلية على الرفق بالمكلفين ورفع المشقة عنهم ، ونشير هنا إلى بعض قواعد الإسلام العامة في التكاليف الشخصية والتي يظهر من خلالها رفق الإسلام بالمكلفين[١] :

١- الإسلام جاء وسطاً جامعا لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) ، فالمسلمون وسط بين الذين تغلب عليهم الخطوط الجسدية والمنافع المادية كاليهود وبين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد كالنصارى .

٢- غاية الإسلام الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بتزكية النفس بالإيمان الصحيح ومعرفة الله والعمل الصالح ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،لا بمجرد الاعتقاد والاتكال ، ولا بالشفاعات وخوارق العادات .

٣- الغرض منه التعارف والتآلف بين البشر ((يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))[٢].

٤- الإسلام يسر لا حرج فيه ولا عسر ولا إرهاق ولا إعنات قال الله عز وجل : ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا))[٣] وقال : ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ))[٤] وقال : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ))[٥] وقال : ((وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ))[٦] وقال : ((مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ))[٧]

---

١ انظر رضا - الوحي المحمدي - ص ١٨٠-١٨٤ .

٢ الحجرات (١٣)

٣ البقرة (٢٨٦)

٤ البقرة (٢٢٠)

٥ البقرة (١٨٥)

٦ الحج (٧٨)

٧ المائدة (٦)

٥- منع الغلو في الدين وإبطال جعله تعذيبا للنفس بإباحة الطيبات والزينة بدون إسراف ولا كبرياء ، قال تعالى : ((قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ))١ وفي هذا النهي اعتبار للمسلمين لأنهم أولى بالانتهاء عن الغلو لأن دينهم دين الرحمة واليسر .

٦- قلة تكاليفه وسهولة فهمها ، كان الأعرابي يجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من البادية فيسلم ، فيعلمه ما أوجب الله وما حرم عليه في مجلس واحد فيعاهده على العمل به فيقول :(أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ)٢ وكان هذا أعظم أسباب قبول الناس له .

٧- انقسام التكاليف إلى عزائم ورخص ، وكان ابن عباس يرجح جانب الرخص وابن عمر يرجح العزائم .

٨- نصوص الكتاب وهدي السنة مراعى فيها درجات تفاوت البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها

٩ - معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكولة إلى الله تعالى ، فليس لأحد أن يعاقب أحدا ولا أن يحاسبه على ما يعتقده أو يضمر في قلبه ، وإنما العقوبات على المخالفات العملية للأحكام العامة المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم .

١٠- مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر . ومدارها في الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحة النية .

---

١ المائدة (٧٧)

٢ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الإيمان - باب الزكاة من الإسلام - ح٤٦ .

المبحث الثالث

الآثار التربوية المترتبة على معرفة مظاهر الرفق

تظهر قيمة الأشياء ببيان الآثار المترتبة على معرفتها ، ولبيان أهميــة التعـرف إلى مظاهر الرفق في الإسلام لزم بيان الآثار التربوية المترتبة على معرفتها، علما بأن الآثار التي سنعرض لها في هذا المبحث هي الآثار النفسية والآثـار السلوكية والآثـار الاجتماعية ، وفيما يلي عرض لأهم هذه الآثار،علما بأن وجودهـا يعتمـد بشـكل رئيس على المعرفــة الحقيقية لمظـاهر الرفـق فـي الإسلام والإيمـان بضـرورة التحلـي بـهذا السلوك العظيم ، فكلما زادت نسبة المعرفة والإيمان ازدادت نسبة ظــهور هذه الآثار على الفرد والمجتمع .

المطلب الأول | الآثار النفسية |

الناظر في مظاهر الرفق في الإسلام ، والفاهم لها ، والعارف بـها ،لا بـد أن تتـأثر بـها نفسه، ويكون بعد ذلك الإيمان بها أساسا لمجموعة من الآثار النفسية المرتكزة في قلـب المسلم ، ومن أهم الآثار المبنية على مظاهر الرفق ما يلي :

١. الشعور بالسكن والراحة والطمأنينة :

الإيمان بالله يشعر المسلم بالسكن والراحــة والطمأنينـة ، لأن مـن أيقـن أن الله يرفـق بعباده داوم اللجوء والتضرع إليه ، وبهذا يطمئن القلب وتسكن النفس ، كمـا أن مـن أيقن برفق الله زادت ثقته به ، وفي هذا سكن للنفس وطمأنينة .[١]

٢. الشعور بالسعادة والأمن النفسي :

من نظر إلى عظيم رفق الله وسعة رحمته ، وأيقن بأنـه أرحـم مـن الوالـدة بولدهـا ، وعلم أن رحمته غلبت غضبه شعر بالسعادة وأحس بالأمن النفسي .

---

١ انظر قطب ـ الظلال ٢٩٢٢/٥ بتصرف .

٣. الإيمان برفق الله يقوي روح الأمل والتفاؤل في نفوس المؤمنين :

وهذا يفسر الصمود عند المؤمن ، فإيمانه برفق الله ورحمته يحمي نفسه من أن يتسرب إليها اليأس والقنوط ، فيصمد تجاه الأحداث والمصائب ، بخلاف غير المؤمنين ، فهم أكثر الناس عرضة للانهيار والإصابة بالأمراض النفسية .

٤. المؤمن برفق الله ورحمته يشعر بأن يد الله ممدودة إليه ، وأنه هو القادر على فتح الأبواب المغلقة ، فلا يتسرب إلى نفسه الجزع لأنه علق آماله على الله .

٥. اليقين برفق الله ورحمته دافع للتوبة والإنابة ، والبعد عن الانتحار هربا من الواقع.

٦. الإيمان برفق الله عز وجل يخلص النفس من كثير من الأمراض ، ويفتح أمامها مجالا واسعا للتوبة والإنابة، وهذه التوبة من أهم مظاهر الصحة النفسية ، ذلك أنها تعطي مجالا للرجوع إلى الله ، وغسل ما داخل الفرد من خطايا ، فيشعر التائب بالأمان والراحة والاستقرار النفسي .

٧. رفق الله وقبوله لتوبة العبد يحرر العبد من الشعور بالذنب والخوف،لأن المذنب يحس بالتعاسة والشقاء والتوتر الذي يعيق نجاحه في الحياة .

٨. الإيمان بعفو الله يحرر العبد من الذل لغير الله ، فليس هناك من يملك أن يعفو غير الله الذي لا شريك له، وهذا يحدث توازنا نفسيا نتيجة لتوحيد نوازع العبد وأفكاره واتجاهاته ، والتضرع لرب واحد يملك المغفرة والعفو.

٩. الشعور بفرح الله بتوبة العبد يحفز المسلم إلى المسارعة بالتوبة ، ويبني شعور الرجاء بعفو الله وحسن الظن به، ولهذا دور كبير في إحياء شعلة الأمل في حياته ، وكفى بهذا طمأنينة للنفس ، وتخليصا لها من القلق الذي يعد من أكثر الأمراض النفسية التي تدمر الإنسان .

١٠. الشعور برفق الله وسعة رحمته يربي المؤمن على خلق الصبر على البلاء ، والشكوى إلى الله وحده ، فالله أرحم بعباده من أنفسهم ، والبلاء قد يكون مظهرا من مظاهر رحمة الله بعباده ، ففيه رفع للدرجات، وحط من الخطايا وغفران للذنوب وتنبيه للعباد وتربيتهم وتهذيبهم .

١١. عندما يوقن المؤمن بعفو الله فإن هذا ينعكس على أخلاقه فيعفو عن غيره ، وهذا العفو يريح الإنسان من مرارة الحقد والغضب ، فالمرء حينما يكظم غيظه ويترك الانتقام ويتسامح فإنه يخلص من الأذى المترتب على الانتقام ، كما أن الإنسان يجد في نفسه ارتياحا كبيرا عندما يعفو عمن أساء إليه أكثر بكثير من مما لو استجاب لردة الفعل العدوانية ، وهذا الشعور يقوي التسامح في النفس ويؤمن لها مناعة وقدرة على التحكم بهيجان الأعصاب.١

١٢. الرفق يكسر شر النفوس ويحدث توازنا في الشخصية :

مضاعفة الله لأجر المحسن ومجازاة المسيء على قدر عمله أو محو إساءته تعلم المؤمن مقابلة السيئة بالحسنة ، وهذه المقابلة تكسر شر النفوس ، وتوجهها إلى الخير، وتطفئ ذروة الشر ، وترد نزع الشيطان ، ومن ثم تدرأ السيئة في النهاية . ودرء السيئة بالحسنة يكون في المعاملة الشخصية لا في دين الله ، وهذا يحدث توازنا في شخصية المسلم، فنجده يتخلق بالعفو مع من حوله في الأمور الشخصية فقط ،أما في دين الله فلا تساهل ولا تهاون .٢

١٣. التخلص من الشعور بالضيق عند البلاء :

البلاء سنة من سنن الحياة ، وهو كفارة للذنوب ، وكلما ارتفعت مرتبة الإنسان عند ربه زاد ابتلاؤه ، ولهذا كان الرسل أشد الناس ابتلاء . واليقين بهذه الحقائق والإيمان بأن الله هو كاشف الكرب مغيث المضطر مفرج الهم يخرج المسلم من الضيق النفسي الذي يشعر به كثير من الناس عند وقوع المصائب ، والذي يؤدي بهم إلى الأمراض النفسية في كثير من الأحيان .

١٤. جعل العقل مناطا للتكليف فيه احترام للإنسان ولذاته ولعقله ، وإشعار له بأنه ذو قيمة عظيمة وذو مهمة رفيعة . وهذا يبني الروح الإيجابية في التعامل عند الإنسان. كما أن تكريم الإنسان بالعقل ودعوته إلى التفكر يحدث توازنا في النفس عند المسلم إذ لا تعارض بين العلم وبين العقل .

---

١ انظر قطب ـ الظلال ١٤١٩/٣ بتصرف كبير .

٢ انظر قطب ـ الظلال ٢٠٥٨/٤ بتصرف .

١٥. إرسال الرسل تكميلا لغريزة الدين عند البشر ، والتوافق بين الفطرة والدين التعليمي يحقق التوازن عند المسلم ويبعده عن التشتت الذهني والنفسي .

١٦. الإخبار بأن رسالة الرسول كانت رحمة للبشرية عامة فيه بناء روح محبة الخير للآخرين ، وتعزيز مبدأ الإيجابية في التعامل معهم ، وإيصال مبادئ هذه الرسالة لهم.

١٧. موافقة صفات الرسول المعلم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصل هذه الرسالة يعزز الإيمان بصدق هذه الرسالة ، وصدق الرسول الذي جاء بها .

١٨. رفق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحرصه على مستقبل أمته يغرس الأمل في روح المؤمنين الذين اتبعوا منهجه وساروا على دربه .

١٩. اليقين بأن الشريعة الإسلامية متطلبة لجلب المصالح ودرء المفاسد تجعل المؤمن مطمئنا إلى أحكام هذه الشريعة ، واثقا بأنها توصله إلى طريق السعادة ، فيتجاوز ما في بعض أحكامها من الصعوبة على النفس .

٢٠. سماحة الشريعة وملاءمتها للفطرة التي تنفر من الشدة والإعنات يجعل الشريعة أشد ملاءمة للنفوس ، وأيسر للانتشار بين الناس ، وأنسب لأن تكون صالحة لكل زمان ومكان .

المطلب الثاني | الآثار السلوكية |

معرفة المكلف بمظاهر الرفق وإيمانه بها يشكل لديه مجموعة من القواعد السلوكية من أهمها :

١) التخلق بالرفق تأثرا برفق الله ورفق رسوله ورسالته :

لما كان الرفق صفة من صفات الخالق عز وجل ، ووصفا لنبيه ورسالته ، وجب التخلق بهذه الصفة وما ينتج عنها من سلوك ، ومما يدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم من إشارة إلى وجوب الإحسان نتيجة لإحسان الله ((وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ

))[1] وإشارة أخرى إلى وجوب الرفق بالسائل واليتيم ، تأثرا برفق الله ورحمته ، فقال تعالى ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ))[2] بعد أن امتن على رسوله بالإيواء والهداية ((أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(٦) وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى))[3]
وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ)[4] وقال (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)[5]. أما ما يدل على وجوب الاقتداء بالرسول ، فواضح جلي في قوله تعالى ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا))[6]

٢) إمكانية التطبيق العملي لسلوك الرفق :

التزام الرسول صلى الله عليه وسلم بسلوك الرفق في جميع مناحي الحياة فيه دلالة واضحة على إمكانية التطبيق العملي لهذا السلوك ، وبهذا يتأصل سلوك الرفق في النفس نظرياً وعملياً ، ويشكل صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم نموذجاً حياً للاقتداء به في امتثال هذا السلوك عملياً .

٣) بناء السلوك الإنساني على قاعدة دفع المشقة :

بناء مقاصد الشريعة على السماحة والتيسير ومراعاة مصالح المكلفين الضرورية والحاجية والتحسينية ، تؤدي إلى بناء السلوك الإنساني على قاعدة دفع المشقة في الحياة اليومية وفي صغائر الأمور وكبائرها ، كما تدفع العلماء إلى إصدار الفتاوى التي تراعي أساليب الحياة الحديثة وتتناسب مع طبيعة الدين وأصوله التشريعية .

---

١ القصص (٧٧)

٢ الضحى (٩-١٠)

٣ الضحى (٦-٧)

٤رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته - ح٥٦٥١ .

٥ رواه الترمذي في السنن - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء في رحمة الناس - ح١٩٢٤ عن عبد الله بن عمرو - قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

٦ الأحزاب (٢١)

٤) ضرورة التزام جميع المكلفين بهذا السلوك :

شمول مظاهر الرفق للعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق يدل على ضرورة التزام جميع المكلفين بهذا السلوك ، فليلتزم المسلم في تحقيقه في نفسه وفي غيره من المخلوقات ، ويلتزم الراعي في تحقيقه في رعيته والداعي في دعوته ، وتلتزم الأسرة والمجتمع في بناء علاقاتها الداخلية والخارجية على قاعدة الرفق .

على أن يكون هذا الالتزام ذا طابع تطبيقي عملي يعكس مظاهر الرفق في الإسلام عملياً وليس نظرياً فقط .

المطلب الثالث | الآثار الإجتماعية |

عندما يدرك أفراد المجتمع حقيقة الرفق ويؤمنون برفق الله تعالى ويتربون على استشعار معانيه ويتخلق كل فرد بما يقتضيه الإيمان بهذه الصفة من حب لله وطاعة له ورحمة بالخلق ، فإن أثر هذا سينعكس على المجتمع على النحو الآتي:

- المجتمع الذي يؤمن أفراده بالرحمة الإلهية ، ويوقنون أن رحمة الله تعمهم إذا رحموا غيرهم فيتخلقوا بهذه الصفة هو مجتمع آمن متماسك قوي بجميع أفراده مسلمين وغير مسلمين ، وذلك لأن استشعار الرحمة يقتضي أن ينظر المسلم إلى غيره من المسلمين أو العصاة من المسلمين بعين الرحمة والعطف لا بعين الإيذاء والازدراء فيصرفهم عن غفلتهم ، وذلك بوعظهم وارشادهم ونصحهم بطريق اللطف لا بطريق العنف ، فلا يألو جهداً في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالله تعالى قد أرشدنا إلى طريق الحق والصواب رحمة بنا ، ولا بد أن نرشد العصاة والمخالفين إلى طريق الله رحمة بهم وخوفاً عليهم من نار جهنم ، وبهذا يعم الخير أرجاء المجتمع عندما ينتشر فيه الإسلام فيحل محل الكفر ، وتحل الطاعة محل المعصية فينعم الجميع بالرحمة الإلهية ، وهكذا يريد الله أن

يربي عباده ، فتكون قلوبهم على درجة من الرقة والشفقة على حال العصاة والكافرين .

- المجتمع الذي يؤمن برفق الله يشعر جميع أفراده بأنهم إخوة يتراحمون فيما بينهم ويشكلون حقيقة الجسد الواحد ، ويحرصون على أن يعمهم الله برحمته فلا يرتكبون ما يوجب صرف الرحمة عنهم ، فينشأ بذلك المجتمع المتراحم ، فالكبير يرحم الصغير ، والمحكوم يرى رحمة الحاكم ، والتلاميذ يرون رحمة المعلمين ، والأبناء يرون رحمة الآباء ، وإن أمة لا تسود بين أبنائها روح التراحم هي عرضة للتفكك والإنهيار ، وما مشاهد الدمار التي يعيشها كثير من الناس إلا لأن الرحمة نزعت من القلوب .

- المجتمع الذي يعيش فيه المؤمنون على سلوك الرفق لا تقوم المعاملة بين أفراده على المؤاخذة والمحاسبة والانتصار للذات ، وإنما تقوم المعاملة بين أفراده على التسامح الذي يساهم في إنشاء أقوى المجتمعات .

- المجتمع الذي تربى على الرفق تنمو فيه أنواع من العلاقات الإجتماعية التي لا يمكن أن تجدها إلا عند من تربى على هذا السلوك :

- فالذين تربوا على الرفق هم الذين تراهم وقد كبروا ودودين يألفون ويؤلفون ، بشوشين يستقبلك الواحد منهم ببسمة الوجه وطلاقة المحيا ، فتقبل عليه متفائلاً مستبشراً ، راغباً لا راهباً ، محباً لا كارهاً .

- والذين تربوا على الرفق هم الذين يصلون الأرحام ولا يقطعونها ، فيؤدون بذلك حق ربهم ، وحقوق أقاربهم وأوليائهم ، لأنهم على مثل ذلك ربُّوا ونشّئوا . وهؤلاء هم الذين لا يقسون على صديق ولا رفيق ، بل يلتمسون للناس الأعذار فيما يفعلون ، ويسلكون سبل الإصلاح والوفاء قبل أن يفكروا في سلوك سبيل القطيعة والجفاء .

- والذين تربوا على الرفق تراهم إذا كانوا رؤساء أو ذوي سلطة لا يشعر مرؤوسوهم إلا أنهم منهم ، ويحبون لهم ما يحبون لأنفسهم ، فتجدهم أكثر الناس نجاحا في أعمالهم ، وأعظمهم أثراً في تقدم مهنهم ، وأحسنهم تأثيراً فيمن يتعاملون معهم .

- والذين تربوا على الرفق تراهم أكثر الناس سخاء ، وأعظمهم عطاء ، فتعرف أنهم من الذين وقوا شح أنفسهم ، وتجدهم يؤثرون على أنفسهم ، ويرون لغيرهم من المحتاجين حقاً فيما آتاهم الله من نعمة ، فلا يستأثرون بما زاد على حاجتهم ، بل ويجودون ببعض ما هم في حاجته إليه براً بالآخرين وصلة للأرحام ، وأداء لحقوق الصديق والجار .[1]

وبعد ، فإن هذه هي أهم الآثار النفسية والسلوكية والإجتماعية التي استطعت الوقوف عليها ، علما باني سأقوم ببسط الكلام عن أهم هذه الآثار التطبيقية في الفصل الثالث من هذه الدراسة إن شاء الله .

---

١ انظر -- - الإدارة بالإرادة / إدارة تربوية - المعرفة العدد ٥٧ - ١٤٢٠هـ - ص ١٠١ .

أهم ما تضمنه الفصل :

- ❖ وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لله عز وجل بالرفيق ، وإخباره أنه عز وجل يحب الرفق في جميع الأمور ويرضى به ويعين عليه ، فيه دلالة واضحة على تعظيمه لهذا السلوك وإرادته له .
- ❖ من أهم مظاهر سعة رحمته وعظيم رفقه عز وجل بعباده :

- أنه جعل الرحمة مائة جزء، ووضع جزءاً واحداً بين الخلق ليتراحموا فيما بينهم
- أن الله عز وجل أرحم بعباده من الوالدة بولدها
- أن رحمته عز وجل غلبت غضبه
- مضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات
- أن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً
- أن من وحد الله نجا
- أنه يكشف الكروب ، ويغيث المضطرين ، ويفرج هم المهمومين
- جميع النعم الدنيوية تدل على سعة رحمته عز وجل

- ❖ ليس ذلك الحنان الذي نراه في قلوب الآباء والأمهات في أفراد النوع الإنساني وسائر أنواع الحيوان مما يسوقهم سوقاً اضطرارياً إلى تعهد الولد ومراعاته في كل ما يجب له ، ولا تلك الشفقة التي تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوماً ضعيفاً أو فقيراً بائساً ،إلا أثراً من آثار تلك الرحمة الإلهية . كما أن مواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التي حث عليها الدين وندبت إليها الشريعة ، وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية ،التي قامت بها السماوات والأرض
- ❖ إرسال الرسل حاجة فطرية مكملة لغريزة الدين عند البشر ، ومانعة من فساد الفطرة بالاتجاه إلى عبادة الأوثان أو الشمس أو القمر .
- ❖ أرسل الله رسوله رحمة للناس كافة لأن المنهج الذي جاء به صلى الله عليه وسلم منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة .

❖ كان صلـــى الله عليـه وسلم سـهلا ميسـرا رحيمـا فـي رسالته ودعوتـه وعبادتـه وصلاته وصومه وطعامه وشرابه ولباسه وحله وترحاله وأخلاقه ، بل حياته مبنيـة على اليسر؛ لأنه جاء لوضع الأصار والأغلال عن الأمة ، فليس اليسـر أصـلا إلا معه ، ولا يوجد اليسر إلا في شريعته ، فهو اليسر كله ، وهو الرحمة والرفق بنفسه ، صلى الله عليه وسلم .

❖ العلم بنظر القرآن الكريم هو السر والسبب الذي من أجله استحق الإنسان شرف الخلافة في الأرض ، ففاز بهذا الشرف دون سائر المخلوقات ، بمن فيـهم الملائكـة المقربون .

❖ والعلم بنظر القرآن هو سـبب الإيمـان والسـبيل إليـه ، فطريـق معرفـة الله فيـه : العقل ، ومناط التكليف فيه : العقـل ، ووحيـه معجـزة عقليـة ؛ لا تدهـش العقـل ، وإنما ترعى وتشحذ وتنمي ما له من قدرات وملكات .

❖ من تمام رحمة الله عز وجل بعباده انه يقبل التوبة مـن عبـاده ويغفـر لـهم بـها ، ويكفر عنهم ذنوبهم إذا آبوا إليه نادمين تائبين .

❖ جاءت الشريعة الإسـلامية متطلبـة لجلـب المصـالح ودرء المفاسـد ، وتعـد هـذه قاعدة كلية في الشريعة ، ويفهم من هذه القاعدة أنه لا توجد مصلحـة للإنسـان إلا و رعاها الشرع ، وأوجد لها الأحكام التي تكفل إيجادها والحفاظ عليـها ، وقـد وردت النصوص الشرعية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق معللة بأنها لتحقيـق المصالح ودفع المفاسد.

❖ بـالنظر إلـى غايـة جلـب المصـالح ودرء المفاسد تكـون السـماحة واليســر أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها ، والسـماحة هـي السـهولة المحمـودة فيمـا يظـن الناس التشديد فيه ، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضر أو فساد .

❖ السـماحة فـي الشـريعة الإسـلامية راجعـة إلـى أن الله جعـل هـذه الشـريعة ديــن الفطرة، ومن الفطرة النفور من الشـدة والإعنـات. وقـد أراد الله أن تكـون الشـريعة الإسلامية شريعة عامة ودائمة فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سـهلا ، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الإعنات ، فكانت بسماحتها أشد ملاءمة للنفوس .

- تنقسم المصالح المقصودة من التشريع باعتبار آثارها في قوام الأمة إلى ثلاثة أقسام : ضرورية ، وحاجية وتحسينية.
- الناظر في القواعد الشرعية يلحظ جليا ما فيها من التيسير في الأحكام الشرعية والرفق بالمكلفين ، فالرفق ليس استثناء في أحكام هذا الدين بل هو أصل وأساس بدليل تضمن أصول الأحكام الشرعية على التيسير والتخفيف ودفع المشقة والضرر ومراعاة أحوال المكلفين .
- من أهم الآثار النفسية لمعرفة مظاهر الرفق في الإسلام : الشعور بالسكن والراحة والطمأنينة وبالسعادة والأمن النفسي ، وتقوية روح الأمل والتفاؤل ولبعد عن الجزع أو الهروب من الواقع ، والتخلص من الأمراض النفسية ومن الضيق عند البلاء ، والتوازن في الشخصية والراحة من مرارة الحقد ، التخلص من الشعور بالذنب ومن الذل لغير الله ، وبناء روح محبة الخير للآخرين وتعزيز مبدأالإيجابية في التعامل معهم .
- ينتج عن معرفة مظاهر الرفق في الإسلام مجموعة من القواعد السلوكية أهمها : التخلق بالرفق تأثرا برفق الله ورسوله ورسالته ، وبناء السلوك الإنساني على قاعدة دفع المشقة ، وضرورة التزام جميع المكلفين بالرفق سلوكا عمليا بالإضافة إلى الإيمان بإمكانية التطبيق العملي لهذا السلوك .

كما ينتج عن الإيمان برفق الله مجموعة من الآثار الاجتماعية مثل تماسك المجتمع وتراحمه وإقامة المعاملة فيه على التسامح والود والعطاء .

الفصل الثالث

المجالات التطبيقية لرفق الفرد والمجتمع

المبحث الأول : المجالات التطبيقية لرفق الفرد

المطلب الأول : الرفق بالنفس

المطلب الثاني : الرفق بالحيوان

المطلب الثالث : رفق الراعي بالرعية

المطلب الرابع : رفق الداعية في دعوته

المبحث الثاني : المجالات التطبيقية لرفق المجتمع

المطلب الأول : الرفق في مجال الأسرة

المطلب الثاني : الرفق في مجال العلاقات الاجتماعية

المطلب الثالث : الرفق بالمشركين

الفصل الثالث

المجالات التطبيقية لرفق الفرد والمجتمع

معرفة المكلفين لحقيقة الرفق ومظاهره في الإسلام تفرز مجموعة من الآثار السلوكية والإجتماعية تتميز بطابعها التطبيقي العملي، الذي يحتاج إلى مجالات تعكس التصور الصحيح لهذه المظاهر على كل من الفرد والمجتمع .

وقد قمت بحصر مجموعة من أهم هذه المجالات وقسمتها إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : مجالات يعتبر الفرد هو المؤثر الرئيس فيها ، سواء كان هذا التأثير منسحبا على جميع الأفراد المكلفين ،أو كان محصورا في أفراد طبقات محددة .

ويندرج تحت هذه المجموعة : مجال الرفق بالنفس و الحيوان وهو مطلوب من جميع المكلفين ، ورفق الراعي في رعيته والداعي في دعوته وهو مطلوب من أفراد طبقة الدعاة والرعاة .

المجموعة الثانية : مجالات لا يكتمل التأثير فيها إلا إذا تظافرت جميع الأفراد في تحقيقه ، ويندرج تحت هذه المجموعة : الرفق في مجال الأسرة ، والرفق في مجال العلاقات الإجتماعية والرفق بالمشركين .

وبناء على هذا التصور ينقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : المجالات التطبيقية لرفق الأفراد .

المبحث الثاني : المجالات التطبيقية لرفق المجتمع .

المبحث الأول

المجالات التطبيقية لرفق الأفراد

المطلب الأول [الرفق بالنفس]

أمر الله عز وجل المؤمنين بالمحافظة على أنفسهم ونهى عن إيقاعها في المهالك، فكان بذلك حفظ النفس من الضرورات الخمس في الشريعة الإسلامية، ومن سبل المحافظة على النفس أخذها بالاعتدال في جميع الأحوال ؛ في المطعم والمشرب والملبس والمنكح والمنام واليقظة والتعب والراحة [1].

ومن أهم سبل المحافظة على النفس سوقها إلى عبادة الله وطاعته ، حيث قال تعالى : ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا))[2] فتزكية النفس وإلزامها بالطاعة والعبادة طريق للفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

وحتى تكون العبادة سبيلا للسعادة لا بد أن تؤدى باعتدال ورفق ، ويكون ذلك بالاتجاه إلى مقصدها الأساسي، وهو تخليص النفس من الشوائب وأدران الهوى ، والقيام بالعبادات بما يطيق ، من غير تهاون في أدائها أو ترك للفرائض ، أو استهانة بحقائقها[3].

ومن خلال هذه النظرة يتضح أن الرفق في العبادة يكون بأداء التكاليف الشرعية بشرطين هما :

١- أداء ما يطيقه المكلف دون إثقال في الطاعات أو المغالاة فيها .

٢- أداء التكاليف الشرعية دون تهاون في الأداء أو ترك للفرائض .

---

١ انظر المرادي - أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني ت (٤٨٩هـ) - الإشارة إلى أدب الإمارة تحقيق رضوان السيد - دار الطليعة - بيروت - ط ١ - ١٩٨١م - ص٧٥ .

٢ الشمس(٩ - ١٠).

٣ انظر أبو زهرة - الرفق الرفق لواء الإسلام - ص٦٠٥

هذا مع العلم أن المشقة في التكليف لا تنافي الرفق فيه، ولكن الذي ينافي الرفق هو القصد إلى المشقة ، التي لا يمكن الاستمرار عليها ، فقصد المشقة هو ما نستطيع تسميته بالغلو في العبادة [1]، ولذلك يروى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ)[2].

وحتى يتبين معنى الرفق في العبادة بوضوح لا بد من بيان أهم مظاهره :

١ ـ تحقق شرط المداومة :

شرط المداومة يعني ضمان الدوام على العبادة في القوة والضعف والشباب والشيخوخة ، ولا يتحقق الدوام على العبادة إلا إذا كانت مشقتها يمكن الاستمرار فيها ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول: (اكْلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ)[3] وفي رواية لأحمد (اكْلَفُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا) [4].

وكان أيضا يحب من الأعمال أدومها وإن قل، فعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ : (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)[5] وقد(سئلت ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ؟ قَالَتْ : لَا ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَسْتَطِيعُ)[6]، و تطبيقا لذلك ورد عنها أنها (كانت إِذَا عَمِلَتْ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ)[7].

---

١ انظر أبو زهرة ـ الرفق الرفق لواء الإسلام ـ ص٦٠٥

٢ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ ح ١٢٥٧٩ ، قال شاكر : إسناده حسن ح ١٢٩٨٦ .

٣ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل ـ ح ٦١٠٠ .

٤ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ ح ٢٣١٨٦ ، وأخرج نحوه البخاري في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب أحب الدين إلى الله أدومه ـ ح ٤٣ .

٥ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الرقاق ـباب القصد والمداومة على العمل ـ ح ٦٠٩٩ .

٦ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الرقاق ـ باب القصد والمداومة على العمل ـ ح ٦١٠١

٧رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ـ ح ٧٨٢ .

٢ـ إيتاء كل ذي حق حقه وقبول الرخصة :

أصل هذه القاعدة أن الإنسان مكون من روح وجسد ، فلا يجوز تغليب حق أحدهما على الآخر ،لأن في ذلك إدخالا للمشقة على النفس ، ولذلك أمرنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نعطي كل ذي حق حقه، فها هو يخاطب عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قائلا : (يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ، قال : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)[١]. وقد ورد عنه أنه ندم بعد أن كبر في السن وعجز عن العمل فكان يقول : (يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ بِالرُّخْصَةِ)[٢].

٣ـ البعد عن تعذيب النفس :

لم تشرع العبادات بقصد تعذيب النفس وإيذاء البدن ، بل إن الله ـ عز وجل ـ أمرنا بما ينفعنا ونهانا عما يضرنا وكلفنا ما نطيق ونهانا عما لا نطيق ، ومما يدل على ذلك ما رواه أبو مجيبة الْبَاهِلِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَوْ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتُكَ عَامَ الْأَوَّلِ قَالَ : فَمَا لِي أَرَى جِسْمَكَ نَاحِلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكَلْتُ طَعَامًا بِالنَّهَارِ مَا أَكَلْتُهُ إِلَّا بِاللَّيْلِ ، قَالَ : مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَقْوَى ، قَالَ : صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْمًا بَعْدَهُ ، قُلْتُ : إِنِّي أَقْوَى ، قَالَ : صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْمَيْنِ بَعْدَهُ ، قُلْتُ : إِنِّي أَقْوَى ، قَالَ : صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ وَصُمْ أَشْهُرَ الْحُرُمِ)[٣] .

وحديث الباهلي هذا يدل على أن التكلف في العبادة بما يشق على النفس ويتأذى به الجسم غير مأمور به شرعا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أمرك أن تعذب نفسك ؟ [٤] ، وهذا أيضا ما قاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن رآه يمشي في الحج وقد

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب النكاح ـ باب لزوجك عليك حق ـ ح ٤٩٠٣ / وفي كتاب الصوم ـ باب حق الجسم في الصوم ـ ح ١٨٧٤ .

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الصيام ـ باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا ـ ح ١١٥٩

٣رواه ابن ماجة في السنن ـ كتاب الصيام ـ باب صيام أشهر الحرم ـ ح١٧٤١ ، ضعفه الألباني .

٤ انظر ياسين ـ الرفق في العبادة ص٥٨٦ .

أجهد نفسه ، فعَنْ أَنَسٍ (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ فَقَالَ : مَا بَالُ هَذَا ، قَالُوا : نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ) ١.

وفي هذا دليل على أن " مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة ليس مشروعا لنا ، بل أمرنا الله بما ينفعنا ونهانا عما يضرنا "٢.

٤ـ عدم تحريم ما أحل الله :

لبَّس إبليس على أهل الجاهلية تحريم ما أحل الله من الأنعام بسبب خرافات غرسها في قلوبهم توارثوها عن آبائهم : كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام . وعندما جاء الإسلام بتعاليمه السمحة والقوم حديثو عهد بالجاهلية لم يكن غريبا أن تفهم بعض التعاليم فهما خاطئا ، فحرم فئة على أنفسهم بعض ما أحل الله ظنا منهم أن ذلك قربة إلى الله . وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسمع هذه التصورات الغريبة عن روح الإسلام فكان يسد ذلك المدخل الشيطاني ويعدل الاعوجاج ٣. ففي الصحيح عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)٤.

كما أن مجموعة من الصحابة عزموا على التبتل ، فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء وحرموا طيبات الطعام واللباس وهموا بالإختصاء واجمعوا لقيام الليل وصيام النهار

١رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب النذر ـ باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة ـ ح ١٦٤٢ .

٢ البلالي ـ عبد الحميد ـ البيان في مداخل الشيطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٦ ـ ١٩٨٦م ـ ص ٩٥ .

٣ انظر البلالي ـ البيان في مداخل الشيطان ـ ص ٩٤ .

٤رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب النكاح ـ باب الترغيب في النكاح ـ ح ٤٧٧٦ .

فنزل فيهم ، ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ))[1] [2] وبهذا يتبين أن تحريم ما أحل الله بعذر مجاهدة النفس ليس من الحنفية السمحة بشيء ، بل هو أقرب إلى الرهبانية ، ولا رهبانية في الإسلام .

٥- البعد عن الجمود المذهبي :

المقصود بالجمود المذهبي هو التزام مذهب محدد وعدم الالتفات إلى غيره ، ورأى أكثر العلماء أنه لا يجب تقليد إمام معين في كل المسائل والحوادث التي تعرض، بل يجوز أن يقلد أي مجتهد شاء ، بشرط الابتعاد عن تتبع الرخص والتلفيق بين المذاهب، فلو التزم مذهبا معينا كمذهب أبي حنيفة أو الشافعي أو غيرهما ،لا يلزمه الاستمرار عليه، بل يجوز له الانتقال منه إلى مذهب آخر؛ إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة ، وإنما أوجب الله تعالى اتباع العلماء من غير تخصيص بواحد دون آخر، فقال الله عز وجل ، ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) [3] . ولأن المستفتين في عصر الصحابة والتابعين لم يكونوا ملتزمين بمذهب معين، بل كانوا يسألون من تهيأ لهم دون تقيد بواحد دون الآخر، فكان هذا إجماعا منهم على عدم وجوب تقليد إمام ،أو اتباع مذهب معين في كل المسائل .

ثم إن القول بالتزام مذهب ما ، يؤدي إلى الحرج والضيق، مع أن المذاهب نعمة وفضيلة ورحمة، وهذا القول هو الراجح عند علماء الأصول[4].

---

١ المائدة (٨٧) .

٢ انظر ابن كثير - أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ت(٧٧٤) - تفسير ابن كثير - دار الفكر - بيروت - د.ط - ١٤٠١هـ -٨٩/٢ .

٣ الأنبياء (٧).

٤ الزحيلي - وهبة - الرخص الشرعية أحكامها وضوابطها - دار الخير - دمشق - ط ١ - ١٤١٣هـ /١٩٩٣م - ص١٧-١٩ .

ولعل الحكمة في مطالبة الإسلام (بالرفق في العبادة) والاعتدال في أعمال التطوع واضحة جلية ١: فإن الله تعالى خلق الإنسان محتاجا إلى ما يقوم به بدنه من مأكل ومشرب وملبس ، وأباح له من ذلك كله ما هو طيب حلال تقوى به النفس ، ويصح به الجسم ، ويتعاونان على طاعة الله ، وحرم عليه ما هو ضار خبيث ، يوجب للنفس طغيانها وقسوتها وغفلتها وأشرها وبطرها ، فمن أطاع نفسه في تناول ما تشتهيه مما حرمه الله عليه ، فقد تعدى وظلم نفسه ، ومن منعها حقها من المباح حتى تضررت فقد ظلمها ومنعها حقها ، ومن تكلف من التطوع ما يتضرر به في جسمه كما فعل ذلك الباهلي ، أو ما يمنع به حقاً واجباً عليه كما فعل عبد الله بن عمرو بن العاص فانه ينهى عن ذلك ، ومن احتمل بدنه ذلك ولم يمنعه من حق واجب عليه لم ينه ،إلا أن يمنعه عما هو أفضل فإنه يرشد إلى عمل الأفضل . وأحوال الناس تختلف فيما تتحمله أبدانهم ، وتتقبله نفوسهم ، فيرشد كل واحد إلى ما يناسب حالته .

وهذا كله يدل على سماحة الإسلام وسهولة أحكامه ، وما أصدق ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ)٢.

---

١ ياسين - الرفق في العبادة - ص ٥٨٨ .

٢ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الإيمان - باب الدين يسر- ح ٣٩ .

المطلب الثاني | الرفق بالحيوان |

الحيوان يدخل في عموم من تجب رحمته والرفق به؛ لأن في القسوة على الحيوان إيلاما له، وهو ذو نفس حية تحس وتشعر بالألم،فلم يكن ثمة فرق بينه وبين الإنسان من هذا القبيل، سوى أن الإنسان قد يتظلم أو يعبر بنطقه عن شعوره بالألم، مستغيثا مسترحما فيَرْثَى له مؤذيه ويكفُّ عنه، أما الحيوان الأعجم المسكين فليست له وسيلة تحميه من أذى الإنسان، وتشفع به لديه سوى شعور الإنسان نفسه بأنه ارتكب ظلما، واكتسب إثما.فمن لنا بإنعاش هذا الشعور الشريف في نفس الإنسان المؤذي فيتأدب بآداب الدين ؟!

وأبلغ ما جاء في الحض على الرفق بهذه البهائم ، وعرفان قيمتها وشكر الله على الإنعام بها، من باب وصف منافعها وتعديد خدماتها ، قوله تعالى:((وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ))١.

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالحيوان في أكثر من موضع فعن سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ : (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي قَدْ لُطْتُهَا لِإِبِلِي فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ إِنْ سَقَيْتُهَا ؟ ، قَالَ : نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ)٢. و(مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ : اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً)٣.

وفي صحيح مسلم : (رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا

---

١ النحل (٥-٨)

٢رواه ابن ماجه في السنن ـ كتاب الأدب ـ باب فضل صدقة الماء ـ ح٣٦٨٦ ، صححه الألباني ٢ /٢٩٩ .

٣رواه أبو داوود في السنن ـ كتاب الجهاد ـ باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ـ ح ٢٥٤٨ صححه الألباني ٢/٤٨٤.

يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) ١. وعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ يَرْفَعُهُ(إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَى بِهِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا فَإِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا وَعَلَيْكُمْ بِسَيْرِ اللَّيْلِ فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لَا تُطْوَى بِالنَّهَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى الطَّرِيقِ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْحَيَّاتِ)٢.

ويسمو الهدي النبوي الشريف بالإنسان وهو يغرس فيه خلق الرفق ، فيطالبه بالرفق حتى بالحيوان الذبيح فعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)٣.

لقد وسع رسول الله دائرة الرحمة في حس الإنسان فإذا هي تشمل الحيوان فضلا عن الإنسان ، ذلك أن الرفق بالحيوان الأعجم الذبيح دليل على رقة نفس الإنسان الذي يذبحه، وعلى تمثلها الرحمة بكل ذي روح ، ومن وقرت في نفسه هذه المعاني في تعامله مع ذوي الأرواح من الحيوان ،كان بالإنسان أرفق وألطف، وإلى هذا الهدف البعيد ترمي توجيهات الإسلام لكل مسلم بالرفق حتى بالحيوان ٤. فالشرع يكلفنا الإحسان وتوخي الخير حتى في تخفيف الألم عما نريد ذبحه أو قتله من الحيوان، فالكلب العقور مثلا يجهز عليه بآلة ماضية لا تعذبه، والحيوان المأكول كذلك بعد أن نريحه ونسقيه ونشحذ السكين شحذا ماضيا، ولا نريه إياها ٥.

وإذا كان الشارع قد نهى عن إيلام الحيوان المراد ذبحه أو قتله لسبب ، فإنه نهى أن يقتل هذا الحيوان بغرض التسلية أو اللعب ، كما نهى عن التمثيل به ، فقد ورد

---

١ رواه مسلم في الصحيح – كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق – ح ٢٥٤٩ .

٢ رواه مالك في الموطأ ـ كتاب الجامع ـ باب ما يؤمر به من العمل في السفر ـ ح ١٧٦٧ .

٣ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ـ باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة ـ ح١٩٥٥،وفي رواية الترمذي(وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة) كتاب الديات عن رسول الله ـ باب ما جاء في النهي عن المثلة ـ ح ١٤٠٩، وكلاهما عن شداد بن أوس.

٤ انظر الهاشمي ـ محمد علي ـ شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ـ الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ـ الرياض ـ د.ط ـ د. ت ـ ص٢٥٦

٥ انظر المغربي ـ عبد القادر ـ الأخلاق والواجبات ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٣٤٤هـ ـ ص١٤٣

أن فِتْيَةً نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا فلمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عَنْهَا فقالَ ابْنُ عُمَرَ مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هَذَا ..وقال في رواية: لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ).١ وورد عن أنس أنه رأى غِلْمَانًا أَوْ فِتْيَانًا نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا فقالَ : نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ)٢وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ)٣.

وتعدى الرفق بالحيوان الأمور المادية إلى الشعور المعنوي ؛ فها هو صلى الله عليه وسلم يأمر بالابتعاد عن الأم من الغنم رفقا بأبنائها ، ففي حديث أبي بكر أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لَهُ وَلِعُمَرَ: (انْطَلِقَا بِنَا إِلَى الْوَاقِفِيِّ قالَ فَانْطَلَقْنَا فِي الْقَمَرِ حَتَّى أَتَيْنَا الْحَائِطَ فقالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا ثُمَّ أَخَذَ الشَّفْرَةَ ثُمَّ جَالَ فِي الْغَنَمِ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ أَوْ قالَ ذَاتَ الدَّرِّ)٤. كما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بإعادة أفراخ الحمرة إلى أمهم رفقا بها ، فقال لمن أخذ الفرخان : (مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا)٥ فجمع صلى الله عليه وسلم بين الرفق بالأم والرفق بالأبناء .

ولكمال رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان أنطق اللهُ الجملَ ليشكو إليه همه ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قالَ: (أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ .. فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فلمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فقالَ : مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنْ

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الذبائح والصيد ـ باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ـ ح٥١٩٦.

٢ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الذبائح والصيد ـ باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ـ ح ٥١٩٤.

٣ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب الجهاد عن رسول الله ـ باب ما جاء في كراهية التحريش بين البهائم ـ ح ١٧٠٨ ، ضعفه الألباني .

٤ رواه ابن ماجه في السنن ـ كتاب الذبائح ـ باب النهي عن ذبح ذوات الدر ـ ح ٣١٨١ ، ضعفه الألباني .

٥رواه أبو داوود في السنن ـ كتاب الجهاد ـ باب في كراهية حرق العدو بالنار ـ ح ٢٦٧٥ ، صححه الألباني ٥٠٨/٢.

الأنصار فقالَ لِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقالَ : أفلا تتقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)١.

أما عن تعذيب الحيوان فقد نهى صلى الله عليه وسلم عنه ، فحذر من حبسه أو وسمه في وجهه أو حرقه أو قتله بلا سبب ، فقالَ: (دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ)٢ وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا مَوْسُومَ الْوَجْهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ٣، ومَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ). ٤ وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حُرِّقت فقالَ : (مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ؟ إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ)٥.

وقال : (إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنْ الْأَرْضِ وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ وَإِذَا عَرَّسْتُمْ٦ بِاللَّيْلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهَوَامِّ بِاللَّيْلِ).٧

وبعد كل ذلك ؛ كان الرفق بالحيوان سببا في حصول الأجر والمغفرة لرجل وامرأة، فعن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ)٨ وورد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّ

---

١ رواه أبو داوود في السنن - كتاب الجهاد - باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم - ح ٢٥٤٩ ، صححه الألباني ٤٨٤/٢.

٢ رواه البخاري في الصحيح - كتاب بدء الخلق - باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم - ح ٣١٤٠.

٣ رواه مسلم في الصحيح - كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه - ح ٢١١٨.

٤رواه مسلم في الصحيح - كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه - ح ٢١١٧.

٥ رواه أبو داوود في السنن - كتاب الجهاد - باب في كراهية حرق العدو بالنار - ح ٢٦٧٥ ، صححه الالباني ٥٠٦/٢ .

٦ أعرس المسافر: نزل آخر الليل للراحة ، انظر أنيس - المعجم الوسيط - ص٥٩٢ .

٧ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب مراعاة مصلحة الدواب في السير والنهي عن التعريس - ح ١٩٢٦.

٨ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم - ح ٥٦٦٣

امْرَأَةٌ بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا)[1].

لقد أراد الرسول في هذه المواقف أن يغرس في حس المسلمين معنى الرحمة الواسع الشامل ، ليغدوا المسلم رحيما بطبعه حتى بالحيوان ،لأن من كان له قلب يحنو على الحيوان لا يقسو على أخيه الإنسان. وكان الرسول ذا رحمة للإنسان والحيوان ، وكان يعلم المسلمين أن يكونوا كذلك.

فما أروع هذا الشمول الذي تتمتع به التعاليم الإسلامية فالرحمة الإيمانية تمتد ظلالها وراء حدود الإنسان ، وتشمل كل ذي كبد رطبة ، والله يثيب على كل رحمة ولو كانت بحيوان محتقر غير ذي شان .

إن كثيرا من الذين توصلوا حديثا إلى إعلان مبدأ الرفق بالحيوان ، وأصبحوا يفخرون بهذا الرقي الإنساني ؛ إذا تعلقت مصالحهم السياسية أو الاقتصادية بإهلاك أمم وشعوب من البشر لم يتورعوا عن ذلك، ولم تخفق في قلوبهم خافقة رحمة ، إن دوائر الرفق لديهم محدودة في حدود أشخاصهم أو أهليهم ومن يحبون ، أما التعاليم الإسلامية فإنها تجعل دائرة الرفق دائرة واسعة تنتظم الوجود كله، وتجعل المؤمنين مسؤولين عن الرحمة بكل ذي كبد رطبة . [2]

---

١ رواه مسلم في الصحيح - كتاب السلام - باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها - ح ٢٢٤٥

٢ انظر الميداني - الوجيزة - ص ٣٢١-٣٢٢

المطلب الثالث | رفق الراعي بالرعية |

تطلق كلمة الراعي على كل من ولي أمرا بالحفظ والسياسة كالملك والأمير والحاكم . أما الرعية : فهم عامة الناس الذين عليهم راع يدبر أمرهم ويرعى مصالحهم ١. و تطلق كلمة الراعي أيضا على كل من ولي أمرا على العموم ٢، ومصداقه حديث ابن عمر عَنْ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)٣. ولكن المراد في هذا المطلب المعنى الخاص للراعي ، أي بيان رفق الحاكم بالمحكومين. وذلك لأن رفق الحكام هو أعلى درجات الرفق وأسماها وأوصلها إلى تحقيق العدالة وجمع الكلمة، وعنفهم هو أبعد أنواع العنف عن معاني الرحمة وهو المفرق للكلمة،وهو ظلم إن كان في غير حق وأقرب إلى الظلم إن كان له أصل من الحق ٤.

ومن أهم مظاهر رفق الراعي بالرعية :

أولا : الحكم بما أنزل الله :

حكم الحاكم بما أنزل الله هو أساس الرفق بالرعية ، فالله عز وجل هو الخالق وهو العالم بما ينفع الناس ، وقد شرع لهم من الأحكام ما ينفعهم ولا يضرهم ، وبين لهم منها ما يحقق مصالحهم وتتحقق به إنسانيتهم ، لذلك كان لا بد للحاكم الرفيق من تطبيق حكم الله في رعيته لما فيه من تحقيق المصالح لهم ودرء المفاسد عنهم .

١انظر أنيس ـ المعجم الوسيط ص٣٥٦ .

٢ أصل كلمة الراعي : تطلق على من يحفظ الماشية ويرعاها ،والرعية هي الماشية الراعية . انظر أنيس ـ المعجم الوسيط ص٣٥٦

٣رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليها ـ ح ١٨٢٩ .

٤ انظر أبو زهرة ـ الرفق الرفق لواء الإسلام ـ ص٦٠٧ .

وقد وصف الله عز وجل من لم يحكم رعيته بما أنـزل بـالظلم والفسق والكفر ، وذلـك لأنه فوَّت المصلحة على الأمة بعدم الحكم بما أمر الله . قال تعالى: ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ)) ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَـأُوْلَئِكَ هُـمْ الظَّـالِمُونَ)) ((وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ))[1] .

ثانيا : مراعاة مصالح الأمة وعدم الغش :

اتفق فقهاء الشريعة على أن تصرفات الإمام أو من ينوب عنه مرتبطـة بتحقيـق مصالح الناس ، فإن خرجت من المصلحة إلى المفسدة كانت باطلة ، وتعرض أصحابها إلى المسؤولية في الدنيا والآخرة ، ووضع الفقهاء القاعدة الفقهية المشهورة : تصـرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة [2] .

وأهم ما يحقق هذا المظـهر التنظيـمُ الإداري القـوي ، فـالإدارة والتنظيـم مفتـاح للتيسير والتسهيل على الشعوب والأمم ، وقد حذر صلى الله عليه وسلم من الحاكم غير المنظـم ، فقـال : (إن شـر الرعـاء الحطمـة)[3] والرعـاء : جمـع راعـي ، والحطمـة : العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاهـا بـل يحطمـها فـي ذلـك وفـي سـقيها وغيره ، ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها "[4] ، ومن ثـم دعـا ـ صلـى الله عليه وسلم ـ لمن يرفق بالأمة وعلى من يشق عليها ، فقـال: (اللَّـهُمَّ مَـنْ وَلِـيَ مِـنْ أَمْـرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِـهِ)[5] واي مشقة أكبر من الفوضى الإدارية وخصوصا في حال اتساع رقعة الدولة .

---

١ المائدة (٤٤،٤٥، ٤٧)

٢ انظر الزحيلي ـ مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان ـ ص٧٨ .

٣ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمـام العـادل وعقوبـة الجـائر والحث علـى الرفق بالرعيـة والنهي عن إدخال المشقة عليهم ـ ح١٨٣٠ عن عائذ بن عمرو .

٤ النووي شرح صحيح مسلم ٢١٦/١٢ .

٥ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمـام العـادل وعقوبـة الجـائر والحث علـى الرفق بالرعيـة والنهي عن إدخال المشقة عليهم ـ ح١٨٣٠ عن عائذ بن عمرو .

وفي نهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن غش الرعية قال :(مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)١ و يحتمل في فهم الحديث وجهان :(أحدهما أن يكون مستحلا لغشهم فتحرم عليه الجنة ويخلد في النار ، والثاني أنه لا يستحله فيمتنع من دخولها أول وهلةٍ مع الفائزين ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى : لم يدخل معهم الجنة أي وقت دخولهم بل يؤخر عنهم عقوبة له إما في النار وإما في الحساب وإما في غير ذلك) .

وفي هذه الأحاديث وجوب النصيحة على الوالي لرعيته والاجتهاد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم ." ٢

ثالثا : منح الرعية حق الشورى :

لم يقف الإسلام من الشورى عند حد اعتبارها حقاً من حقوق الرعية وإنما ذهب فيها إلى الحد الذي جعلها فريضة شرعية واجبة على كافة الأمة ، حكاماً ومحكومين ، في الدولة وفي المجتمع ، وفي كل مناحي السلوك الإنساني الدنيوي٣.

وكانت هذه القاعدة السياسية لدولة الإسلام أعظم إصلاح سياسي للبشر قررها القرآن في عصر كانت فيه جميع الأمم مرهقة بحكومات استبدادية استعبدتها في أمور دينها ودنياها ، وكان أول منفذ لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فلم يكن يقطع أمرا من أمور السياسة والإدارة العامة للأمة إلا باستشارة أهل الرأي والمكانة في الأمة ٤ قال تعالى:((فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ))٥. وهذا الحسم والوضوح اللذان تألقت بهما الشورى كفريضة شرعية واجبة في قرآننا الكريم ، ووحي الله لرسوله قد وعاه جيداً أسلافنا العظام ، الذين كتبوا في تفسير هذه الآية ، فقال القرطبي :" إن الشورى من قواعد

---

١ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ـ ح ١٤٢

٢ النووي شرح صحيح مسلم ـ ج١٢ / ص٢١٤،٢١٥ .

٣انظر عمارة ـ الإسلام و حقوق الإنسان ـ ص ٣٤ .

٤ انظر رضا ـ الوحي المحمدي ص ١٨٦ .

٥ آل عمران (١٥٩).

الشريعة وعزائم الأحكام . ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، وهذا مما لا خلاف فيه.." ١ .

وإذا كان هذا هو صريح المعنى القرآني في المواطن التي ورد فيها مصطلح الشورى بلفظه في آيات الذكر الحكيم ، فإن هناك معنى جليلاً ذا دلالة يزكي هذا المعنى الذي ينحو إليه القرآن الكريم ؛ معنى وجوب أن تكون سياسة الأمة الإسلامية شورى ، وحكمها شورى وكل أمرها شورى .. فالقرآن الكريم قد تحدث عن أولي الأمر في موطنين اثنين في سورة النساء فقال في الآية الأولى مخاطباً الرعية: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ))٢. وقال في الثانية: ((وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا))٣. والملحظان اللذان نلفت إليهما النظر في هاتين الآيتين الكريمتين هما :الأول :أن القرآن لم يتحدث عن أولي الأمر بصيغة المفرد ، وإنما تحدث عنهم بصيغة الجمع ، وفي ذلك تزكية للجماعية وللقيادة الشورية ، وعدول عن سبيل التفرد والانفراد بأمر المسلمين . والثاني :أن القرآن قد اشترط لطاعة أولي الأمر ولاختصاصهم بما اختصهم به أن يكونوا من الأمة ، بمعنى أن يكونوا موضع اختيارها ومصدرا لثقتها .

ولعل أهمية الشورى تظهر من خلال آثارها الآتية :

١. أن الشورى طريق لمعرفة الرأي الصواب .
٢. الشورى مصدر استفادة من خبرات وتجارب الآخرين التي اكتسبوها في سنين طوال وبجهود وتضحيات عظيمة .
٣. المشاورة عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر بالأمة .
٤. في الشورى تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان ، وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطان ، وفي هذا وذاك عصمة من الطغيان .

---

١ القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر - تفسير القرطبي - دار الشعب - القاهرة - ط٢ - ١٣٧٢هـ - ٢٤٩/٤ .

٢ النساء(٥٩)

٣ النساء (٨٣)

رابعا : ضرورة العدل :

العدل في العرف الإسلامي : ضد الجور والظلم وهو يعني الوسطية والتوازن المدرك بالبصيرة ، والذي يحقق الإنصاف بإعطاء كل إنسان ما له وأخذ ما عليه منه.١ والعدل في شرعة الإسلام ، فريضة واجبة ، وليس مجرد حق من الحقوق التي باستطاعة صاحبها التنازل عنها إذا هو أراد ،أو التفريط فيها دون وزر وتأثيم إإنه فريضة واجبة فرضها الله سبحانه وتعالى على الكافة دون استثناء ..فرضها على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره بها ..((وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ))٢، كما فرضها على أولياء الأمور من الولاة والحكام تجاه الرعية والمتحاكمين قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا))٣. ٤ وقال ـ صلى الله عليه وسلم تأكيدا لذلك :(الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا مِثْلَ ذَلِكَ مَا إِنْ اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)٥ ، وبشر العادلين من الولاة والحكام بمنابر من نور فقال ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ : (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)٦.

والعدل فريضة إنسانية وضرورة بشرية ، تجب على الإنسان للإنسان ،من حيث هو إنسان ، فهي فريضة واجبة سواء أكان الأمر تجاه الأصدقاء أو الأعداء قال

١انظر عمارة ـ الإسلام وحقوق الإنسان ص٥٥ / وانظر الميداني ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ـ ص ٢٥٧ .

٢ الشورى(١٥)

٣ النساء (٥٨)

٤انظر عمارة ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ ص٥٦ .

٥ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ مسند أنس بن مالك ـ ح ١١٨٥٩ ، قال شاكر : إسناده حسن ،ح١٢٢٤٧.

٦ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق ـ ح١٨٢٧

تعالى:((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) ١
كذلك نجدها واجبة حتى لو صادمت الميل والهوى ، بسبب تناقضها مع المصلحة الذاتية أو مصلحة من يميل إليه الإنسان قال تعالى:((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) ٢.٣

ومن أهم مقتضيات العدل في الدولة الإسلامية :
اختيار الموظفين الأكفاء ومراقبتهم ، وإشاعة الأمن والاستقرار في المجتمع ، تهيئة ما يحتاجه الناس لمعاشهم ، واستثمار خيرات البلاد .

<u>خامسا : البعد عن الظلم :</u>

يعرف اللغويون الظلم بأنه :"وضع الشيء في غير موضعه " ٤ ، وقد غلب استعماله على تعمد تحويل حق من شخص لآخر وإضاعته عليه ومنعه من التمتع به ، وهو يختلف باختلاف عموم الحق وخصوصه : فقد يكون الحق عاما راجعا إلى مجموع الأمة ومصالحها السياسية والاقتصادية ، فالظلم يكون بالحيلولة بين الأمة وبين التمتع بهذه الحقوق ، وقد يكون الحق خاصا متعلقا بالأشخاص فيتشاحون عليه ويظلم بعضهم بعضا فيه، ثم يرجعون إلى الحكام فيعدلون فيهم أو يجورون ٥.

وقد ضرب الله لنا المثل على بشاعة الظلم عندما أخبرنا أنه حرمه على نفسه ، وأحال وقوع مثقال ذرة من الظلم من قبله سبحانه ،و نهانا عنه وحذرنا من اقترافه ، فقال تعالى:((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)).٦((وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ))١((وَأَنَّ

---
١ المائدة(٨)
٢ النساء (١٣٥)
٣ عمارة ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ ص٥٨ ـ ٥٩
٤ أنيس ـ المعجم الوسيط ـ ص٥٧٧
٥ انظر المغربي ـ الأخلاق والواجبات ـ ص١٦٥
٦ غافر(٣١)

اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ))٢((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)) ٣
((..وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا))٤ ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ..)) ٥

وفي الحديث القدسي (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا) ٦

وفي الحديث النبوي أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ)٧.

وحذر الرسول صلى الله عليه وسلم الحكام خاصة من الظلم في أحاديث كثيرة منها : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)٨ وقال : (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)٩و قَالَ: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ)١٠

وأعظم ظلم الحاكم تولية غير الأمين على العباد وتمكينه أو إعانته على ظلمه ، وقد جاء في أمثال العرب : [من استرعى الذئب فقد ظلم] ١١.

ولعل أهم آثار الظلم السلبية على الفرد والمجتمع تتمثل بما هو آت :

١. تدمير حضارة الأمة وتدمير سلطانها وذهاب سعادتها .
٢. الظلم سبب في تعجيل العقوبة .
٣. الظلم سبب في نيل سخط الله .
٤. الظلم سبب الإفلاس في الآخرة وسبب لدخول النار .

---

١ آل عمران(١٠٨)
٢ آل عمران(١٨٢)
٣ يونس(٤٤)
٤ الكهف(٤٩)
٥ النساء(٤٠)
٦ رواه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - ح ٢٥٧٧ عن أبي ذر .
٧ رواه البخاري في الصحيح - كتاب المظالم والغصب - باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه -ح٢٣١٠
٨ رواه مسلم في الصحيح - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - ح ٢٥٧٨
٩ رواه البخاري في الصحيح - كتاب المظالم والغصب - باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم - ح٢٣١٦
١٠ رواه أحمد في المسند - باقي مسند المكثرين - باقي المسند السابق - ح ٨٤٤٠ ، وأخرج نحوه البخاري في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأهلون.. - ح ٢٨٩٤ .
١١ يضرب لمن يولي غير الأمين ، انظر أنيس وآخرون - المعجم الوسيط - ص٥٧٧

المطلب الرابع | رفق الداعية في دعوته |

المراد من إتصاف الداعية بالرفق : أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والقسوة والشدة والجفاء أو بعبارة أخرى أن تكون عنده مداراة ١.

والمداراة كما عرفها صاحب الفتح هي"الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه ونحو ذلك "٢.

وقد أمر الله عز وجل نبيه موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بإلانة القول لفرعون أثناء دعوتهما له فقال : ((اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى))٣ ، كما أمر الله سبحانه وتعالى أكرم الخلق أن يجادل بالتي هي أحسن فقال : ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن))٤.

وبين القرآن الكريم أن الناس ينصرفون عن صاحب الخلق القاسي الفظ مهما عظم شأنه وكثرت فضائله فقال ـ عز وجل ـ مخاطبا رسوله الكريم: ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك))٥.

وينبغي أن يقف الداعية طويلا عند هذه الآية الكريمة . فإذا كانت خشونة الكلام وغلظة القلب مما يجعل الناس يفرون وينفرون من أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى إن وجدنا فيه ، فكيف بمن دونه إذا كان فظا غليظ القلب ؟ ٦.

ومما يدل على ضرورة تحلي الداعية بالرفق أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما أوصاهما بالتيسير والتبشير ونهاهما عن التعسير والتنفير، فقال لهما: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا

---

١ انظر ظهير ـ من صفات الداعية ـ ص٩.

٢ ابن حجر ـ فتح الباري ١٠/٥٢٨.

٣ طه (٤٣-٤٤).

٤ النحل (١٢٥).

٥ آل عمران (١٥٩).

٦ انظر ظهير ـ من صفات الداعية ـ ص١٤.

وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا)١. ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم الأمر بالتيسير والتبشير بل نهى عن التعسير والتنفير وهذا يقتضي التيسير والتبشير في جميع الأحوال ، وانتفاء ضديهما في جميع الأحوال كذلك ، فلو اقتصر على (يسرا) لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات وعسر في معظم الحالات ، فإذا قال (ولا تعسرا) انتفى التعسير في جميع الأحوال ومن جميع وجوهه .

ولم يكن هذا الأمر النبوي خاصا بأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما ، بل كانت هذه سنته المباركة عند بعثه أحداً من الصحابة ، فقد روي عَنْ أَبِي مُوسَى أنه قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)٢.

ولا يفهم مما سبق ذكره أن الدعوة بالرفق هي الصورة الوحيدة للدعوة ، بل هناك أحوال يعدل فيها عن الرفق إلى الغلظة والشدة. فإذا انتهكت حرمات الله وآن وقت إقامة الحدود ، أو ظهر عناد أو استخفاف أو استهزاء بالدعوة ، أو بدرت مخالفة الشرع عمن لا يتوقع منه ذلك ، ففي تلك الأحوال يلجأ إلى الدعوة بالقسوة والشدة ٣..

١- الشدة عند الانتقام لحرمات الله تعالى وإقامة الحدود :

من أهم المواطن التي لا بد أن يلجأ الداعية إلى استخدام الشدة فيها الانتقام لحرمات الله تعالى وإقامة الحدود. ففي حديث عائشة (وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ)٤ . وقد نهى الله عز وجل عن الرأفة في دين الله تعالى فنهى عن الرأفة بالزاني والزانية في قوله تعالى : ((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)) ٥ أي لا تمتنعوا من إقامة الحدود شفقة على المحدود ، ولا تخففوا الضرب رحمة به لأن الرفق في هذا الموطن لا يكون إلا بإقامة الحد زجرا للمعتدي

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجهاد و السير - باب ما يكره من التنازع والاختلاف - ح٢٨٧٣.

٢ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير - ح١٧٣٢.

٣ انظر ظهير- من صفات الداعية - ص٣٤.

٤ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الحدود - باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله - ح ٦٤٠٤.

٥ النور (٢).

ولغيره ممن قد يفكر بالتعدي على حد من حدود الله ، ولا يخفى على أحد ما لإقامة الحدود من أهمية في الحفاظ على مصالح الإنسان الضرورية من حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل ، كما أن إقامة الحد فيه تكفير للذنب الموجب للعقاب يوم القيامة.

ومما يدل على ضرورة الشدة في إقامة الحدود أن النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ غضب لما شفع حبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما في حد من حدود الله تعالى، فعن عائشة رضي الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فاختطب ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1].

٢ـ الشدة عند ظهور عناد أو استخفاف بالدعوة :

إذا ظهر عناد أو استخفاف واستهزاء بالدعوة فعلى الداعية أن يختار الأسلوب المناسب لمعالجته ، ولا يقتصر على الدعوة بالرفق ، ومما يدل على ذلك أن الله تعالى لما أمر نبيه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن استثنى منهم الذين ظلموا . قال : ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم))[2] . كما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ باستخدام الغلظة والخشونة مع المنافقين . يقول عز من قائل : ((ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير))[3] .

وقد ثبت أن النبي الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا على من منعه الكبر من تنفيذ أمره ، فعن سلمة بن الأكوع أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب حديث الغار ـ ح٣٢٨٨.

٢ العنكبوت (٤٦).

٣ التحريم (٩).

فقال : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ما منعه إلا الكبر، قال : فما رفعها إلى فيه)[1].

٣ ـ الشدة عند بدور مخالفة الشرع لدى من لا يتوقع منه ذلك :

من أسباب العدول عن الدعوة بالرفق إلى الدعوة بالغلظة والقسوة ظهور منكر أو ترك معروف من قبل أشخاص لا يتوقع ذلك منهم ، لما عرف من معرفتهم بأمور الدين أو صلاحهم أو ورعهم ، فيستخدم معهم أسلوب الشدة والتعنيف كي يكون وقع الإنكار في قلوبهم أبلغ وأشد فيبتعدوا عما صاروا إليه[2] . ويستنبط هذا من مواقف دعوية كثيرة في سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها :-

أ ـ زجره لمن أطال الصلاة من غير مراعاة لأحوال المأمومين :

فعن أبي مسعود الأنصاري قال : (قال رجل : يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضبا من يومئذ ، فقال : أيها الناس إنكم منفرون ؛ فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة)[3] وفي هذا دليل على أن الشدة على الأفراد لازمة إن تحقق بها حصول الرفق للجماعة .

ب ـ غضبه صلى الله عليه وسلم على من سأل عن التقاط ضالة الإبل :

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ضالة الغنم فقال خذها فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب وسئل عن ضالة الإبل فغضب واحمرت وجنتاه وقال : ما لك ولها ، معها الحذاء والسقاء تشرب الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها[4].

وسبب شدة غضبه صلى الله عليه وسلم هو تقصير السائل في فهم مالا ينبغي التقصير فيه ، حيث لا داعي إلى التقاطها لأن الله تعالى قد أعطاها ما يغنيها عن حفظ الملتقط ،

---

١ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ـ ح ٢٠٢١.

٢ انظر ظهير ـ من صفات الداعية ـ ص٥٠ .

٣رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب العلم ـ باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ـ ح٩٠.

٤رواه البخاري في الصحيح كتاب الطلاق ـ باب حكم المفقود في أهله وماله ـ ح ٤٩٨٦.

وإلى هذا نجد الإشارة في قوله ـ صلى الله عليه وسلم : معها الحذاء والسقاء ، تشرب الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها .

جـ ـ قوله صلى الله عليه وسلم (ويلك) لمن تأخر عن تنفيذ أمره بركوب البدنة :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً فَقَالَ : ارْكَبْهَا : فَقَالَ إِنَّهَا بَدَنَةٌ فَقَالَ : ارْكَبْهَا قَالَ : إِنَّهَا بَدَنَةٌ قَالَ :ارْكَبْهَا وَيْلَكَ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الثَّانِيَةِ)١. وقال له صلى الله عليه وسلم "ويلك" تأديباً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه حيث لا يتوقع من مؤمن تردد أو توقف عن امتثال أوامره صلى الله عليه وسلم .

د ـ شدته عليه الصلاة والسلام على من تختم بذهب :

رَأَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢.

وحول استخدام الشدة بدلا من الرفق يقول الإمام الغزالي : " و يعدل إلى التعنيف بالقول الغليظ الخشن عند العجز عن المنع باللطف ، وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح "٣ . ويقول ابن حجر في تعليقه على قصة الأعرابي الذي بال في المسجد " وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن منه عناداً " ٤ ومفهوم المخالفة لقوله : تعليمه ما يلزمه بتعنيف إذا كان معاندا .

وبذلك تكون الدعوة إلى الله بطريقين : طريق اللين وطريق القسوة ، أما طريق اللين فهي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه ، فإن نجحت هذه الطريقة فبها ونعمت، وهو المطلوب ، وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده وتقام حدوده وتمتثل أوامره ، وتجتنب نواهيه ،

١رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الحج ـ باب ركوب البدن ـ ح١٦٠٤.

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم خاتم الذهب على الرجال ـ ح٢٠٩٠.

٣ انظر الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد ـ إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٤٠٣هـ ـ ٣٣٠/٢.

٤ ابن حجر ـ فتح الباري ٣٢٥/١ .

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ((لقدْ أرْسَلنَا رُسُلنَا بالبَيِّنَاتِ وَأنْزَلنَا مَعَهُمْ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقوْمَ النَّاسُ بالقِسْطِ وَأنْزَلنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ))[1] ففيه الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة . فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب ، والله تعالى قد يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن [2] .

ومما يحسن التنبيه إليه أن استخدام الشدة في الدعوة في بعض الأحوال إنما يكون بعد النظر والتدبر فيما يترتب عليه . فإن تأكد لدى الداعية حدوث منكر أعظم من المنكر الذي أراد إزالته أو ترك معروف أهم منه بسبب دعوته بالشدة فليس له أن يلجأ إليها ، وفي سيرة قدوة الدعاة وإمامهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يرشد إلى هذا ، فمن ذلك منعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرَ بن الخطاب مِنْ قتل رأس النفاق عبد الله بن أبي رغم استحقاقه لذلك ـ عندما قال : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ـ خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم [3] .

ومن أهم الآثار السلبية التي قد تنتج من العنف في الدعوة [4]:

١. عدم استئصال الفساد والمساعدة على انتشاره .
٢. وقوع الخطر على الدعوة والدعاة .
٣. غياب الدعوة بالحكمو والموعظة الحسنة ، بحيث يصبح أسلوب القوة هو وسيلة التفاهم .
٤. اختفاء الدعاة من المجتمع والهروب إلى الكهوف .
٥. انفراد أهل الشر في التوجيه والتربية .
٦. مواجهة الإسلام بالدعايات المضادة المختلقة عليه .
٧. خسران الدعوى من رجالها من يصعب تعويضه .
٨. بعد الناس عن الدعوة .

---

[1] الحديد (٢٥)

[2] انظر ظهير ـ من صفات الداعية ـ ص٤١ .

[3] انظر الرواية في صحيح البخاري ـ كتاب المناقب ـ باب ما ينهى من دعوة الجاهلية ـ ح٣٣٣٠ .

[4] بني عامر ـ محمد أمين حسن محمود ـ أساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة ، الداعية ، المدعو) ـ جامعة اليرموك ـ اربد ـ د.ط ـ ١٩٩٩م

المبحث الثاني

المجالات التطبيقية لرفق المجتمع

المطلب الأول | الرفق في مجال الأسرة |

الأسرة هي المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية ، الأولى من ناحية نقطة البدء التي تؤثر في كل مراحل الطريق ، والأولى من ناحية الأهمية لأنها تزاول إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني ، وهو أكرم عناصر هذا الكون في التصور الإسلامي [1].

ولذلك فقد أعطى الإسلام لموضوع الأسرة اهتماما بالغا ، حيث رسم مجمل العلاقات الأسرية ، وبين حقوق أفراد الأسرة بعضهم على بعض ، فأوجب صلة الأرحام وأمر بالإشفاق على الأبناء والإنفاق عليهم، ووصى بطاعة الوالدين ، وزجر عن عصيان أمرهما وعقوقهما ، وبين تفاصيل الحياة الزوجية وما ينبغي أن تكون عليه، كل ذلك ليعيش المسلم في سكينة وسعادة فلا يشقى في الدنيا ولا في الآخرة . والرفق في مجال الأسرة يتجلى في عدة محاور أهمها الرفق بالوالدين والرفق بالأبناء والرفق بالزوجة .

الفرع الأول : الرفق بالوالدين :

الرفق بالوالدين يكون في موافقتهما على أغراضهما الجائزة والإحسان إليهما بالقول والفعل ، وبحسن الكلام وخفض الجناح والتودد والتحبب والتزام الأدب معهما واحترامهما ، والبعد عن عقوقهما أو ما يسبب الإزعاج لهما [2].

وقد حث الإسلام على الرفق بالوالدين فقرن الإحسان إليهما بالإيمان بالله في عدة أيات، قال تعالى : ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))[3] وقال :

---

[1] انظر قطب ـ الظلال (٢/٦٥٠).

[2] انظر رشدي ـ يلسين ـ من أخلاقيات الإسلام ـ نهضة مصر ـ مصر ـ د.ط ـ د.ت ـ ص١٢ .

[3] الإسراء (٢٣)

((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))١ وقال: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا))٢

وللرفق بالوالدين في الإسلام مجموعة من المظاهر منها :

١- طاعتهما في المعروف : فطاعة الوالدين واجبة ما لم تكن في معصية الله عز وجل، وينبغي تقديمها على طاعة كل آمر غير الله ورسوله ، فلا جهاد إلا بإذنهما في غير النفير العام ، ولا دخول ولا انصراف ولا تعلم إلا برضائهما ما لم يؤد ذلك إلى معصية الله جل وعلا.

٢- الإحسان إليهما : ويشمل كل قول أو فعل أو حركة تدخل السرور والغبطة عليهما ، وتضع الرضا والقبول في قلبيهما ، وتشعرهما بعظم مكانتهما والاستعداد لطاعتهما وتنفيذ أوامرهما . ومن صور الإحسان إلى الوالدين بذل المال والعطاء لهما(فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي اجْتَاحَ مَالِي فَقَالَ : أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ، وَقَالَ : إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)٣.

٣- التودد والتحبب وخفض الجناح لهما : وذلك بمبادأتهما السلام وتقبيل أيديهما ورأسيهما ، وانتقاء أطايب الكلام لهما ، وإدخال السرور والغبطة عليهما ، والإفساح في المجلس لهما . أما خفض الجناح فيكون بسكون الجوارح ولين الكلام والاطمئنان ، وإظهار الاستصغار أمامهما وتوقيرهما وإظهار مهابتهما وعلو منزلتهما وسمو قدرهما.

٤- تلطفهما وترك التضجر والتأفف منهما وخاصة في حال الكبر: قال تعالى : ((إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا))٤ . وإننا إذا نظرنا إلى هذه الآيات نجد فيها عدة أوامر :

---

١ النساء (٣٦)

٢ الأنعام (١٥١)

٣ رواه ابن ماجه في السنن - كتاب التجارات - باب ما للرجل من مال ولده - ح ٢٢٩٢ ، صححه الالباني ٢/٣٠٠ .

٤ الإسراء (٢٣-٢٤).

الأمر الأول (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) : وهذه أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ؛ ألا يظهر من الولد ما يدل على الضجر والضيق وما يشي بالإهانة وسوء الأدب ، فيخاطبهم باحترام وحب وإجلال ويستمع إلى وجهة نظرهم ولا ينهرهم .
الأمر الثاني (وقل لهما قولا كريما) : وهي مرتبة أعلى إيجابية ، أن يكون كلامه لهما يشي بالإكرام والاحترام .
الأمر الثالث ((واخفض لهما جناح الذل من الرحمة))١ : فالرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل الذي لا يرفع عينا ولا يرفض أمرا . وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام والاستسلام ٢.
الأمر الرابع ((وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا))٣ فيجب الدعاء لهما اعترافا بفضلهما وما قدماه من قبل ، سواء في حياتهما ؟ أو بعد موتهما . وقد قال سبحانه على لسان نوح –عليه السلام-: ((رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات))٤
٥- رعاية الوالدين وإن كان أحدهما أو كلاهما على دين آخر: حيث يدعو الإسلام حينئذ إلى حسن معاملتهما حتى لو دعيا الأبناء إلى الخروج عن الإسلام ، وفي هذه الحالة يجب أن يرفض الأبناء ذلك دون المساس بقاعدة الإحسان ، وهذا واضح في قوله تعالى: ((وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي))٥
وورد في الحديث عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : (قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها ؟ قال : نعم صليها) ٦.

---

١ الإسراء (٢٤)
٢انظر قطب ـ ٢٢٢١/٤ بتصرف.
٣ الإسراء (٢٤)
٤ نوح(٢٨)
٥ لقمان (١٥)
٦ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الجزية ـ باب إثم من عاهد ثم غدر ـ ح ٣٠١٢.

وللرفق بالوالدين وطاعتهما مجموعة من الآثار أهمها :

١- بر الوالدين سبب رضى الله : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ)١. و عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : (نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَذَلِكَ الْبِرُّ كَذَلِكَ الْبِرُّ وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ)٢.

٢- بر الوالدين سبب للرفعة في الدنيا قبل الآخرة ، ومزية قد تجعل من صاحبها خير الناس وأحبهم إلى الله ، فمما ورد عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أنه (كان إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ : أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ[٣]؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، قَالَ : نَعَمْ قَالَ لَكَ وَالِدَةٌ ، قَالَ : نَعَم ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ)٤. فانظر كيف صار حال التابعي الجليل أويس بن عامر لمَّا برَّ والدته ، فأصبح من أخيار التابعين يبحث عنه أمير المؤمنين في كل مكان ليلتمس منه الاستغفار والدعاء .

٣- بر الوالدين مكفر للذنوب ومذهب للخطايا والكبائر : عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : (أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا كَبِيرًا فَهَلْ لِي

١رواه الترمذي - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين - ح١٨٩٩، صححه الالباني .

٢رواه أحمد في المسند - باقي مسند الأنصار - باقي المسند السابق ح٢٤١٧٢.

[٣] هو أويس بن عامر القرني اليمني العابد ، نزيل الكوفة ، من أولياء الله الصادقين ، ولولا الحديث الذي رواه مسلم في فضل أويس لما عرف لأنه عبد تقي خفي ، قتل يوم صفين ،ابن حجر - لسان الميزان - مؤسسة الأعلمي - بيروت - ط٣ - ١٩٨٦م .

٤رواه مسلم في الصحيح - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل اويس القرني - ح ٢٥٤٢

تَوْبَةٌ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَكَ وَالِدَانِ ، قَالَ : لَا ، قَالَ : فَلَكَ خَالَةٌ ، قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَبِرَّهَا إِذًا)١.

٤- الإحسان إلى الأبوين ينفع الله به في الكربات فيجعله سببا لتفريجها وكشفها : عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ ، أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا ى: فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وَلَدِي ، وَإِنَّهُ نَاءَ بِيَ الشَّجَرُ فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصِّبْيَةِ قَبْلَهُمَا ،وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً حَتَّى يَرَوْنَ مِنْهَا السَّمَاءَ ٠٠٠)٢.

الفرع الثاني: الرفق بالزوجة :

الرجل يتحمل العبء الأكبر في استقرار سفينة الحياة الزوجية ؛ ونجاتها من أمواج الفشل والاضطراب، وسلامتها من عطب المشكلات التي تؤدي إلى التنازع والتهاجر والتدابر، فالرجل هو الراعي ، وهو القيم وهو العقل المدبر لشؤون الأسرة خارج البيت وداخله، والمرأة شريكة له في ذلك، وإن كان دورها داخل البيت أعظم منه خارجه. قال تعالى: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ))٣ وقال عليه السلام (وَالرَّجُلُ

١رواه أحمد في المسند - مسند المكثرين من الصحابة - مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب - ح٤٣٩٦ ، قال شاكر : إسناده صحيح ح ٤٦٢٤ .

٢ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب إجابة دعاء من بر والديه - ح٥٦٢٩.

٣ النساء(٣٤).

رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ..)[1]

وهذه القوامة التي جعلها الإسلام للرجال ليست قوامة تسلط وظلم وتكبر وعنجهية، وليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني ، وإنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها[2]، ولقد أمر الله تعالى بمعاشرة النساء بالمعروف فقال: ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا))[3] والمعروف الذي أمر الله به في قوله (وعاشروهن بالمعروف) هو لفظة جامعة لكل خير وبر وإحسان و صبر وتحمل ، ورحمة وشفقة، ورفق ولين، وعدل وإنصاف، وبذل وعطاء. ومن المعاشرة بالمعروف ما هو آت :

1- الصبر والمداراة : نظرا لاختلاف طبائع النساء عن الرجال ، وتحكم العاطفة بهن، فقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام بمداراتهن وملاينتهن والصبر عليهن ، والرضا من أخلاقهن باليسير، وعدم المبالغة في تقويمهن بما لا فائدة من ورائه سوى تعرض الحياة الزوجية للتصدع والانهيار . وقد جاء في الحديث : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ ،فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ)[4] وفي رواية أخرى : (الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ)[5].

2- النفقة عليها بالمعروف : فقد قال تعالى: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ))[6]وسئل صلى الله عليه وسلم عن حق الزوجة على الزوج فقال : (أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ

---

1 رواه البخاري في الصحيح - كتاب العتق - باب العبد راع في مال سيده - ح ٢٤١٩.

2 انظر قطب - الظلال ٦٥٢/٢ .

3 النساء (١٩).

4 رواه البخاري في الصحيح - كتاب أحاديث الأنبياء - باب خلق آدم وذريته - ح٣١٥٣

5 رواه البخاري في الصحيح - كتاب النكاح - باب المداراة مع النساء - ح ٤٨٨٩

6 النساء (٣٤)

٠٠)١ بل إن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أفضل النفقة نفقة على الزوجة (أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)٢.

٣- الإحسان والتعاون في العمل : وفي ذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ)٣ومن الإحسان مساعدة الزوجة في شؤونهاو قد سئلت عَائِشَةَ رضي الله عنها (مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ ، قَالَتْ : كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ)٤.

٤- المحبة وترك البغض : على الزوج أن يأخذ بالأسباب التي تجعله يميل إلى محبة زوجته ولا يبغضها.إذ لا نتصور الحياة بين اثنين يبغض كل منهما الآخر،أو يبغض أحدهما الآخر، ومن هنا فإن على الزوج أن لا يضخم من أخطاء زوجته ، ولا يحمل تصرفاتها ما لا تحتمل، وليحمل تصرفاتها وأفعالها على أحسن وجه، وعليه كذلك أن يبحث في صفاتها الحسنة وخصالها الطيبة وإن وجد فيها ما يكرهه ، وبهذا التوجيه جاءت الآية القرآنية ((فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا))٥ وجاء إرشاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأزواج : (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)٦.

٥- التدرج في تقويم الزوجة : قال تعالى ((وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا))٧. وينبغي ألا يتخذ الأزواج هذه الآية ذريعة إلى الظلم وينسوا آخرها . فالآية خاصة بالمرأة

١رواه أبو داود في السنن ـ كتاب النكاح ـ باب في حق المرأة على زوجها ـ ح ٢١٤٢ ، صححه الألباني ٢/٤٠٢ .

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الزكاة ـ باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم ـ ح٩٩٤

٣ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب الرضاع ـ باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ـ ح١١٦٢، صححه الألباني ٣٤٠/١ .

٤ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب كيف يكون الرجل في بيته ـ ح٥٦٩٢

٥ النساء(١٩)

٦رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الرضاع ـ باب الوصية بالنساء ـ ح١٤٦٩

٧النساء(٣٤)

الناشز، وهي المرأة المتكبرة المترفعة على زوجها،التاركة لأمره،المعرضة عنه،المبغضة له،.فإن ظهر منها أمارات النشوز يتبع معها مجموعة من الإجراءات :

" فالإجراء الأول : الموعظة ، وهو أول واجبات رب الأسرة ، وهو عمل تهذيبي مطلوب منه في كل حالة "[1] قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ))[2]وقال: ((وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا))[3] ، ومن الوعظ أن يعلمها أن الله قد أوجب طاعة الزوج عليها وحرم معصيته، وأنها إذا استمرت على النشوز تعرضت للعنة الله ـ عز وجل ـ حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ)[4] .

" والإجراء الثاني : الهجر في المضاجع ، وفيه حركة استعلاء نفسية من الرجل على كل ما تستعلي به المرأة من جمال وجاذبية أو أية قيمة أخرى ترفع بها ذاتها عن ذاته . على أن هناك أدبا معينا في هذا الإجراء ، وهو ألا يكون هجرا ظاهرا في غير مكان خلوة الزوجين ، فلا يكون هجرا أمام الأطفال يورث نفوسهم شرا وفسادا ، ولا هجرا أمام الغرباء يذل المرأة أو يستثير كرامتها فتزداد نشوزا .

أما الإجراء الثالث فهو الضرب ، ولكن استصحاب الهدف من هذه الإجراءات ـ وهو منع النشوز والحفاظ على الأسرة ـ يمنع أن يكون هذا الضرب تعذيبا للانتقام والتشفي ويمنع أن يكون إهانة للإذلال والتحقير ويمنع أن يكون للقسر والإرغام على معيشة لا ترضاها ، ويحدد أن يكون ضرب تأديب مصحوب بعاطفة المربي المؤدب ". [5]

وليس الضرب بسنة، وإنما هو جائز على التفصيل السابق، ولذلك جعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضُرَّاب النساء ليسوا من خيار المسلمين حيث قالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ ، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

---

١ قطب ـ الظلال ٦٥٣/٢ .

٢ التحريم(٦)

٣ طه (١٣٢).

٤ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة ـ ح ٣٠٦٥

٥ قطب ـ الظلال ٦٥٤/٢ بتصرف يسير .

ذَيِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ) ١.

كما أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذر من ضرب الوجه ومن الجلد فقالَ (وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ) ٢، وقال : (لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ)٣. وعلق ابن حجر على الحديث الأخير قائلا :" والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة ، والمجلود غالبا ينفر ممن جلده ، فوقعت الإشارة إلى ذم ذلك "٤.

٦- <u>الإعفاف وحق المتعة :</u> فكما أن الزوج يحب الاستمتاع بزوجته ويشتهيها، فكذلك المرأة تحب الاستمتاع بزوجها وتشتهيه، وعلى العاقل أن يعرف حق زوجته في ذلك ، ولا يلجئها إلى معصية الله عز وجل. فها هو صلى الله عليه وسلم يرشد عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إلى حق زوجته قائلا : (يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ، قال : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)٥.

---

١ رواه أبو داود في السنن - كتاب النكاح - باب في ضرب النساء - ح ٢١٤٦ ، صححه الألباني ٤٠٣/١ .

٢ قال أَبُو دَاوُد وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ قَبَّحَكِ اللَّهُ .

٣ رواه البخاري في الصحيح - كتاب النكاح - باب ما يكره من ضرب النساء - ح ٤٩٠٨

٤ ابن حجر - فتح الباري ٣٠٣/٩ .

٥ رواه البخاري في الصحيح - كتاب النكاح - باب لزوجك عليك حق - ح ٤٩٠٣ / وفي كتاب الصوم - باب حق الجسم في الصوم - ح ١٨٧٤ .

٧- ملاطفتها وملاعبتها وإيناسها: ينبغي على الزوج أن يلاطف زوجته ويحادثها بالأحاديث اللطيفة الطيبة التي تدخل السرور والبهجة إلى قلبها، وهذه الأحاديث وإن كانت ليست تعليمية أو توجيهية ، إلا أنها مهمة جدا في بناء الثقة بين الزوجين، وازدياد المحبة بينهما ، ونفي كل ما يعكر صفو الحياة الزوجية.

ولقد ضرب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لنا المثل في ذلك فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ ، قَالَتْ : قُلْتُ وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَتْ : قُلْتُ أَجَلْ لَسْتُ أُهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ)١.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا: ما روي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : (خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلْ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ، ثُمَّ قَالَ لِي : تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ ، فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا ، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي ، فَجَعَلَ يَضْحَكُ وَهُوَ يَقُولُ هَذِهِ بِتِلْكَ)٢.

٨ - الشورى :

الشورى التي جعلها القرآن فريضة واجبة كفلسفة للحكم وسياسة الرعية وتنظيم علاقات الحاكم بالمحكوم ، نراه قد جعلها فلسفة سياسة ذلك المجتمع المصغر الذي يمثل اللبنة الأولى في بناء الأمة والرعية مجتمع الأسرة ، فالشورى هي سبيل سياسة الأسرة في شريعة الإسلام فالتراضي في الأسرة والوفاق لا بد أن يكون مؤسساً على التشاور ، كما أن رضا الرعية في الدولة لا بد أن يكون رضاء واعيا ،أي مؤسساً على التشاور وليس على الاستسلام والإذعان ، يقول الله سبحانه في معرض التشريع

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب ما يجوز من الهجران لمن عصى - ح ٥٧٢٨

٢ رواه أحمد في المسند - باقي مسند الأنصار - باقي المسند السابق - ح٢٥٠٧٥ ، قال شاكر : إسناده صحيح ح٢٦١٥٥ .

لمشكلات الأسرة والسبيل إلى التراضي بين الأطراف حولها : ((فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا))١. ٢

٩- العدل وعدم الجور :

العدل في معاملة المرأة من أهم واجبات الرجل ، فلا يجوز له تحميلها ما لا تطيق ، أو أن يستغل ضعفها ، بل يجب إعطاؤها جميع حقوقها من غير إنقاص ولا تقتير . كما يستمر واجب الرجل في العدل مع امرأته حتى بعد أن يتزوج عليها بأخرى، فعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ)٣.

ومن عدله ـ عليه السلام ـ أنه كان إذا أراد أن يسافر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه .

الفرع الثالث : الرفق بالأبناء :

الرفق بالأبناء يكون بمنحهم الحقوق الواجبة لهم ،التي تكفل الشرع بها ، ومن أهم هذه الحقوق :

١- الحق في التربية والتعليم :

من أهم حقوق الأولاد التربية وهي تنمية الدين والأخلاق في نفوسهم حتى يكونوا على جانب كبير من العلم ، قال تعالى : ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ))٤ وقال عليه السلام : (وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ...)٥، فالأولاد أمانة في عنق الوالدين ، وهما مسؤولان عنهم يوم القيامة ، وبتربيتهم التربية الدينية والأخلاقية يخرج الوالدان من تبعة هذه الرعية ، ويصلح الأولاد فيكونون قرة عين الأبوين في الدنيا والآخرة ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ

---

١ البقرة (٢٣٣)

٢ عمارة ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ ص٣٧

٣ رواه أبو داوود في السنن ـ كتاب النكاح ـ باب القسم بين النساء ـ ح ٢١٣٣ ، صححه الالباني ٢/ ٤٠٠ .

٤ التحريم (٦)

٥رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الجمعة ـ باب الجمعة في القرى والمدن ـ ح٨٥٣.

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[١]. فهذا من ثمرة تأديب الولد إذا تربى تربية صالحة أن يكون نافعاً لوالديه حتى بعد الممات [٢].

وبعد الحق في التربية يأتي الحق في التعليم والتدريب فعلى الوالدين مسؤولية تعليم أولادهم القراءة والكتابة وعلى الوالدين أيضا مسؤولية التثقيف الجنسي للأطفال والرعاية الأخلاقية لهم ، وذلك بالتعاون مع المدارس العامة والمدارس الملحقة بالمساجد [٣].

٢- حق المساواة في العطايا والهبات :

لا يحسن بالأب أن يعطي بعض أولاده شيئا ويحرم الآخر ، فإن ذلك من الجور والظلم، والله لا يحب الظالمين ، ولأن ذلك يؤدي إلى تنفير المحرومين وحدوث العداوة بينهم وبين الموهوبين، بل ربما تكون العداوة بين المحرومين وبين آبائهم ، فعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا فَقَالَ أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْهُ)[٤]وفي رواية قالَ (فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ)[٥] فسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفضيل بعض الأولاد على بعض جوراً، والجور ظلم وحرام .

وبعض الناس يمتاز أحد أولاده على الآخرين بالبر والعطف على والديه، فيخصه والده بالهبة والعطية من أجل ما امتاز به من البر، ولكن هذا غير مبرر للتخصيص ، فالمتميز بالبر لا يجوز أن يعطى عوضا عن بره؛لأن أجر بره على الله ، ولأن تمييزه

---

[١]رواه مسلم في الصحيح - كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته - ح١٦٣١ .

[٢]انظر العثيمين - محمد بن صالح - حقوق دعت إليها الفطرة - دار الوطن للنشر - الرياض - ط١ - ١٤٢٠هـ/٢٠٠م - ص٧

[٣] انظر عمران - عبد الرحيم - تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي - صندوق الأمم المتحدة -١م - ط١ - ١٩٩٤م - ص٤٦

[٤]رواه البخاري في الصحيح - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها - باب الهبة للولد - ح ٢٤٤٦

[٥] رواه مسلم في الصحيح - كتاب الهبات - باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة - ح ١٦٢٣ .

بالعطية يوجب أن يعجب ببره ويرى له فضلا، وأن ينفر الآخر ويستمر في عقوقه، ثم إنه قد تتغير الأحوال فينقلب البار عاقا ، والعاق بارا ، فالقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. لكن لو أعطى بعضهم شيئا يحتاجه والثاني لا يحتاجه ، مثل أن يحتاج أحد الأولاد إلى أدوات مكتبية أو علاج أو زواج ، فلا بأس في أن يخصه بما يحتاج إليه؛لأن هذا التخصيص من أجل الحاجة ، فيكون كالنفقة.[1]

٣ـ الحق في النقاء الوراثي والنقاء الأخلاقي :

من حق الأطفال في الإسلام أن يولدوا بدون علل وراثية ما أمكن ذلك ، ويمكن ذلك من طرفين :التخير الوراثي ، وتجنب زواج الأقارب ما أمكن ، فمن ناحية التخير الوراثي قبل الزواج بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ) [2]ويحسن كذلك تجنب زواج القرابة القريبة خصوصا في العائلات التي يعرف عنها ضعف الأطفال أو وجود مشاكل وراثية يمكن انتقالها إلى الأطفال [3]، أما عن النقاء الأخلاقي فيتمثل في حسن اختيار الزوجة ابتداء ، وحسن التربية والتأديب انتهاء .

٤ـ الحق في الحياة :

يحرم الإسلام قتل الأطفال لأي سبب كان ، سواء كان ذلك بسبب الفقر أو الخوف من احتمال الفقر أو بدافع الحماسة الزائفة والمبالغ فيها تجنبا للعار كما كان يحدث في الجاهلية قبل ظهور الإسلام ،حيث كان يتم وأد البنات أو دفنهن أحياء خوفا من الفقر أو السلوك المنحرف في المستقبل .قال تعالى: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

---

١ العثيمين ـ حقوق دعت إليها الفطرة ـ ص٧-٨ .

٢ رواه ابن ماجه في السنن ـ كتاب النكاح ـ باب الأكفاء ـ ح ١٩٦٨ ، صححه الألباني ١/٣٣٣ . قال ابن حجر : أخرجه ابن ماجه وصححه الحاكم من حديث عائشة مرفوعا وأخرجه أبو نعيم من حديث عمر أيضا وفي إسناده مقال ويقوى أحد الإسنادين بالآخر فتح الباري ج: ٩ ص: ١٢٥

٣ انظر عمران ـ تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي ـ ص٤٢

وَإِيَّاهُمْ))[1] وقال: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ))[2] وقال: ((وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ))[3]

٥- الحق في الرضاعة الطبيعية و التغذية :

حق الأولاد في التغذية واجب على الآباء ،وقد نص القرآن على حق الطفل في الرضاعة الطبيعية تحديدا: ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ))[4].

٦- الحق في العطف و الحنان : فقد ورد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - (أنه قَبَّلَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا فَقَالَ الْأَقْرَعُ إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنْ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)[5] وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : (قَدِمَ نَاسٌ مِنْ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ فَقَالُوا نَعَمْ فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ و قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ)[6].

٧- حق الأبناء في المضجع المستقل و المستقبل الآمن :

من حق الأبناء و البنات أن يتوافر لكل منهم مكان أو مضجع مستقل للنوم . فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)[7].

أما عن التفكير في مستقبل الأبناء الآمن فإننا نستسقيه من قوله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ)[8].

---

١ الأنعام(١٥١).

٢ الإسراء (٣١) .

٣ التكوير (٩) .

٤ البقرة(٢٣٣).

٥رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته - ح٥٦٥١ .

٦رواه مسلم في الصحيح - كتاب الفضائل - باب رحمة الصبيان و العيال - ح ٢٣١٧ .

٧ رواه أبو داوود في السنن - كتاب الصلاة - باب متى يؤمر الغلام بالصلاة - ح ٤٩٥ ، صححه الألباني ٩٧/١ .

٨ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجنائز - باب رثاء النبي سعد بن خولة - ح ١٢٣٤

المطلب الثاني | الرفق في مجال العلاقات الاجتماعية |

عمل الإسلام على غرس سلوك الرفق في قلوب المسلمين وتغذيته وتنميته وتوسيع دائرة شموله ، حتى يكون المؤمنون في توادهم كالجسد الواحد [1]، فقال صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2].

وقال ـ عز وجل ـ في وصف رسولنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم : ((أشداء على الكفار رحماء بينهم))[3]. وقال صلى الله عليه وسلم : (من لا يرحم لا يرحم)[4]. وقال : (لا تنزع الرحمة إلا من شقي)[5]. وقال : (لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري)[6]

وقد وجه الإسلام الرفق إلى كل مستحق والى كل فرد من أفراد المجتمع ، وأكد بشكل خاص وملح على الرفق بالضعفاء ، ويدخل في عموم الضعفاء النساء وخاصة الأرحام والأرامل والفقراء ، والمساكين والصغار واليتامى ، والكبار والمسنين ، والخدم .

---

١ انظر الميداني ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ـ ص٢٢.

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ـ ح ٢٥٨٦ .

٣ الفتح (٢٩)

٤ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ـ ح ٥٦٥١

٥ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في رحمة الناس ـ ح ١٩٢٣ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

٦ رواه أبو داود في السنن ـ كتاب الأدب ـ باب حسن الخلق ـ ح٤٨٠١،و قال والجواظ الغليظ الفظ،والجعظري الفظ الغليظ المتكبر ، صححه الألباني ٩١١/٣ .

الفرع الأول : الرفق بالنساء والأرحام والأرامل :

كفالة الضعفاء من النساء ورعايتهم والرحمة بهم من الواجبات الاجتماعية الإسلامية تنبع من خلق الرحمة وحب العطاء ، وقد حث الرسول على الرفق بالنساء عامة بعد أن وصفهن بالضعف في قوله لأنجشة : (ارفق بالقوارير)١" فالنساء يشبَّهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية أو ضعف العزيمة " ٢.

كما أنه صلى الله عليه وسلم بين لأمته أن السعي على الأرامل من أجلّ الأعمال وأعظمها فقال :(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله) ٣، وذلك أن الأرملة إنسانة كسيرة القلب بفقد زوجها المعيل لها والساعي عليها ، وهي إنسانة حزينة ضعيفة ، فمن رحمها وسعى في حاجاتها كان سعيه سلوة لها وضمادا لجرحها وجبرا لكسرها ٤.

أما الرحم فقد قال تعالى في الحرص عليها : ((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رقيبا))٥ وقال عليه السلام : (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال: نعم،أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ، قالت : بلى يا رب ، قال : فهو لك) ٦

وقد رَغب صلى الله عليه وسلم في صلة الرحم بقوله : (من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه).٧ والوصل لا يعني المكافأة أو رد الزيارة أو المعروف وإنما يعني السبق بالخير. قال صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافئ ولكن هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها) ٨.

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب المعاريض مندوحة عن الكذب ـ ح ٥٨٥٦

٢ ابن حجر ـ فتح الباري ٥٤٥/١٠.

٣ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب النفقات ـ باب فضل النفقة على الأهل ـ ح ٥٠٣١

٤ انظر الميداني ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ـ ص(٣٢٥ ـ ٣٢٦).

٥ النساء(١)

٦رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب من وصل وصله الله ـ ح ٥٦٤١

٧ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب البيوع ـ باب من أحب البسط في الرزق ـ ح ١٩٦١

٨ رواه أبو داوود في السنن ـ كتاب الزكاة ـ باب في صلة الرحم ـ ح ١٦٩٧ ، صححه الألباني ٣١٨/١.

الفرع الثاني : الرفق بالفقير والمسكين :

حرصت الشريعة الإسلامية علــى سد حاجـة الفقير وجـبر كسـر المسـكين بـل جعلت المجتمع مسؤولا عنهم في حال عجزهم وعدم قدرتـهم علـى الكسـب ، وذلـك أن المسكين أو الفقير إنسان مكسور الجناح ضعيـف الحـال مثقل بالأحمـال ، مـن سـاعده وقدم له ولأسرته حاجتهم ومعاشهم ، جبر كسره ومسح عنه حزنه ورفعه من مقام الذلة والمهانة والضعف ١.

ولذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن مقام(الساعي على المسكين كالمجـاهد فـي سـبيل الله)٢، وأخبر أيضا أن (السخي قريب من الله قريب من الجنة قريـب مـن النـاس بعيد من النـار) ٣، بل إن القرآن الكريم عد الإنفاق علـى المحرومين مـن صفـات المؤمنين الذين سيدخلون الجنة ،((والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحـروم))٤، وتعدى ذلك إلى اعتبار من لا يحض على طعام المسكين من أهل النار ((إنه كان لا يؤمن باللـه العظيم ولا يحض على طعام المسكين))٥.

ولأهمية رعاية هؤلاء الفقراء والرفق بهم جعل الله إطعامـهم أو كسـوتهم كفـارة لبعض المحظورات الشرعية ، فكفارة اليميـن إطعـام عشـرة مسـاكين أو كسـوتهم ((لـا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارتـه إطعـام عشـرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة))٦. والإطعـام أيضـا كفارة للمحرم إذا قتل صيدا ،((ياأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حـرم ومـن قتلـه منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم بـه ذوا عـدل منكـم هديـا بـالغ الكعبـة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره))٧ ، كمـا أن الإطعـام يحـل

---

١ انظر الميداني ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ـ ص(٣٢٥- ٣٢٦)

٢ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب النفقات ـ باب فضل النفقة على الأهل ـ ح ٥٠٣٨

٣ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في السخاء ـ ح ١٩٦١ ، قال أبـو عيسـى : هذا حديث غريب ، وضعفه الألباني .

٤ المعارج (٢٤ ـ ٢٥)

٥ الحاقة (٣٤)

٦ المائدة (٨٩)

٧ المائدة (٩٥)

محل بعض الكفارات مثل الظهار فقد قال تعالى في كفارة الظهار بعد تحرير الرقبة : ((فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا))١.وقد يكون الإطعام أيضاً عوضاً عن الصيام في رمضان لأصحاب الأعذار الدائمة قال تعالى : ((وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ))٢.

ونظراً لأهمية الإطعام فقد جعله الله من أسباب دخول الجنة بسلام ، فقال تعالى في حال الذين يطعمون الفقراء ابتغاء وجهه ، ((إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا))٣، وقال صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس أفشو السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)٤.

<u>الفرع الثالث : الرفق بالصغار واليتامى :</u>

حث الإسلام على الرفق بالصغير ورحمته واللطف في التعامل معه فقال صلى الله عليه وسلم : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا)٥ بل أمر الأب أن يحنو على أبنائه ويداعبهم ويقبلهم ، فها هو الأقرع بن حابس يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي فيقول : إن لي عشرة من الأبناء ما قبلت منهم أحداً ، فنظر إليه صلى الله عليه وسلم فقال : (من لا يَرحم لا يُرحم)٦ ومما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلاعب أحد أطفال المدينة فيكنيه ويسأله عن طير له قائلاً: (يا أبا عمير ما فعل النغير)٧.

---

١ المجادلة (٤)

٢ البقرة (١٨٤)

٣ الإنسان (٩-١١)

٤ رواه ابن ماجة في السنن ـ كتاب الأطعمة ـ باب إطعام الطعام ـ ح ٣٢٥١ ، صححه الألباني ٢٢٢/٢ .

٥ رواه الترمذي في السنن ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في رحمة الصبيان ـ ح ١٩٢٠ ، صححه الالباني ١٧٩/٢ .

٦ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ـ ح٥٦٥١.

٧ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب الانبساط إلى الناس ـ ح ٥٧٧٨

وقد اهتم الإسلام بالصغار من الأيتام اهتماماً أكبر مراعاة لنفوسهم وجبراً لكسر قلوبهم لأنهم فقدوا ذويهم فأمر بالإحسان إلى اليتيم وتربيته وتأديبه وتعليمه ، ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأيتام التي تدل على رفقه بهم وحثه على رحمتهم ورعايتهم :

١ـ أن الله أوجب الجنة لمن تكفل يتيماً في طعامه وشرابه : قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَيُّمَا مُسْلِمٍ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ)[١].

٢ـ أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل جزاء من أحسن إلى اليتيم قُربه ومرافقته في الجنة: فقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا ، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى)[٢].

٣ـ أن الله جعل لين القلب في المسح على رأس اليتيم : عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ لَهُ: (إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)[٣] وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لَمْ يَمْسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيْهَا يَدُهُ حَسَنَاتٌ)[٤].

٤ـ أن الله نهى عن قهر اليتيم وتحقيره : فقال تعالى : ((فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ))[٥] وقال: ((أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ))[٦]. وقد يحتاج اليتيم إلى التأديب في بعض الأحيان فإن أمكن تأديبه بغير ضرب كان أفضل ولا بأس من ضربه إن احتيج إليه كاحتياج المريض للدواء.

---

١ رواه أحمد في المسند ـ أول مسند البصريين ـ حديث مالك بن الحارث ـ ح١٩٤٤١ ، قال شاكر : إسناده حسن ح٢٠٢٠٨ .

٢ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب فضل من يعول يتيما ـ ح٥٦٥٩.

٣ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند المكثرين ـ مسند أبي هريرة ـ ح٧٢٦٠ ، قال شاكر : إسناده ضعيف ح٧٥٦٦.

٤ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ حديث أبي أمامة ـ ح ٢١١٣٢ ، قال شاكر : إسناده حسن ح٢٢٠٥٣.

٥ الضحى (٦)

٦ الماعون (١-٢)

٥- أن الله نهى عن التعدي على أموالهم بل أمر بحفظها لهم حتى يكبروا، قال تعالى : ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا))[1] وقال:((وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا))[2] وقال : ((وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا))[3].

الفرع الرابع : الرفق بالكبار والمسنين :

لم تعرف البشرية من صور الرحمة ما عرفته في ظل الإسلام ، وهي رحمة من فيض الرحمن يستظل بها كل الناس وخاصة المسنين وهم أولى الناس بها ، فقد قال صلى الله عليه وَسَلَّمَ : (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا)[4]. فإذا كان الرفق بالصغير رحمة منا فإن الرفق بالكبير حق علينا .

ومن أهم الحقوق التي يجب أن نلتزم بها تجاه الكبار والمسنين[5] :

١- حق الكفالة : وتعني رعاية شؤون المسن كاملة بتأمين مسكنه ومأكله ومشربه وعلاجه وسبل الحياة الكريمة له ورعايته والعناية به والدعاء له، والكفالة درجتان :

أ - الكفالة الواجبة : وهي تكليف بالدرجة الأولى على الأبناء للوالدين وحق من حقوقهما عليهم .

ب - الكفالة الأخلاقية: ومن المؤكد أنها دون الوجوب بحيث تترتب على الأقرب فالأقرب ، فإذا لم يوجد من تجب عليه بشكل مباشر أو تخلف عن قيامه بواجبه ، فإن الأخلاق الإسلامية التي تأمر بالتعاون والتكافل تستدعي القيام بهذه الكفالة وهي بالطبع

---

١ النساء (١٠).

٢ النساء (٢).

٣ النساء (٦).

٤ رواه أحمد في المسند - مسند المكثرين من الصحابة - مسند عبد الله بن عمرو بن العاص - ح٦٤٤٥ ، قال شاكر : إسناده صحيح ح ٢٣٢٣.

٥ انظر خشيل - صالح بن عامر - رعاية المسن واجب شرعي - مجلة الأسرة - السعودية - العدد ١٠٥ - ١٤٢٢هـ - ص(٢٠-٢١)

سلوك اختياري تدفعه الأخلاق وتحفزه المثوبة في إطار تنظيمي تحكمه درجة القربى ، وقد انتشرت في أيامنا هذه ظاهرة بيوت العجزة ، وهي ظاهرة غريبة المنشأ لا ينبغي للمسلم أن يتعامل بها لما فيها من الإيذاء النفسي للوالدين ، وقد تكون هذه البيوت مناسبة لمن ليس لهم أبناء ، فتتولى الدولة رعايتهم عن طريق هذه البيوت .

٢ ـ حق العون والمساعدة : وهو سلوك أخلاقي اختياري يتراوح في حجمه حسب حاجة المستفيد منه وقدرة القائم به وقد يكون مادياً أو معنوياً أو الاثنين معاً .

٣ ـ الزيارة والتعهد : وهو أخلاقي معنوي لا تترتب عليه تكاليف مادية .

٤ ـ الدعاء : والمسن بحاجة إلى الدعاء له بحسن الخاتمة لما للدعاء من فضل معلوم .

ولعل الحكمة من حض الإسلام على رعاية المسنين وتشديده على ذلك واضحة وجلية لكل ذي عقل ؛ فقد أسس الإسلام العلاقات بين الناس على قاعدة تبادلية متكافئة تقوم على مبدأ الأخذ والعطاء ، فكما كفل حق المسن في الرعاية كفل كذلك بالمقابل حق القاصر في التربية والرعاية ، فالإنسان الذي أصبح اليوم قادراً مكلفاً بهذا النوع من الواجبات كان بالأمس طفلاً قاصراً لا يقوى على شيء أو يتيماً منقطعاً .

ولأن الشرع الإسلامي دقيق في أحكامه وتعاليمه فقد ضمن بهذا التشريع استمرار الرعاية الإنسانية بين أفراد المجتمع ، فكما كنت بالأمس مستفيداً من الرعاية حيث كنت طفلاً فقد أصبحت اليوم مكلفاً برعاية الطرفين من حولك : القاصرين من الأطفال والعاجزين المسنين ، وغداً تجد من يكفلك ويرعاك ، فكانت لك مرتان وعليك مرتان . وفي هذا يتجلى العدل الإلهي الذي تستمر به الحياة في وتيرة طبيعية منطقية لا خلل فيها ولا زلل ، ولقد فطر الله في قلوب الناس عامة والمسلمين خاصة الرحمة والرأفة والعطف لتكون إطاراً ومنطلقاً للسلوك التعاوني وأعطى من التعليمات ما ينشط تلك الفطرة ويصقلها ويشجع على نموها وانتعاشها . [1]

---

١ انظر خشيل ـ رعاية المسن واجب شرعي ـ ص(٢٠-٢١)

الفرع الخامس : الرفق بالخدم :

الرفق بالخدم يكون بمعاملتهم بالحسنى ، وهذه المعاملة من أوكد الواجبات على المسلم، بل إن وجوبها مما يلحق بوجوب الرفق بأفراد العائلة . فالإسلام تجاوز كل أخلاقيات الجاهلية فجعل الرقيق والخادم أخا أو فردا من أفراد العائلة ،وكفل له من الحقوق ما كفل لكل فرد في الأسرة ، فله حق الإطعام والكسوة وعدم الإثقال في العمل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ وَلَا يُكَلَّفُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ)[1]. ولا يكون الإطعام مع الازدراء فها هو النبي يأمر بمؤاكلة الخادم لما فيه من مراعاة لنفسيته، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْ ..)[2].

كما أنه صلى الله عليه وسلم (مَا ضَرَبَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ ،لَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[3]، بل نهى غيره عن الضرب فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : (كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْت : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ)[4].

وتعدى الهدي النبوي النهي عن الضرب إلى الابتعاد عن الزجر أو الإهانة للخادم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذا [5]، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ

---

١ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الأيمان ـ باب إطعام المملوك ـ ح١٦٦٢.

٢ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الأيمان ـ باب إطعام المملوك ـ ح١٦٦٣.

٣ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب مباعدته للآثام ـ ح٢٣٢٨.

٤ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الأيمان ـ باب صحبة المماليك ـ ح ١٦٥٩.

٥رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا ـ ح٢٣٠٩.

بقفايَ مِنْ وَرَائِي ، قال : فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فقال : يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ، قال : قُلْتُ نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ..)١.

هكذا يبصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدوافع أنس إلى هذا التواني ، فلا يتميز من الغيظ ، ولا يتغير من الغضب ، ولا ينبو في التعامل ، ولا يقسو في التصرف ، وإنما نراه وقد تحكم في الانفعال على أنس ، بل تبسم ضاحكا من فعله ، وهو يلفته نحوه ، وينبهه إلى توانيه فيما كلف به ، ثم يسأله في وداعة الحليم ، ورزانة الحكيم : يا أنيس! أذهبت حيث أمرتك ؟

هكذا بهذا الرفق ، وهذه الملاحظة ! وكأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد ليقول لأنس : ها أنت ذا لم تذهب حيث أمرتك فلماذا وكيف ؟ ويناديه : يا أنيس ! ،هكذا يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملاطفا لأنس ، ودون أن يقول :يا أنس ! أو يا ولد! مع أن المقام ـ على ما يتبادر إلى ذهن الكثيرين ـ مقام التأنيب لأنس والتأديب له والقسوة في التأديب عليه . فيعلمنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف يكون التحكم في الانفعال ، وكيف يكون التخير للسؤال ، ثم كيف يكون التصرف والسلوك في موقف كهذا الموقف . ولعل أنسا لو ضُرِب ساعتئذ بالسياط مئات الضربات لكان ذلك أخف على نفسه وقعاً.٢

وبعد هذا الخلق العظيم منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه يحث على العفو عن زلات الخدم مهما كثرت (جَاءَ رَجُلٌ إِلَيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ ؟ فَصَمَتَ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فَصَمَتَ ، فلمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً)٣.

١رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا ـ ح٢٣١٠.

٢ انظر أبو النور ـ الرفق بالخدم ـ ص٥٦.

٣رواه أبو داوود في السنن ـ كتاب الأدب ـ باب في حق المملوك ـ ح٥١٦٤ ، صححه الألباني ٩٧٠/٣ .

المطلب الثالث | الرفق بالمشركين |

يحظى المشركون في ظل الشريعة الإسلامية بقدر كبير من الرفق والرحمة ، ومن أهم الدلائل على ذلك أن الغاية من الدين أصلا هي إخراج المشركين من الظلمات إلى النور. وينقسم المشركون إلى قسمين اثنين : قسم محارب وآخر غير محارب ، ولكل من القسمين مظاهر للرفق به نجملها بما يلي :

الفرع الأول : مظاهر الرفق بالمشركين في غير حال الحرب :

١- الحرص على هدايتهم وعدم اليأس والقنوط :

كان صلى الله عليه وسلم رفيقا بالمشركين بدليل حرصه على هدايتهم وإنقاذهم من النار، فكان يوصل الليل بالنهار من أجل هذه الغاية حتى إنه كاد يهلك نفسه حزنا بسبب إعراضهم عنه وعن دعوته فخاطبه الله فيما يشبه الإنكار فقال: ((فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)) [1] ،أي فلعلك قاتل نفسك أسفا وحزنا عليهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن [2] وقد روت السيدة عائشة حديثا يبين حرص الرسول عليه السلام على هداية قومه ، حيث سألته : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقالَ : (لَقدْ لَقِيتُ مِنْ قوْمِكِ ، وَكَانَ أشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْن عَبْدِ كُلَالٍ فلمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فلمْ أسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فرَفَعْتُ رَأسِي فَإِذَا أنَا بِسَحَابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فنَادَانِي فقالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قدْ سَمِعَ قوْلَ قوْمِكَ لكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، قالَ : فنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قوْلَ قوْمِكَ لكَ ، وَأنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأمُرَنِي بِأمْرِكَ فَمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أنْ أطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأخْشَبَيْنِ ، فقالَ لهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا

---

١ الكهف (٦)

٢ انظر قطب ـ الظلال ٤/ ٢٢٦٠ .

)١، فرغم ما لاقاه عليه السلام من أذى وإعراض وتسفيه ، إلا أنه لم ييأس ولم يقنط ، بل إنه أصر على الدعوة رجاء تحصيل الهداية من هؤلاء المشركين .

٢- الدعاء لهم بالهداية :

رغم إصرار المشركين على شركهم لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو عليهم بل إنه كان يدعو لهم بالهداية والرجوع إلى الله فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فَقَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ)٢، والدعاء للمشركين رغم إيذائهم له صلى الله عليه وسلم فيه دلالة على رفقه ورحمته بهم .

٣- زيارة المشرك رجاء إسلامه :

ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه زار غلاما يهوديا كان يخدم عنده لمرض أصابه (فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ) ٣. و لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَعُودُهُ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ ، قال : فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَسْلِمْ فَأَسْلَمَ)٤. فانظر إلى أثر زيارته صلى الله عليه وسلم لليهودي وأثر قوله : (هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ) على أبي قحافة .

١رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب ما لقي النبي من أذى الكفار - ح١٧٩٥ .

٢رواه البخاري في الصحيح - كتاب الدعوات - باب الدعاء للمشركين - ح ٦٠٣٤ .

٣رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه - ح ١٢٩٠ .

٤رواه أحمد في المسند - باقي مسند الأنصار - حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق - ح ٢٥٧١٨ ، قال شاكر : إسناده صحيح ح ٢٦٨٣٥.

٤- إكرام الضيف رجاء إسلامه :

لإكرام الناس أثر عظيم في قلوبهم ، لذلك علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نكرم الضيف الكافر رجاء إسلامه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ)١.

٥- الوفاء بالعهد معهم :

فرض الشارع وجوب الوفاء بالعهود في الحرب والسلم وتحريم الخيانة فيهما سرا أو جهرا فقال تعالى : ((وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا))٢. ووصف المؤمنين بالوفاء بالعهد بقوله : ((وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا))٣.

٦- عدم قتل المعاهد أو ظلمه :

القتل والظلم لأصحاب العهد مظهرين من مظاهر العنف التي نهى الإسلام عن فعلها فقد وردعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه قَالَ : (من قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) ٤ بل إنه صلى الله عليه وسلم جعل نفسه حجيجا لمن ظلم أو انتقص أو كلف معاهدا فوق طاقته ، فقَالَ : (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)٥.

١رواه مسلم في الصحيح - كتاب الأشربة - باب المؤمن يشرب في معى واحدة والكافر في سبعة أمعاء - ح ٢٠٦٣ .

٢ النحل (٩١).

٣ البقرة (١٧٧)

٤رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجزية - باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم - ح٢٩٩٥ .

٥ الرواية في سنن أبي داود - كتاب الخراج والإمارة والفيء - باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات - ح٣٠٥٢ ، صححه الألباني ٥٩٠/٢.

وقد تأثر الفاروق عمر رضي الله عنه بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فأوصى الخليفة الذي يليه بِذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لَا يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ[1] .

٧ ـ التسامح معهم :

للتسامح والعفو عن الزلات آثار عظيمة في قلوب الذين نتسامح معهم ، وقد أمر الله عز وجل المؤمنين بالتسامح حتى مع المشركين في الأمور الشخصية لما في ذلك من أثر عليهم فقال : ((قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ))[2] وقد نزلت هذه الآية في عمر بن الخطاب حين شتمه رجل من المشركين من بني غفار فهمَّ أن يبطش به فنزلت هذه الآية[3] وفيها توجيه كريم للذين آمنوا ليتسامحوا مع الذين لا يرجون أيام الله ، تسامح المغفرة والعفو ، وتسامح القوة والاستعلاء . والواقع أن الذين لا يرجون أيام الله مساكين يستحقون العطف أحيانا بحرمانهم من ذلك النبع الفياض،الذي يزخر بالنداوة والرحمة والقوة والثراء ، نبع الإيمان بالله والطمأنينة إليه ، والاحتماء بركنه ، واللجوء إليه في ساعات الكربة والضيق ، وحرمانهم كذلك من المعرفة الحقيقية المتصلة بصميم النواميس الكونية وما وراءها من القوى والثروات [4] .

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في قبر النبي وأبي بكر وعمر ـ ح ١٣٢٨ .

٢ الجاثية(١٤).

٣ النسفي ـ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ـ تفسير النسفي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت ـ ٢/ ١٣٥ .

٤ انظر قطب ـ الظلال ٥/ ٣٢٢٧ .

الفرع الثاني : مظاهر الرفق بالمشركين حال الحرب :

١ـ جعل غاية القتال واضحة ومحددة :

جعل الإسلام الغاية الإيجابية من القتال بعد دفع الاعتداء والظلم واستتباب الأمن ؛ حماية الأديان كلها من الاضطهاد فيها أو الإكراه عليها ، وعبادة المسلمين لله وحده وإعلاءهم كلمته، وتأمين دعوته ، وتنفيذ شريعته ، وهي في مصلحة البشر كلهم وإسداء الخير إليهم ، قال تعالى : ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا))١ .٢

وإن فكرة الجهاد ما قامت إلا من أجل نشر الإسلام ، ولا يخفى ما في ذلك من رفق بالمؤمنين الذين يعانون من اضطهاد الكفار وهو رفق بأولئك المستضعفين الذين حال الظلمة بينهم وبين وصول الإسلام إليهم ٣.

والذي يدرك طبيعة هذا الدين ، يدرك حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف ، ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق الذي يفهم اليوم من اصطلاح الحرب الدفاعية ، إنما كان حركة اندفاع وانطلاق لتحرير الإنسان في الأرض ، تحريره من العبودية للعباد ، وتقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين . وإذا لم يكن بد من أن نسمي حركة الإسلام الجهادية حركة دفاعية ، فلا بد أن نغير مفهوم كلمة [دفاع] ونعتبره دفاعا عن الإنسان ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق تحرره من معقدات وتصورات وأنظمة سياسية قائمة على حواجز اقتصادية طبقية وعنصرية .٤

٢ـ منع الإكراه في الدين :

لم يكن من قصد الإسلام أن يكره الناس على اعتناق عقيدته، فالإسلام إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، يهدف ابتداءً إلى إزالة الأنظمة والحكومات

---

١ الحج(٤٠)

٢ انظر رضا ـ الوحي المحمدي ـ ص٢١٠

٣ انظر الشجراوي ـ الأحاديث الواردة في الرفق ـ ص١٦٩

٤انظر قطب ـ الظلال ١٤٣٥/٣ ـ ١٤٣٦ بتصرف

التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان ، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً في اختيار العقيدة التي يريدونها.

ولكن هذه الحرية ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم ، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعبيد! إن النظام الذي يحكم البشر لا بد أن تكون قاعدته العبودية لله وحده، ثم ليعتنق كل فرد في ظل هذا النظام العام ما يختار من عقيدة ، وبهذا يكون الدين كله لله ، أي تكون الدينونة والخضوع والاتباع والعبودية كلها لله .[1]

ومن هنا نستطيع التوفيق بين قوله تعالى: ((لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ))[2] وقوله تعالى ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ))[3] فلفظ الدين في الآية الأولى محمول على الاعتقاد والملة ، وهذا مما لا يكره عليه أحد ولفظ الدين في الآية الثانية محمول على الخضوع العام لنظام الإسلام العام . وهذا التوازن بين ضرورة الخضوع لنظام الإسلام العام ، وبين عدم إكراه أحد على اعتناق الدين ، يعد مزية من مزايا النظام الإسلامي حيث يحقق للجميع حرية الاعتقاد كما يحقق للدين علوه وخضوع الآخرين لنطاقه ، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه اليوم مصطلح الشرعية الدولية الربانية.[4]

٣- عرض مجموعة من الخيارات على المشركين قبل قتالهم :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ (وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي

---

[1] انظر قطب ـ الظلال ١٤٣٥/٣

[2] البقرة (٢٥٦)

[3] الأنفال (٣٩)

[4] انظر البيانوني ـ محمد أبو الفتح ـ القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي ـ كتاب الأمة ـ قطر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ العدد ٨٢ ـ ١٤٢٢هـ ـ ص ١١٢

عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ) ١

ولا يخفى على أحد ما في الإسلام من خير إن قبلوا الدخول فيه ، أما الجزية فإنها تعبير للخضوع لسلطان الدولة الإسلامية، علما بأنها لم تكن كالضرائب التي يضعها الفاتحون على من ينتصرون عليهم وإنما هي جزاء قليل على ما تلتزمه الحكومة الإسلامية من الدفاع عن أهل الذمة وإعانة للجند الذين يحمونهم ممن يعتدي عليهم . أما القتال فقد ذكرنا ما فيه من إزالة سلطان الحكام عن الشعوب حتى يختاروا بعد ذلك ما شاؤوا من الدين .

٤ـ اقتران الأمر بالقتال بالنهي عن الاعتداء :

ورد في القرآن الكريم الأمر بقتال المعتدين مقترنا بالنهي عن قتال الاعتداء والبغي والظلم قال تعالى : ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) ٢ وتعليل النهي عن قتال الإعتداء بأن الله لا يحب المعتدين دليل على أن هذا النهي محكم غير قابل للنسخ ٣ ، وفي ذلك دليل واضح على بعد الإسلام عن الدموية المقصودة لذاتها وأن القتال له غايته وهدفه الذي لايتعداه إلى غيره .

٥ ـ الأمر بالتحلي بأخلاق القتال :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ يوصيه قائلا : (اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ..)٤، وورد في الحديث (أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتْلَ

---

١ رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الجهاد و السير ـ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم ـ ح١٧٣١ .

٢ البقرة (١٩٠)

٣ انظر رضا ـ الوحي المحمدي ـ ص٢٠٩

٤رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الجهاد و السير ـ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم ـح ١٧٣١ .

النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ)١. ورأى ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي غَزْوَةٍ له النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فقَالَ (انظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ فَجَاءَ فقَالَ عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ فقَالَ مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ فَبَعَثَ رَجُلًا لخالد بن الوليد ـ الذي كان على المقدمة ـ فقَالَ : قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا٢)٣ كما أنه(نَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النهبى وَالْمُثْلَةِ)٤.

فانظر إلى الأخلاق التي أمر الإسلام بالتحلي بها أثناء القتال وما فيها من دلالة على رفق الإسلام بمن لايعارض نوره من النساء والصبيان والشيوخ والخدم ، أما الذين يشاركون في القتال من هؤلاء ، ولو كان برأي أو نصيحة ، فإنه يجوز قتالهم وقتلهم لاشتراكهم في محاربة الإسلام والمسلمين .

٦ـ التلطف بالأسرى وخصوصا عند الإثخان :

أرشد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفق بالأسير والمن عليه بالعفو وخاصة إن كان فيه مصلحة ، ونذكر قصتين تدلان على هذا الإرشاد العظيم :

القصة الأولى : أَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ فقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فقَالَ مَا شَأْنُكَ فقَالَ بِمَ أَخَذْتَنِي بِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ إِعْظَامًا لِذَلِكَ فقَالَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ ٥ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، فَأَتَاهُ فقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ قَالَ لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ فقَالَ مَا شَأْنُكَ فقَالَ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي وَظَمْآنُ فَاسْقِنِي قَالَ هَذِهِ حَاجَتُكَ ٦. فانظر إلى رفقه عليه السلام الذي جعل راوي الحديث يعلق أثناء روايته قائلا : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا ٧.

١رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب قتل الصبيان في الحرب ـ ح ٢٨٥١ .

٢ العسيف : الأجير

٣رواه أبو داود في السنن ـ كتاب الجهاد ـ باب في قتل النساء ـ ح ٢٦٦٩ ، صححه الألباني ٥٠٧/٢.

٤ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب المظالم والغصب ـ باب النهبى بغير إذن صاحبه ـ ح ٢٣٤٢ .

٥ كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٦ رواه احمد في المسند ـ أول مسند البصريين ـ ح ١٩٠٤٨ واللفظ له ، ومسلم في الصحيح ـ كتاب النذر ـ باب لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد ـ ح ١٦٤١ .

٧ وعند مسلم "وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رحيما رقيقا ".

القصة الثانية : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ[١] قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢].

ومما أفاده أهل العلم من هذه القصة: المنّ على الأسير الكافر وتعظيم أمر العفو عن المسيء ،لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبا في ساعة واحدة لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم إليه من العفو والمن بغير مقابل ، وأن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب ، وفيه الملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير [٣].

هذه الأمثلة على مستوى الرفق بالأفراد من الأسرى ،أما الرفق الجماعي بالأسرى فقد ضرب ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنا مثلا عظيما فيه عند فتح مكة، فقد ورد أنه صعد الصفا وَجَاءَتْ الْأَنْصَارُ فَأَطَافُوا بِالصَّفَا فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

١ النجل :موضع قرب المسجد فيه ماء ، وفي رواية أخرى (فانطلق إلى نخل قريب) ـ كتاب الصلاة ـ باب الاغتسال إذا أسلم ـ ح ٤٥٠ .

٢رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب المغازي ـ باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ـ ح٤١١٤ .

٣ ابن حجر ـ فتح الباري ج:٨ ص:٨٨

أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ) ١ . فأعطاهم صلى الله عليه وسلم الأمان وقد ظنوا أن مهلكهم قد اقترب .

كما أن القرآن الكريم قد وجه المسلمين إلى الاكتفاء بالأسر في حال الإثخان في القتل وأمن ظهور العدو عليهم ، ثم خيّر المسلمين بين المنّ على الأسرى وإطلاق سراحهم بغير مقابل وإما بأخذ الفداء عنهم . فقال تعالى : ((فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا))٢. ٣

١ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب فتح مكة - ح٢٧٨٠ .

٢ محمد(٤)

٣ انظر رضا - الوحي المحمدي - ص٢١٣

أهم ما تضمنه الفصل :

- الرفق في العبادة يكون بالاتجاه إلى مقصدها الأساسي ، وهو تخليص النفس من الشوائب وأدران الهوى ، والقيام بالعبادات بما يطيق ، من غير تهاون في أدائها أو ترك للفرائض ، أو استهانة بحقائقها.
- تحقق شرط المداومة ، وإيتاء كل ذي حق حقه وقبول الرخصة ، والبعد عن تعذيب النفس ، وعدم تحريم ما أحل الله ، والبعد عن الجمود المذهبي من أهم مظاهر الرفق في العبادة .
- أبلغ ما جاء في الحض على الرفق بهذه البهائم ، وعرفان قيمتها وشكر الله على الإنعام بها، من باب وصف منافعها وتعديد خدماتها ، قوله تعالى:((وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ))[1] .
- وإذا كان الشارع قد نهى عن إيلام الحيوان المراد ذبحه أو قتله لسبب ، فإنه نهى أن يقتل هذا الحيوان بغرض التسلية أو اللعب ، كما نهى عن التمثيل به .
- أراد الرسول أن يغرس في حس المسلمين معنى الرحمة الواسع الشامل ، ليغدوا المسلم رحيما بطبعه حتى بالحيوان ،لأن من كان له قلب يحنو على الحيوان لا يقسو على أخيه الإنسان، وكان الرسول ذو رحمة للإنسان والحيوان ، وكان يعلم المسلمين أن يكونوا كذلك.
- من أهم مظاهر رفق الراعي بالرعية : الحكم بما أنزل الله ، ومراعاة مصالح الأمة وعدم الغش ، والشورى ، والعدل ، والبعد عن الظلم .
- المراد من اتصاف الداعية بالرفق أن تكون دعوته خالية من العنف والخشونة والقسوة والشدة والجفاء أو بعبارة أخرى أن تكون عنده مداراة .
- الدعوة بالرفق ليست الصورة الوحيدة للدعوة ، بل ان هناك أحوال يعدل فيها عن الرفق إلى الغلظة والشدة ؛ فإذا انتهكت حرمات الله وأن وقت إقامة الحدود ، أو

---

[1] النحل (٥-٨)

ظهر عناد أو استخفاف أو استهزاء بالدعوة ، أو بدرت مخالفة الشرع عمن لا يتوقع منه ذلك ، ففي تلك الأحوال يلجأ إلى الدعوة بالقسوة والشدة .

- استخدام الشدة في الدعوة في بعض الأحوال إنما يكون بعد النظر والتدبر فيما يترتب عليه ؛ فإن تأكد لدى الداعية حدوث منكر أعظم من المنكر الذي أراد إزالته أو ترك معروف أهم منه بسبب دعوته بالشدة فليس له أن يلجأ إليها .
- أعطى الإسلام لموضوع الأسرة اهتماماً بالغاً ، حيث رسم مجمل العلاقات الأسرية، وبين حقوق أفراد الأسرة بعضهم على بعض ، فأوجب صلة الأرحام وأمر بالإشفاق على الأبناء والإنفاق عليهم، ووصى بطاعة الوالدين ، وزجر عن عصيان أمرهما وعقوقهما ، وبين تفاصيل الحياة الزوجية وما ينبغي أن تكون عليه. كل ذلك ليعيش المسلم في سكينة وسعادة فلا يشقى في الدنيا ولا في الآخرة.
- الرفق بالوالدين يكون في موافقتهما على أغراضهما الجائزة والإحسان إليهما بالقول والفعل ، وبحسن الكلام وخفض الجناح والتودد والتحبب والتزام الأدب معهما واحترامهما ، والبعد عن عقوقهما أو ما يسبب الإزعاج لهما.
- ولطاعة الوالدين في الإسلام مجموعة من المظاهر من أهمها : طاعتهما في المعروف والإحسان إليهما والتودد والتحبب وخفض الجناح لهما و تلطفهما وترك التضجر والتأفف منهما وخاصة في حال الكبر و رعايتهما وإن كان أحدهما أو كلاهما على دين آخر واليقين بأنه لا يمكن أن نفي حقوقهما مهما قدمنا لهما .
- من آثار الرفق بالوالدين : ١_ بر الوالدين سبب رضى الله ٢_ بر الوالدين سبب للرفعة في الدنيا قبل الآخرة ، ومزية قد تجعل من صاحبها خير الناس وأحبهم إلى الله ٣_ بر الوالدين مكفر للذنوب ومذهب للخطايا والكبائر ٤_ الإحسان إلى الأبوين ينفع الله به في الكربات فيجعله سبباً لتفريجها وكشفها .
- من مظاهر المعاشرة بالمعروف :الصبر والمداراة والنفقة والإحسان والتعاون في العمل والمحبة وترك البغض والتدرج في التقويم والإعفاف وحق المتعة والملاطفة والشورى والعدل وعدم الجور .

- الرفق بالأبناء يكون بمنحهم الحقوق الواجبة لهم ،التي تكفل الشرع بها ، ومن أهم هذه الحقوق : الحق في التربية والتعليم وحق المساواة في العطايا والهبات والحق في النقاء الوراثي والحق في الحياة والحق في الرضاعة الطبيعية والمسكن والتغذية والرعاية الصحية والحق في العطف والحنان وحق الأبناء في المضجع المستقل والمستقبل الآمن .
- وجه الإسلام الرفق إلى كل مستحق والى كل فرد من أفراد المجتمع ، وأكد بشكل خاص وملح على الرفق بالضعفاء ، ويدخل في عموم الضعفاء النساء وخاصة الأرحام والأرامل والفقراء ، والمساكين والصغار واليتامى ، والكبار والمسنين ، والخدم .
- كفالة الضعفاء من النساء ورعايتهم والرحمة بهم من الواجبات الاجتماعية الإسلامية التي تنبع من خلق الرحمة وحب العطاء .
- من مظاهر اهتمام الإسلام بالأيتام :

١ـ أن الله أوجب الجنة لمن تكفل يتيماً في طعامه وشرابه

٢ـ ان الله جعل من كفل ثلاثة من الأيتام كمن قام الليل وصام النهار وجاهد في سبيله

٣ـ ان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل جزاء من أحسن إلى اليتيم قُربه ومرافقته في الجنة

٤ـ أن الله جعل لين القلب في المسح على راس اليتيم

٥ـ ان الله أكرم البيت الذي يؤوي يتيماً بأن جعله خير بيوت المسلمين

٦ـ ان الله نهى عن قهر اليتيم وتحقيره

٧ـ أن الله نهى عن التعدي على أموالهم بل أمر بحفظها لهم حتى يكبروا

- من حقوق الكبار والمسنين : ١ـ حق الكفالة: ٢ ـ حق العون والمساعدة : ٣ ـ الزيارة والتعهد : ٤ ـ الدعاء .
- الرفق بالخدم يكون بمعاملتهم بالحسنى ، وهذه المعاملة من أوكد الواجبات على المسلم ، بل إن وجوبها مما يلحق بوجوب الرفق بأفراد العائلة . فالإسلام تجاوز كل أخلاقيات الجاهلية فجعل الرقيق والخادم أخا أو فردا من أفراد العائلة ،وكفل له من

الحقوق ما كفل لكل فرد في الأسرة ، فله حق الإطعـام والكسـوة وعـدم الإثقـال فـي العمل .

- يحظى المشركون في ظل الشريعة الإسلامية بقدر كبـير مـن الرفـق والرحمـة ، ومن أهم الدلائل على ذلك أن الغاية مـن الديـن أصـلا هـي إخـراج المشـركين مـن الظلمات إلى النور .
- ينقسم المشركون إلى قسمين اثنين : قسم محارب وآخر غير محارب ، ولكل من القسمين مظاهر للرفق به.
- مظاهر الرفق بالمشركين في غير حال الحرب :

١. الحرص على هدايتهم
٢. الدعاء لهم بالهداية
٣. عدم اليأس والإصرار على الدعوة
٤. زيارة المشرك رجاء إسلامه
٥. إكرام الضيف رجاء إسلامه
٦. الوفاء بالعهد معهم
٧. عدم قتل المعاهد أو ظلمه
٨. التسامح معهم

- مظاهر الرفق بالمشركين حال الحرب :

١. جعل غاية القتال واضحة ومحددة
٢. منع الإكراه في الدين
٣. عرض مجموعة من الخيارات على المشركين قبل قتالهم
٤. اقتران الأمر بالقتال بالنهي عن الاعتداء
٥. الأمر بالتحلي بأخلاق القتال
٦. التلطف بالأسرى وخصوصا عند الإثخان

الفصل الرابع

دور المؤسسات التعليمية في تنشئة الأفراد على الرفق

المبحث الأول : دور الأسرة في تنشئة الأبناء على الرفق

المطلب الأول : تعليم الأبناء قواعد الرفق منذ الصغر

المطلب الثاني : استخدام الرفق سلوكا دائما أثناء تربية الأبناء

المطلب الثالث : القدوة الحسنة في التعامل مع المسنين من الآباء

المطلب الرابع : معرفة مدى الحاجة إلى العقاب عند الأبوين

المبحث الثاني : دور المدرسة في تنشئة الطلاب على الرفق

المطلب الأول : التعامل مع الطلاب برفق

المطلب الثاني : استخدام وسائل وأساليب تعليمية ترفق بالطلاب

المطلب الثالث : تحقيق الرفق من خلال المحتوى الدراسي

الفصل الرابع

دور المؤسسات التعليمية في تنشئة الأفراد على الرفق

إذا كان للرفق آثاره الإيجابية على كل من الفرد والمجتمع ، وكان هذا السلوك مصدرا للطمأنينة والسعادة والتوازن النفسي عند الفرد وللألفة والمحبة والتماسك الاجتماعي ، بات من الواجب الاهتمام به وغرسه في نفوس الناشئ من الجيل بحيث يصبح لهم سجية وطبعا ، ونشره أيضا بين أفراد المجتمع بحيث يكون سلوكا اجتماعيا عاما .

ولا يخفى أن مسؤولية نشر هذا السلوك والسعي لتحقيقه في مجالاته ، هي مسؤولية جماعية ، تشترك فيها جميع مؤسسات المجتمع وخصوصا المؤسسات التربوية - رسمية كانت أو غير رسمية - لأن تعاضد هذه المؤسسات في نشر مبدأ الرفق يجعل من الرفق منظومة اجتماعية يشارك في ادائها جميع أفراد المجتمع ، و ينعم بثمارها كل فرد من أفراده .

ولبيان دور المؤسسات التربوية في تنشئة الأفراد على الرفق سنعرض في هذا الفصل لنموذجين من هذه المؤسسات :

الأول : نموذج الأسرة الذي يمثل المؤسسات التعليمية غير الرسمية .

والثاني : نموذج المدرسة الذي يمثل المؤسسات التعليمية الرسمية .

المبحث الأول

دور الأسرة في تنشئة الأبناء على الرفق

تمهيد :

أول مجال يظهر فيه تأثير السلوك الأخلاقي على الفرد هو الأسرة ، فالآباء والأبناء الكبار يؤثرون في الصغار تأثيرا يلازمهم مدى الحياة ، ويكون البيت هو المدرسة الأخلاقية الأولى للطفل .

والتأثير في الأسرة لا يتم بطريق التلقين وحده ، وإنما يكون للقدوة دورها كذلك، بل إن دور القدوة يفوق دور التلقين : فأخلاق الأم والأب وسلوكهما يعد العامل الأكبر في تشكيل أخلاق الأبناء وتوجيه سلوكهم ، لأن الأبناء يقتدون بالأخلاق التي يتأكدون من اقتناع آبائهم بها والتي يعلمون أنها المعبرة بالفعل عن نواياهم .[1]
ولبيان دور الأسرة في تنشئة الأبناء على الرفق لابد من التركيز على مجموعة من المحاور أهمها :

١ـ تعليم الأبناء قواعد الرفق منذ الصغر .

٢ـ استخدام الرفق سلوكاً دائماً في أثناء تربيتهم .

٣ـ القدوة الحسنة في التعامل مع المسنين من الآباء ، ومع الزوجة .

٤ـ معرفة مدى الحاجة إلى العقاب عند الأبوين .

---

١ انظر المليجي ـ يعقوب ـ الأخلاق في الإسلام ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الإسكندرية ـ د.ط ـ ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ـ ص١٠٧ .

المطلب الأول | تعليم الأبناء قواعد الرفق منذ الصغر | [1]

الكل يتمنى أن يكبر ولده ليكون ولداً مؤدباً ولطيفاً مع الآخرين ، فاللطف والرفق من الأمور المهمة في سير الحياة الاجتماعية ، وكلما كان الولد لطيفاً مع الآخرين كان رأي الآخرين فيه من مدرسين وأقرباء رأياً حسناً جميلاً . وأفضل نوع للرفق واللطف يأتي من التفكير والإحساس الصادق تجاه الآخرين ، لأننا إذا فهمنا حاجات الآخرين واحترمنا رغباتهم فإننا سنكون أكثر تقديراً ومراعاة لها من مجرد اتباع الآداب الاجتماعية باللطف ، ولذلك إذا شجع الوالد ولده على تفهم الآخرين واحترامهم فإنه سينشأ ليكون صاحب خلق لطيف ورفيق بالناس .

ولكنه يبقى بحاجة إلى من يعينه على تعلم الكلمات والعبارات المناسبة مثل [من فضلك] و [جزاك الله خيرا] و [شكراً] و [شكر الله لك] ، وتبقى أفضل طريقة للتعليم هي القدوة الحسنة ؛ فإذا كان الوالد ممن يستعمل هذه العبارات والكلمات في حياته اليومية داخل المنزل وخارجه فإن الولد سيلتقط هذا النمط من السلوك تلقائياً . وعلى الوالد أن يحث ابنه منذ الصغر على استعمال العبارات الاجتماعية المناسبة في التعامل مع الناس، وبذلك سيتابع استعمالها في حياته اليومية .

ومن الملاحظ أن الولد قد يحاول التهرب من مثل هذه العبارات في السنة الثالثة من عمره عندما يحاول أن يمارس حرية رأيه وشخصيته ، ولكن تبقى المرحلة المدرسية هي الوقت المناسب لتعليمه هذه الآداب الاجتماعية.

ويمكن مساعدة الولد على رؤية كيف أن قول [شكراً] و [من فضلك] وغير ذلك من الكلمات المناسبة ما هي إلا طرق نظهر من خلالها شكرنا وتقديرنا لما يفعله الآخرون من جهد ، وأننا نطلب منهم المساعدة بدل أن نأمرهم بها ، وأننا باستعمال هذه الكلمات سيكون الناس أكثر رغبة في تقديم المساعدة والعمل لنا ، وبذلك ينتفع كل من الطرفين .

ومن المهم هنا أن نذكر أن طبيعة الصوت وكيفية النطق بهذه الكلمات يدل دلالة واضحة على حقيقة مواقفنا ومشاعرنا وما نريد قوله من مجرد العبارات والكلمات .

---

[1] انظر الكثيري ـ ابتسام ـ ما خالط الرفق شيئا إلا زانه ـ ص ٨١ .

وهناك من يعتقد أنه إذا ربى ولده على اللطف وحسن الخلق فإنه سيصبح ضعيفاً أمام الأولاد الآخرين مما يسهّل عليهم السيطرة عليه ، ولذلك تجدهم يرغبون في أن يكون ولدهم عنيداً لا يستجيب للآخرين ولا يخضع لهم ، والملاحظ أن هؤلاء يخلطون بين اللطف والكياسة وبين الضعف والخضوع ، فاللطف لا يعني أبداً التذلل أو الخضوع للناس ، أو عدم مطالبة الإنسان بحقوقه وماله عند الآخرين ، وإنما يدل على الحكمة والتفكير ، فاللطف الاجتماعي يزيد الإنسان قدرة على التأثير بالناس وعلى ترك مشاعر طيبة فيهم ، بينما الطلب الفج وغير اللطيف قد يدفع الناس لعدم الاستجابة للطلب ، والولد لا شك سيقدر هذه الأمور من خلال النمو والتجربة .

المطلب الثاني [استخدام الرفق سلوكاً دائماً في أثناء تربيتهم] [1]

الحاجة إلى الرفق لا تبرز حين نكون فرحين بذكاء أطفالنا وتفوقهم وحسن إدراكهم للأمور أو حسن تصرفهم مع الآخرين ، ونحن لا نحتاج إلى تذكير أنفسنا بالرفق وضرورته حين يكون الطفل أو الناشئ ملبياً لما يطلب منه عمله ، أو منتهياً عما يطلب منه تركه ، أو ناجحاً في دراسته مواظبا على استذكار دروسه ، فالرفق في هذه الحالات ثمرة طبيعية للرضا عن سلوك مطلوب أو تفوق محبوب ، لكننا نحتاج إلى تذكر الرفق حين يبدو على الطفل - وكثيراً ما يحدث هذا - ما نظنه غباء أو تقصيراً في العمل أو الفهم والتحصيل ، حينئذٍ تطير ألباب كثير من المربين فلا يجدون إلا العنف أو التهديد به ليخوفوا الطفل فيوقظه - في زعمهم - من غفلته أو من غفوة عقله.

وقد تنجح هذه الوسيلة مع بعض الأطفال في بعض الحالات فيظن المربي أنها هي الوسيلة الناجحة دائماً ومع الجميع ، وينسى هؤلاء المربون - وقد أخذتهم نشوة الإصلاح بالقسوة - أن الأسباب التي تؤدي بالطفل أو البالغ إلى هذا الموقف لا حصر لها ولا عدد ، وأن علاج الغفلة أو التقصير أو سوء السلوك يتنوع ويتعدد بمقدار تنوع الأسباب وتعددها ، وأن أخطار اللجوء إلى علاج وحيد في جميع الحالات أكبر الف

---

[1] انظر -- - الإدارة بالإرادة - ص(٩٩ - ١٠٠) بتصرف

مرة من فوائده وأن شأن الذي يصنع هذا شأن الطبيب الجاهل : يعالج الأدواء المستعصية و نزلات البرد بدواء واحد ، فإما أن يقتل مرضاه جميعا ، وإما أن يقتل الغالبية العظمى منهم .

إن العنف يحطم الشخصية ، ويفقد الإنسان الثقة في نفسه ، ويورثه كره الذين يمارسونه معه ، ولا ينشئ إلا إنسانا جبانا ، يطيع رهبة وخوفا لا رغبة وحبا ، وينفذ ما يؤمر به خوفا من العقاب لا اقتناعا بجدوى الصواب .

ونحن نحتاج إلى التذكير بأصل الرفق وأهميته في التربية حين يبدو على الطفل أو الناشئ مظهر من مظاهر التمرد أو العصيان ، وهو أمر كثيرا ما يحدث من الفتيان والفتيات ولاسيما في مرحلة المراهقة ، وعندئذٍ يفوت كثيرا من المربين أن هذا التمرد الظاهر قد يكون في حقيقته مظهرا من مظاهر النمو والرغبة في الاستقلال والإحساس بالقدرة الذاتية ، وهو بهذا الاعتبار يحتاج إلى رعاية وعناية وحسن تعهد وسداد توجيه، فيؤتي ثمرة جنية طيبة يكون الآباء والمربون أسعد الناس بها وأشدهم فخرا.

ونحن نحتاج إلى تذكر الرفق - أكثر ما نحتاج - حين يستبد بنا الغضب ويعصف بخلقنا الضيق لسوء تصرف أتاه الطفل أو الشاب ، أو كرره ، برغم سبق نهيه عنه ، حينئذٍ لا يجد كثير من الناس إلا يدا غاضبة - أو طائشة - تمتد إلى هذا الناشز تريد تقويمه ، وهي لا تدرك أنها بهذا تكسره و تحطمه ، لا تصلحه و تقومه . وهذا الغاضب الذي عصف غضبه بأناته وعقله ينسى أن الأناة في هذا الموضع أفضل من العجلة ، وأن التأمل في سبب عوج السلوك أو التواء التفكير ، كفيل بأن يضع اليد الحانية الصادقة المخلصة - في محاولة عون الطفل على التغلب على صعوبات الحياة - يضعها على سبل أخرى للعلاج تلتقي مع الأصل الإسلامي الصحيح : (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)[1]. وتلتقي مع الحديث الذي روته عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) [2].

---

١ رواه مسلم في الصحيح – كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق – ح ٢٥٩٣ عن عائشة .

٢ رواه مسلم في الصحيح – كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق – ح ٢٥٤٩ .

وليس " الزين " و " الشين " هنا بمعناهما التشكيلي الذي يثير رضا النظر فحسب ، في الأول ، ويصرف النظر ، استياء عن غير الجميل ، في الثاني ، ولكنهما يستعملان هنا بمعنى أعمق وأدق ، معنى الجمال الجوهري والقبح المعنوي ؛ وهما اللذان يفرقان في حكم العقلاء بين شيء مقبول محبب وبين آخر مكروه ينفر الناس منه ويجتنبونه .

المطلب الثالث | القدوة الحسنة في التعامل مع المسنين من الآباء |[1]

اجتماع الضعف مع الشيب يجعل المسن معرضا للضيق وسرعة الانفعال وتقلب المزاج وقلة تحمل الظروف التي لا تناسبه ، لذلك فإن أهم خطوة ينبغي البدء بها لرعاية المسن هي إدراك أثر تلك التغيرات على نفسيته .

فإدراك هذه الحقائق يجعلنا نتفهم ونستوعب ما قد يصدر من المسن من سلوك لا نرضى عنه لاسيما إذ علمنا أنه من المستحيل تغير طباع المسن في هذه السن المتقدمة، وحتى يكون سلوكنا مع كبار السن مؤثرا في الأبناء لا بد من مراعاة ما هو آتي :

<u>أولا : إشعار المسن بقيمته :</u>

واقصد بذلك أن يشرك الابن والداه المسنين في إنجاز الأعمال التي يستطيعان فعلها، فليس من الحكمة أن يقوم الأبناء بعمل كل شيء لوالدهم أو لوالدتهم ، ولكن الحكمة هي إظهار الرغبة والاستعداد لعمل أي شيء يرضيهما ويسعدهما .

<u>ثانيا : الاهتمام برأيه والاستفادة من خبرته :</u>

فاستشارته والعمل برأيه يشعره بالأهمية وبالرضى عن أبنائه الذين لا يزالون يهتمون به ، وقد يكون من المناسب استشارة المسن في بعض الأمور التي لا يترتب عليها نتائج حيوية - حتى وإن لم تكن له دراية كافية بها - كالاستفادة من المسنات في إرشاد بناتهن أو زوجات أبنائهن لطريقة إعداد بعض الأكلات الشعبية ، وعن كيفية العناية بالصغار.

---

[1] انظر خليل - معمر فوزي وآخرون - كنوز منسية - الأسرة - السعودية - العدد ١٠٥ - السنة التاسعة ١٤٢٢هـ - ص ٢٨.

ثالثا : إظهار الاحترام والتقدير لهم :

وذلك بالتوجه للسلام عليهم قبل غيرهم ، وتقبيل رؤوسهم وأيديهم ، والسؤال عن أحوالهم ، والإنصات لهم عندما يتكلمون ، والاستجابة السريعة لطلباتهم . وهذه الأمور ينبغي الاعتياد عليها من الصغر ، ويكون ذلك بأن يجعل الأبوان من نفسيهما قدوة لأبنائهما في احترام أجدادهم ، فالطفل مجبول على تقليد الآخرين ، وخصوصا والديه.

رابعا : تلمس احتياجاتهم وتوفيرها لهم قبل أن يطلبوها :

وذلك لشعور المسن في هذه المرحلة بأنه ثقيل على ابنائه فلا يطلب منهم عادة ما يحتاج إليه ، فيناسب أحيانا عرض خيارات على المسنين ، تكون متاحة ويمكن تنفيذها.

خامسا : أن يقدر الرجل لزوجته ما تعمل لوالديه وأن يشكرها ويشعرها بأهمية ما تقوم به نحوهما، كما ينبغي عليه أن يقدر أنها قد تسمع من والديه مالا يسرها ، كنقد شديد أو لوم قاس، في مثل هذه الحالات تتوجه الزوجة أولا نحو زوجها لتشتكي له، فإن هو عنفها وزجرها عن الشكوى ، فقد ينعكس ذلك سلبا على معاملتها لوالديه ، أما إن استمع لها وأظهر تفهمه لموقفها وتقديره لعملها ولتحملها ما يقال لها بعده ، فإنها غالبا ما تنسى تلك الكلمات المؤلمة وتعود لأداء واجبها نحو والديه بحماس متجدد ، وهذا التعامل هو الأكثر تأثيرا بالأولاد .

والتعامل الطيب يجب أن يكون ديدن الرجل والمرأة في بيتهما وخصوصا أمام الأطفال ، وإن حصل بينهما خلاف أو شقاق فلا بد ألا يكون بحضور الأبناء لما يتركه هذا التنازع من آثار نفسية وسلوكية سلبية عليهم .

المطلب الرابع | معرفة مدى الحاجة إلى العقاب عند الأبوين |

يظن بعض الناس أن الرفق بالابن يعني عدم القسوة عليه أو زجره أو معاقبته أبدا، ولا يعلم أن الاتساع في الحلم ومجاراة المخطئ بالترك ، والأخذ عليه بالفضل يؤدي إلى ضروب من الفساد ، فيصير معها ترك الحلم حلما والبعد عن الرفق رفقا ، والعمل بالحزم رحمة ، ويصبح العقاب ضرورة لازمة وأمرا واجبا [1] ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل فقال : (وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ)[2].

والعقاب لا يكون إلا لمن أخطأ أو أساء الأدب مع الله أو مع والديه أو غيرهم ممن يجب احترامهم ، ولابد لهذا العقاب من ضوابط محددة وشروط معينة حتى يؤتي أكله ويكون وسيلة من وسائل التربية ، ومن أهم هذه الضوابط [3]:

<u>أولا :</u> أن لا يكون الضرب قبل سن العاشرة ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة : (عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ) [4] هذا وهي أعظم الشعائر بعد التوحيد .

<u>ثانيا :</u> التقليل منه ما أمكن ، وعدم الهيجان أثناءه فإن ذلك يؤذي الصغير ، ويضر به ضررا بالغاً بدنياً ونفسياً .

---

١ ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(عَلِّقُوا السَّوطَ حيثُ يراهُ أهلُ البَيتِ فإنَّه أدب لهُم) رواه الطبراني في المعجم الكبير - عن ابن عباس ح ١٠٦٦٩ - ٢٨٤/١٠ . بسند حسن ، انظر العجلوني - اسماعيل بن محمد الجراحي - كشف الخفاء - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٤ -١٩٨٥م - ٨٢/٢ ح١٧٤٢

٢ رواه أحمد في الصحيح - مسند الأنصار - حديث معاذ بن جبل - ح ٢١٠٦٠ ، قال شاكر : إسناده صحيح ح٢١٩٧٤ .

٣ انظر اليامي - محمد بن سرار آل دعيش - الأسس التربوية لإصلاح الذرية - دار الوطن - الرياض - ط١ - ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م - ص(١٢- ١٥).

٤ رواه الترمذي في السنن - كتاب الصلاة - باب متى يؤمر الصبي بالصلاة - ح ٤٠٧ عن سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ ، قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَعَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَسَبْرَةُ هُوَ ابْنُ مَعْبَدٍ الْجُهَنِيُّ وَيُقَالُ هُوَ ابْنُ عَوْسَجَةَ .

ثالثا : أن يكون أذى الضرب يلحق بالجلد فقط ، فلا يؤذي اللحم ، ولا يهشم العظم ، وأن لا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر ، وهذا من شروط القابسي في ضبط عملية الضرب[1] .

رابعا : ألا يكون السوط غليظا مؤذيا ، أو به عقد ، أو من حديد أو به حديد ، أو به آلة تعذيب ، فهذا منهي عنه ، لما يحدث من الأذى البدني والنفسي ، بل قد يكون سببا في جعل ذلك الصغير يعاني من مشاكل صحية ونفسية مستقبلية .

خامسا : إيقاف الضرب عن الصغير إذا استغاث بالله ، تعظيماً لله جل و عز وإجلالاً له سبحانه ، وتربية لذلك الصغير على حسن الصلة بالله عز و جل . وقد ورد عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ خَادِمَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ فَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ)[2] هذا وهو خادم ، فالصغير والطفل من باب أولى .

سادسا : ألا يقع الضرب على أماكن مؤذية حساسة ، كالوجه مثلاً أو قفا الرأس ، أو العين ، أو غير ذلك ، مما يحصل به أذىً كبيرا للصغير[3] ، فقد قال - صلى الله عليه وسلم - في رواية عن أبي هريرة : (إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبْ الْوَجْهَ)[4]، فإذا ضرب تأديبا كان اجتناب الوجه أولى .

سابعا : ألا يكون الضرب في وقت الغضب الشديد ، فإن ذلك ماحق لمنفعة الضرب وينتج عنه ما يلي :

أ - عدم حل المشكلة ، لأن بعض الصغار قد يأخذه العناد .

ب - تنفيرُ ذلك الصغير ، وجعله يحمل الكره لضاربه .

ج - يتحول الضرب للتشفي وقطع غليل النفس ،لا للتربية والتعليم والتأديب .

---

١ انظر الأهواني - أحمد فؤاد - التربية في الإسلام - دار المعارف - القاهرة - ط١ - ١٩٨٠م - ص١٤٨.

٢رواه الترمذي في السنن - كتاب البر والصلة عن رسول الله - باب ما جاء في أدب الخادم - ح ١٩٥٠ . قَالَ أَبُو عِيسَى وَأَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ اسْمُهُ عُمَارَةُ بْنُ جُوَيْنٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْعَطَّارُ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ضَعَّفَ شُعْبَةُ أَبَا هَارُونَ الْعَبْدِيَّ .

٣ انظر الأهواني - التربية في الإسلام - ١٤٨

٤ رواه البخاري في الصحيح - كتاب العتق - باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه - ح ٢٤٢١ .

د - يخشى على من يغضب وهو يضرب ألا يراعي حدود الله فيمن بين يديه ، فقد يضربه في مقتل ، أو قد يعيقه عن الحركة ، أو يشوه خلقته .

ثامنا : أن يكون الضرب بغرض الإصلاح ، وتلافي الأخطاء والمشاكل لا بغرض الانتقام لأن العقاب المناسب دون نزعة انتقامية يقنع الصغير بأن الخطأ الذي ارتكبه كان لابد من البعد عنه ١.

تاسعا : تعليم الصغير سبب ضربه وعقوبته ، فإنه إن علم السبب ترك الفعل القبيح الذي عوقب من أجله ، وهو أمر هام للغاية .

عاشرا : ألا يتبع العقاب ندم من الأب أو الأم لأن ذلك يشعر الطفل بان والده قد أخطأ في حقه فتنتفي بذلك الفائدة من العقاب ، بل قد يؤدي ذلك إلى زيادة نسبة الخلل عند الطفل ٢.

الحادي عشر : اتفاق الوالدين في تأديب صغيرهما ، إذ لو ضربه والده ، يحاول الصغير الفرار لوالدته . لا أقول : تبادره الوالدة أيضا ضربا ، بل تؤنبه على خطأه ، وتخبره بأن من أساء الأدب استحق العقوبة ، حتى يحصل المراد من الضرب ، وهو التأديب والإصلاح .

الثاني عشر : الحرص على أن يكون العقاب مساويا للخطأ ، والذنب الذي اقترفه الصغير ، وقد عبر القابسي عن ذلك بقوله : " أن يكون العقاب بقدر الاستئهال الواجب في ذلك الجرم " ٣ ، فقد يكون ضرب الصغير على يده مناسبا لتقويم سلوكه ، أو يكون حبسه في حجرته لمدة دقائق هو الأسلوب الأفضل ، أو اتباع أسلوب الحرمان من المصروف أو الحرمان من الخروج في نزهه أو غيره هو الأفضل . والمهم في كل ذلك هو مراعاة العدالة والتناسب بين الذنب والعقاب ٤ .

---

١ انظر سبوك - مشاكل الآباء في تربية الأبناء - ترجمة منير عامر - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - د.ط - ١٩٩٩م ص ٥١٥ ، وانظر إسماعيل - سعيد إسماعيل علي - اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي - دار الفكر العربي - القاهرة - د.ط - ١٤١٢هـ/١٩٩١م - ص١٠٧

٢ انظر سبوك - مشاكل الآباء في تربية الأبناء - ص ٥١٩ .

٣ انظر الأهواني - التربية في الإسلام - ص١٤٨

٤ انظر سبوك - مشاكل الآباء في تربية الأبناء - ص٥٢١ .

الثالث عشر : مراعاة الحال أثناء العقاب ، من تشهير أو كتمان فإنه ينبغي مراعاة ذلك بحسب المصلحة وما تقتضيه .

الرابع عشر : إن كان العقاب كلاميا يجب الحرص على أن يكون بطريق التعريض ما أمكن ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ،لأن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على المخالفة ويهيج الحرص على الإصرار [1].

الخامس عشر : أن لا يكون العقاب مما يستمر طويلا لمدة أسبوع أو شهر كالمقاطعة والحرمان من المصروف أو ما إلى ذلك ، لأن هذا يخلق جوا من التعاسة يخيم على جو الأسرة ، كما ينبغي أن يكون العقاب من الأم فور ارتكاب الخطأ ، حتى لا تزيد مدة تعذيب الطفل الذي ينتظر أن تشكو الأم للأب ثم يقوم الأب بالعقاب ، ويستثنى من ذلك الحالات الخطيرة التي يجب فيها التشاور في أسلوب العقاب [2].

السادس عشر: أن يعلم بالضرورة أن العقاب حل من حلول التربية يلجأ إليه عند الحاجة فقط كالملح للطعام ، وأن الأصل هو التوجيه بالرفق واللين .

السابع عشر: الحرص على جعل الضرب حلا أخيرا لا يلجأ إليه إلا بعد سلوك مراتب أخرى من لفت النظر والنصح [3].

الثامن عشر : مراعاة مبدأ التدرج في العقاب سواء بالنسبة لقيمة وقوع الذنب ، أو بالنسبة لسن الولد [4].

---

١ انظر الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ دار الخير ـ دمشق ـ ط٤ ـ ١٤١٧هـ /١٩٩٧م ـ ١/ ٧٦ .

٢ انظر سبوك ـ مشاكل الآباء في تربية الأبناء ـ ص٥٢٠ .

٣ انظر إسماعيل ـ اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي ـ ص١٠٧

٤ انظر إسماعيل ـ اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي ـ ص١٠٧

المبحث الثاني

دور المدرسة في تنشئة الطلاب على الرفق

تمهيد :

النعلم والتعليم محورا عملية البعث الحضاري الإسلامي ، الذي تجسد في حياة الرسول القدوة ، وسيرته العملية صلى الله عليه وسلم و حدده في قوله : (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا) ١ ، فكان التعليم منهج النبوة وعطاءها وسيرتها وحضارتها ودعوتها ، و منهج الأمم ورقيها وتحقيق إنسانيتها ، بكل أبعاد العملية التعليمية من القراءة والكتابة والتفكير والحوار والمشافهة والتجربة والاستنتاج والاستقراء والقياس والملاحظة والاختبار والاستدلال والبرهان، ولعل جماع ذلك كله قوله تعالى : ((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))٢ . ٣

ولما كان المنهاج هو محور العملية التعليمية الأساسي ٤، وكان هو العطاء الفياض الذي يقدم الزاد الطيب للطلاب في مراحل التعليم المختلفة - لأنه يمثل العنصر الفعال في بناء القيم الخلقية ودعم الوازع الديني وبناء السلوك الصحيح عند الطالب - أصبح الاهتمام به والتركيز عليه هذا واجبا ومنطلقا للتغير .

بيد أنا إذا دققنا النظر في مناهجنا الحديثة رأينا أن هذه المناهج - غالبا - لا تؤتي أكلها وأنها لا تسمن ولا تغني من جوع ، ومرد ذلك إلى عدة أمور :

---

١ رواه مسلم في الصحيح - كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية - ح ١٤٧٨ عن جابر بن عبد الله .

٢ الجمعة (٢)

٣ انظر حسنة - عمر عبيد - تقديم كتاب استخدام الرسول - صلى الله عليه وسلم - الوسائل التعليمية - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد٧٧ - ١٤٢١هـ - ص ١٦ .

٤ المنهاج هنا بمعناه الحديث وليس التقليدي .

١- أن رسالة الأسرة في توجيه الأبناء الوجهة الدينية الصحيحة قاصرة ، بل تكاد تنعدم في بعض الأسر ، وذلك لعدم التطبيق العملي في داخل الأسرة للدين كأسلوب للتعامل ، وأيضا لانشغال كل من الأبوين بأعباء المعيشة المادية ، ويضاف إلى ذلك ضعف الثقافة الدينية لدى أولياء الأمور وسيطرة التلفاز والجرائد وغيرها على عقول الأبناء .

٢ - أن مناهجنا عامة ومناهج التربية الإسلامية خاصة قاصرة في بعض الأحيان عن بلوغ الهدف المنشود منها ، وذلك لأنها قد لا تلائم عقل الطالب وعصره ، بل قد يجد الطالب اضطرابا في المفاهيم وتعارضا بين مادة التربية الإسلامية وغيرها من المواد .

٣ - أن المدرسين عامة ومدرسي التربية الإسلامية خاصة لا يشكلون في كثير من الأحيان النموذج الحي للسلوك الإسلامي اللطيف الرفيق ، من حيث التعامل مع الطلاب، أو من حيث الأسلوب في عرض محتوى المناهج ، وهذا يسبب انفصاما بين ما يدرسه الطالب وبين ما يراه من واقع .

وقد عالجنا النقطة الأولى من هذه الأسباب في المبحث الأول من هذا الفصل ، أما الثانية والثالثة فسنقوم بمعالجتها في هذا المبحث - إن شاء الله - من خلال المحاور الآتية:

١ - التعامل مع الطلاب برفق .

٢ - استخدام وسائل وأساليب تعليمية ترفق بالطلاب .

٣ - تحقيق الرفق من خلال المحتوى الدراسي .

ينعكس أسلوب تعامل المعلم مع طالبه على حياته اليومية وعلى سلوكه الدائم ، فإذا كان المعلم رفيقا في تعامله مع الطالب أصبح الطالب عادة رفيقا لطيفا في مدرسته وفي أسرته وفي مجتمعه ، وإذا كان المعلم عنيفا قاسيا مع طالبه انعكس ذلك عليه أيضا فيصبح عنيدا عنيفا . وحتى يكون المعلم رفيقا في تعامله مع الطلاب لا بد أن يتحلى ببعض المظاهر أهمها :

أولا : الشفقة على المتعلم ومعاملته معاملة الابن :

عدَّ الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ الشفقة على المتعلمين ومعاملتهم معاملة الأبناء ، أولى وظائف المعلم مستدلا بحديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رواه أبو هريرة : (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ) ١. ومن مقتضيات هذه المعاملة ٢:

١- أن يحب المعلم لطالبه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، وأن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو عليه والإحسان إليه، والصبر على جفاء ربما وقع منه ونقص لا يكاد الإنسان يخلو عنه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما يصدر منه ، بنصح وتلطف ، لا بتعنيف وتعسف ، قاصدا بذلك حسن تربيته ، وتحسين خلقه ، وإصلاح شانه ، فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة ، فلا حاجة إلى صريح العبارة ، وإن لم يفهم ذلك إلا بصريحها أتى بها وراعى التدريج في التلطف .

٢- أن يرقب أحوال الطلبة في آدابهم وأخلاقهم باطنا وظاهرا ، فمن صدر منه من ذلك ما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه ، أو ما يؤدي إلى فساد حال ، أو إساءة أدب في حق المعلم أو غيره ، أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة ، ومعاشرة من لا تليق

---

١ رواه ابن ماجه في السنن ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة ـ ح٣١٣ ، صححه الألباني ٥٧/١ .

٢ انظر علي ـ الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد ـ آداب العلماء والمتعلمين ـ الدار اليمنية ـ اليمن ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ـ ص (٥٠ ـ ٥١)

معاشرته ، أو نحو ذلك عرض المعلم بالنهي عن ذلك بحضور من صدر منه ذلك ، غير معرض به ، ولا معين له ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك سرا ، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهرا ، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال ، لينزجر هو وغيره ، ويتأدب به كل سامع ، فإن لم ينته فلا بأس من طرده والإعراض عنه إلى أن يرجع .

٣- أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ، ومساعدتهم بما تيسر من جاه أو مال عند قدرته على ذلك . وإذا غاب بعض الطلبة غيابا زائدا على العادة ، سأل عنه فإن لم يخبر عنه بشيء أرسل إليه وقصد منزله بنفسه ، فإن كان مريضا عاده ، وإن كان في غم خفض عليه ، أو في أمر يحتاج إليه فيه أعانه ، وإن كان مسافرا يفقد أهله ومن يتعلق به ، وسأل عنهم ووصلهم بما أمكن ، وإن لم يكن في شيء من ذلك تودد إليه ودعا له .

ثانيا : التبسم في وجوههم وعدم الاحتجاب عنهم :

البسمة الصادقة مفتاح القلوب ، فإن كانت من صاحب منزلة رفيعة كان لها أثرها البالغ في النفس ، وخصوصا إن كانت من المعلم لتلميذه ، فإنها تكون محل اعتزاز وافتخار ، ونستدل على ذلك بما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه حيث قال : - (مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا)[1]، فانظر كيف كان جرير رضي الله عنه يفاخر بابتسامة النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ، وبعدم منعه من الدخول عليه) ولذلك لا بد لكل معلم أن يتذوق طعم الابتسامة الصادقة ويدرك أثرها العظيم ، وكلما أخلصت فيها النية حفرت في الصخر وأنبتت في الصحراء وأزهرت خير أمة أخرجت للناس [2] .

---

١ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب من لا يثبت على الخيل - ح٢٨٧١

٢ انظر السبيسي - عباس -الطريق إلى القلوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - د.ط - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م - ١/ ٧٢

ثالثا : التواضع وخفض الجناح :

التواضع للطالب ولين الجانب وخفض الجناح من أهم مقتضيات الرفق به ، ولذلك كان أمر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم ((لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِين))[1]. ومن التواضع للطالب مناداته بأحب الأسماء إليه والترحيب به إذا لقيه أو أقبل عليه ، وإكرامه إذا جلس إليه وسؤاله عن أحواله ومعاملته بطلاقة وجه .

وقد كان صلى الله عليه وسلم خير مثال للتواضع لأصحابه ، ولحسن استقبالهم ، ومن ذلك ما رواه ابن عباس (إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَنْ الْوَفْدُ أَوْ مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : رَبِيعَةُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى)[2] .

رابعا : مراعاة الجانب النفسي للطالب :

المعلم الرفيق يراعي الجانب النفسي عند طلابه فيشعر بشعورهم ويحس بإحساسهم ، ولا يوقعهم في حرج أو ضيق ، ومعيار ذلك أن يضع نفسه مكان الطالب فيعامله بما يجب أن يُعامل به .

وقد ضرب لنا صلى الله عليه وسلم أمثلة رائعة في الشعور مع أصحابه ، ومن ذلك ما رواه مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ حيث قَالَ : (أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ - وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا - فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ)[3] . وقد

---

[1] الحجر (٨٨)

[2] رواه البخاري في الصحيح - كتاب العلم - باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان - ح ٨٧

[3] رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم - ح٥٦٦٢ ، ومسلم في الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب من أحق بالإمامة - ح ٦٧٤ ولفظه "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا "

وصف راوي الحديث معلمَه صلى الله عليه وسلم بالرفق والرحمة لما أصاب فهم النبي صلى الله عليه وسلم من قلبه وقلوب أصحابه .

ومن الأمثلة على ذلك أيضا ما رواه أبو أُمَامَةَ قالَ : (إنَّ فتًى شَابًّا أتى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأقبَلَ القَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ ، قالُوا : مَهْ مَهْ ، فقالَ : ادْنُهْ ، فدَنَا مِنْهُ قرِيبًا ، قالَ فجَلسَ ، قالَ : أتُحِبُّهُ لِأمِّكَ ؟ قالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأمَّهَاتِهِمْ . قالَ أفتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قالَ لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قالَ : أفتُحِبُّهُ لِأخْتِكَ؟ قالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأخَوَاتِهِمْ . قالَ : أفتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قالَ : أفتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قالَ لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ ، قالَ وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ . قالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قلبَهُ وَحَصِّنْ فرْجَهُ ، فلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الفَتَى يَلْتَفِتُ إلَى شَيْءٍ)[1]

والناظر في الحديث يلاحظ الفهم الدقيق لنفسية هذا الشاب ، ويلاحظ الأسلوب النفسي العجيب الذي استخدمه صلى الله عليه وسلم لعلاج مشكلة هذا الشاب رغم عظمها و ضخامتها .

خامسا : الحلم على الطالب وخصوصا عند جهله :

الأخذ بيد الطالب ومساعدته على التعلم ، والحلم على أخطائه أو جهله له أثر كبير في ثبات العلم في صدره ، أما القسوة والشدة فإنها تؤدي إلى النفور أو العناد. ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقدر مواطن الحلم على الجاهل ، فلا يغضب من عدم معرفة الطالب أو من جهله ، بل يتأنى ويعلم وهو رحب الصدر ، ويعطف على الأخطاء ويعالجها بروح سمحة . ومن الأمثلة على ذلك حلمه على معاوية بن الحكم السلمي الذي شمت عاطسا في صلاته فغضب الناس منه ، فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة قال له :(إنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إنَّمَا هُوَ

---

١ رواه أحمد في المسند ـ باقي مسند الأنصار ـ حديث أبي أمامة الباهلي ـ ح ٢١١٨٥ ، قال شاكر : إسناده صحيح ح٢٢١١٢ .

التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)[1] وقد أشار معاوية إلى حلم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي)[2] وفي رواية (فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[3]

ومن الأمور التي يجدر الإشارة إليها هنا أن الحلم لا يكون مع الجاهل فقط بل يتعداه إلى غيره وخصوصا أصحاب السابقة ، حيث يكون العفو عنهم عند الخطأ أبلغ من معاقبتهم عليه ، وقد رأينا كيف عفا النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب بن أبي بلتعة - عندما أرسل خبر جيش المسلمين إلى مكة - باعتباره من أصحاب السابقة فقال صلى الله عليه وسلم : (لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)[4].

المطلب الثاني | استخدام وسائل وأساليب تعليمية ترفق بالطلاب |

التزام المعلم بأسلوب تعليمي سلس يبعد الطالب عن التعقيد له أثره في حياة الطالب ، حيث يشعر بان أعقد الأمور وأصعبها ممكن أن تتيسر بالأسلوب الحسن المناسب ، كما يشعر الطالب بأن التيسير والتسهيل في الأمور لا بد منه في حياة الفرد الأسرية والاجتماعية .

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على ضرورة التيسير عامة وفي التعليم خاصة . فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:(يَسِّرُوا وَلَا

---

١ رواه مسلم في الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة - ح ٥٣٧ .

٢ رواه مسلم في الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة - ح ٥٣٧ .

٣ رواه أبو داود في السنن - كتاب الصلاة - باب تشميت العاطس في الصلاة - ح ٩٣١ ، وأخرج نحوه مسلم في الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب تحريم الكلام في الصلاة - ح ٥٣٧ .

٤ رواه البخاري في الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب الجاسوس - ح ٢٨٤٥ عن علي بن أبي طالب .

تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا)١ وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ)٢

ومن مقتضيات التيسير في التعليم أن ينوع المعلم من استخدامه الأساليب والوسائل التعليمية، وان يتبع أثناء تعليمه أسلوبا تدريجيا تراكميا ، بالإضافة إلى الاهتمام بالتعزيز وبناء الدافعية لدى الطلاب ، وعدم الإثقال عليهم ، وغير ذلك مما يساهم في تسهيل وتيسير العملية التعليمية .

الفرع الأول : تنوّع الأساليب والوسائل التعليمية :

تتنوع أساليب ووسائل التعليم بتنوع المواقف التعليمية المختلفة ، وتقوم هذه الأساليب والوسائل على مبادئ نفسية وتربوية يُعتقد بصحتها من وجهة نظر مستخدمها. والمعلم الرفيق هو الذي ينوع في وسائله وأساليبه ؛ تأكيدا للمعاني وزيادة في الوضوح والبيان وإثارة لانتباه المتعلم .

" وقد جاء الوحي المتلو معلما بأساليب متعددة متنوعة، فاستخدم الحوار والمناقشة والاستدلال والبرهنة ، والشاهد التاريخي والشاهد المشخص ، وأتى لذلك بنماذج غطى فيها المساحات الإنسانية جميعها ، بين الأبوة والنبوة ، وبين النبوة والأبوة ، بين الزوج المؤمن والمرأة الكافرة ، وبين الزوجة المؤمنة والرجل الكافر ، بين الأقارب بأنواعهم ، بين المؤمن والكافر ، بين الغني الجاحد والفقير الشاكر ، بين الكبراء والمستضعفين ، بين الأتباع والمتبوعين ، بين أهل الجنة وأهل النار، كما استمر الوحي معلما بضرب الأمثال وتقديم العينات والنماذج التي تعتبر خلاصات وعصارات تجارب بشرية ، ليختصر على الإنسان الزمن ، ويوقفه على قمة التجربة البشرية .

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب العلم ـ باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ـ ح ٦٩ .

٢ رواه أحمد في المسند ـ من مسند بني هاشم ـ بداية مسند عبد الله بن العباس ـ ح ٢٠٢٩ قال شاكر : إسناده صحيح ح ٢١٣٦ .

كما استخدم من الأساليب اللغوية أسلوب السؤال والاستفهام ، وإثارة الخاطر ، وأسلوب الترغيب والترهيب ، وأساليب التحذير ، والإغراء ، والنداء ، والإشارة والإحياء ، والسرد والقصص ، والجدال والمثال والقسم .
أما عن الوسائل التعليمية فقد استفز الحواسَّ جميعها للنظر والتأمل والسمع والوعي ، واعتبر تعطيلها وعدم تشغيلها نوعا من الارتكاس في البهيمة ."[١]

ولا شك أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث معلما ميسرا، انطلق من معين الوحي ومنهجه معلما لأصحابه ، ومستخدما لكل الوسائل والأساليب التي عرض لها القرآن ، وحاول استخدام الأساليب المتاحة وتوظيفها لصالح تعميق المعاني والمعارف ، فاستخدم أخبار الأمم السابقة ، فكثيرا ما كان يقول : (كان فيمن كان قبلكم ...) والنظر في المقدمات وما تورثه من نتائج ، و النظر في المستقبل والتحضير له بقوله : (سيأتي على الناس ...) ، كما استخدم الصور الحسية في تأكيد المعاني المجردة وتثبيتها ، فكثيرا ما كان يقول : (أرأيتم لو أن ...كذا) ، كما استخدم المقايسة والمقارنة : (...أرأيت لو كان عليها دين ، أكنت تقضينه ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله أحق بالقضاء) كما استخدم طرح السؤال والاستفهام ،لإثارة الذهن وتحضير قابلية التلقي بكل مكوناتها ، وكان حواره التعليمي مع الملك المتمثل بصورة بشر لتأكيد بعض المعاني أنموذجا لأساليب التعليم المتقدمة جدا في العملية التعليمية بشكل عام [٢].

أما عن استخدامه عليه الصلاة والسلام للوسائل التعليمية فقد استخدم مجموعة من الوسائل التي تتناسب مع مقتضيات الموقف التعليمي ، وفي حدود الإمكانات المتاحة حينئذ ." ومن الوسائل التي استخدمها الرسول عليه السلام : الإشارة بالأصابع ، والإشارة باليد ، والإشارة باليدين معا ، والتشبيك بين الأصابع ، والإشارة إلى الوجه والكفين ، والإشارة إلى الفم ، والإشارة إلى الحلق ، والإشارة إلى اللسان ، والإشارة إلى السمع والبصر ، والإشارة إلى الصدر ، واستخدام الحصى ، والعصا ، والرسم

---

١ حسنة ـ تقديم كتاب استخدام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوسائل التعليمية ـ ص١٩-٢١ .

٢ انظر حسنة ـ تقديم كتاب استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الوسائل التعليمية ـ ص٢٢ ـ ٢٣

على الأرض ، والعروض والتوضيحات العملية ، واستخدام الأشياء الحقيقية في البيان" ١.

وإذا كان الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم قد استخدم أساليب ووسائل تعليمية في تعليم الكبار ، فإنه من البديهي أن الصغار أشد حاجة إليها ؛ لأنه يصعب عليهم إدراك المفاهيم المجردة دون استخدام وسائل تساعدهم في الفهم والإدراك وتعينهم على التركيز والانتباه لشرح المعلم والتفاعل الإيجابي معه ، ولذلك فإن على المعلمين الحرص على توظيف الوسائل والأساليب النافعة أثناء أدائهم لعملهم خدمة لأهدافهم وتشويقا لسامعيهم وتوفيرا لوقتهم ، وقبل ذلك كله تأسيا بنبيهم صلى الله عليه وسلم . هذا وينبغي الاستعانة بالتقنيات الحديثة في تصميم وعرض الوسائل التعليمية وبالذات الحاسب الآلي الذي يمتلك إمكانات هائلة تساعد على تصميم وتطوير وعرض وسائل بديعة وشيقة . ٢

الفرع الثاني : التدرج في التعليم :

التدرج في طرح المحتوى الدراسي ، والبناء التراكمي يساعد الطالب على الفهم والاستيعاب والحفظ ، ويعينه على الاحتفاظ بالمادة العلمية لأطول زمن ممكن ، كما يعين على سهولة التطبيق في المواد التطبيقية . ومن أنواع التدرج المطلوبة من المعلمين ، الانتقال من المشاهد إلى الغائب ، والمحسوس إلى المجرد والانتقال من الجزء إلى الكل ، ومن البسيط إلى المركب ومن السهل إلى الصعب ومن القريب إلى الذهن إلى البعيد عنه ، ومما هو متصور عقلا إلى ما قد لا يتصوره العقل .

وقد شرعت معظم الأحكام الشرعية فرضا كالصلاة أو تحريما كتحريم الخمر بطريق التدرج ، كما تميزت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالتدرج ، ومن ذلك ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ

---

١ البشاري - حسن بن علي - استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم الوسائل التعليمية - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد ٧٧ - ١٤٢١هـ - ص ١٥٢

٢ انظر البشاري - استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم الوسائل التعليمية - ص ١٣٧

عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : (ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَأَنِّـي رَسُولُ اللَّـهِ ، فَـإِنْ هُـمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ ، فَـإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِـهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِـهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)١، والتدرج والانتقال من الأهم إلى المهم واضح في إرشاده صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه .

ومن تدرجه صلى الله عليه وسلم أيضا ما روته عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْجَدْرِ٢ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْـتُ : فَمَـا لَـهُمْ لَـمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَ : إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمْ النَّفَقَةُ ، قُلْتُ : فَمَا شَـأْنُ بَابِـهِ مُرْتَفِعًا ؟ قَالَ فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَـنْ شَـاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَـاءُوا ، وَلَوْلَـا أَنَّ قَوْمَـكِ حَدِيـثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِـرَ قُلُوبُـهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَـدْرَ فِـي الْبَيْـتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَـهُ بِالْأَرْضِ)٣ فأراد صلى الله عليه وسلم أن يبني الإيمان في قلوب القوم ثم يـأمرهم بعد ذلك بما لم تتصوره عقولهم ابتداء.

وقد أشار ابن حجر في الفتح إلى أهمية التـدرج بقولـه : " فـإن التعليـم بـالتدرج أخـف مؤنة وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكد والمغالبة " ٤.

الفرع الثالث : عدم الإثقال على الطلاب :

اهتمام المعلم وسعيه لاستغلال كل دقيقة لحشو المعلومات فـي عقـل الطـالب أو شرح جديد أو تذكير بقديم ، مدعاة إلى الملل عند الطالب، وخصوصا إذا كان الأسلوب المتبع في التدريس أسلوبا تلقينيا لا يعتمد المناقشة والحوار بين المدرس وطلابه .

لذلك كان من قواعد الرفق أن لا يثقل المعلم في المحتوى الدراسي ، وأن يكتفي فيه بما يحقق الفائدة ، مراعيا في ذلك الوقت المناسـب وسـاعات النشـاط الذهنـي عنـد الطلبـة.

---

١ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة ـ ح ١٣٣١

٢ الجدر : حجر إسماعيل .

٣ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الحج ـ باب فضل مكة وبنيانها ـ ح ١٥٠٧

٤ ابن حجر ـ فتح الباري ـ ٢٢٨/١١

وبذلك يحدث التوازن بين التطويل الذي يبعث على السأم والملل ، وبين الاختصار الذي قد يخل ببنية التعليم .١

وقد حرص صلى الله عليه وسلم على عدم الإثقال على أصحابه في الموعظة رغم ما كان يمتاز به من محبة في قلوبهم وأسلوب حسن في مخاطبتهم ، ودليل ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة والملل فقال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)٢ ، وعلق ابن حجر على هذه الرواية بقوله : وفيه رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل ٣.

الفرع الرابع : التقييم والتعزيز :

إذا فرغ المعلم من شرح الدرس فلا بأس من طرح مسائل تتعلق به على الطلبة، يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم ، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإصابة في جوابه شكره ، ومن لم يفهمه تلطف في إعادته له . والمقصود بطرح الأسئلة أن الطالب ربما استحيا من قوله : لم أفهم ، إما لرفع كلفة الإعادة عن المعلم ، أو لضيق الوقت ، أو حياء من الحاضرين . وليس من الرفق أن يسأل المعلم الطالب فيقول : هل فهمت ؟ إلا إذا أمن من قوله نعم قبل أن يفهم ، فإن لم يأمن من كذبه لحياء أو غيره ، فلا يسأله عن فهمه ، لأنه ربما يقع في الكذب بقوله نعم لما ذكرنا من الأسباب ٤.

ويحسن بالمعلم أن يظهر تميز من أبدع من الطلاب تنشيطا له ولغيره وبعثا للطلاب للاتصاف بما أتصف به من الإبداع ، كما يحسن بالمعلم أن يستخدم الأساليب التي من شأنها إكرام المتفوقين ، كالشكر أو الزيادة في العلامة أو الجائزة المادية أو غيرها مما يعزز السلوك الإيجابي لدى المتعلمين ، وفي مقابل ذلك فلا بأس من

---

١ انظر إسماعيل ـ اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي ـ ص١١٠

٢ رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب العلم ـ باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ـ ح ٦٨

٣ ابن حجر ـ فتح الباري ـ ٢٢٨/١١

٤ انظر علي ـ أدب العلماء والمتعلمين ـ ص٥٢

استخدام أساليب العقاب المختلفة لمن تكرر تقصيره في أدائه الدراسي ، على أن لا يتجاوز العقاب الحدود والضوابط الشرعية [1] وأن يكون كالملح للطعام .

المطلب الثالث | تحقيق الرفق من خلال المحتوى الدراسي |

قمة الرفق بالطالب تكون في مراعاة المحتوى الدراسي لقدراته العقلية ولثقافته الدينية والاجتماعية التي نشأ وتربى عليها ، وإلا وقع الطالب في اضطراب وضيق وحرج يؤدي إلى إحداث خلل نفسي وسلوكي في حياته العملية .
وحتى يكون المحتوى الدراسي مناسبا للطالب لابد أن يراعى فيه مناسبته لعقله بحيث لا يكون أكبر مما يفهمه ويستوعبه ، ولا يضم تناقضا وتضاربا - في ذاته أو مع الواقع - يسبب المشقة للطالب .

ونستدل على ضرورة التناسب بين المحتوى وعقل الطالب بما جاء في وصف القرآن الكريم - منهج المسلمين الأعظم - : ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ))[2] " فهو سهل التناول ميسر الإدراك ، فيه جاذبية ليُقرأ ويتدبر ، فيه جاذبية الصدق والبساطة وموافقة الفطرة واستجاشة الطبع ، كلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد ، وكلما صحبته النفس زادت له ألفة وبه أنسا "[3].
وقد ورد في الآثار ما يدل على هذه الضرورة فقال علي بن أبي طالب : (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)[4] وقال ابن مسعود : (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)[5]

---

[1] وقد تعرضت للحديث عن هذه الحدود في المبحث الأول من هذا الفصل .
[2] القمر (١٧) (٢٢) (٣٢) (٤٠)
[3] قطب - في ظلال القرآن - ٣٤٣١/٦ .
[4] رواه البخاري في الصحيح - كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا - ح ١٢٧ .
[5] رواه مسلم في الصحيح - المقدمة - حدثني أبو الطاهر وحرملة بن يحيى .

وعلى هذا النهج كان أئمتنا الأعلام الذين حفظ الله بهم الدين والعلم ، فإنهم كانوا يفقهون الأحكام ويستنبطوها من النصوص ، وكانوا يفقهون أحوال الناس وقدراتهم فيخاطبوهم بما يفهمون ويستنبطون ما يناسب عقولهم وأفهامهم ١ .

ومن هؤلاء الأعلام الإمام الغزالي الذي أشار إلى هذه المسألة في توجيهه للمعلم ، فأرشده " أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله - وأضاف - أنه لا ينبغي أن يفشى العالم كل ما يعلم إلى كل أحد ، هذا إن كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به ، فكيف فيمن لا يفهمه ؟! ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار " ٢

ولتتم الفائدة من هذا المطلب أقدم هنا مجموعة من المقترحات تساعد في المقاربة بين المحتوى الدراسي ومستوى عقول الطلبة في النظام التعليمي الإسلامي المقترح ٣:

أولا : الأخذ بنظام التخصص :

عندما اقترح المودودي منهجا جديدا للتربية والتعليم جعل ما يميز هذا المنهج الأخذ بنظام التخصص والتخلي عن فكرة حشد العلوم في عقل الطالب ؛ بقصد إمداده بالوسائل اللازمة لإصدار أحكام صحيحة في كافة ما يعترضه من مشاكل الحياة ، معللا ذلك بأن الأخذ بنصيب قليل من المعرفة عن كل علم لا يعطي الطالب الفرصة

---

١ انظر الزبير - عبد الله عبد الرحمن - دعوة الجماهير ،مكونات الخطاب ووسائل التسديد - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد ٧٦ - ١٤٢١هـ - ص ١٠٨ .

٢ الغزالي - إحياء علوم الدين - ٧٦/١ .

٣ هذه المقترحات مأخوذة من كتابي [المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم] و [دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي] لأبي الأعلى المودودي المفكر الهندي الأصل / ومؤسس الجماعة الإسلامية في الباكستان / ت(١٩٧٩م) ،وكتاب [في سبيل نظام تعليمي إسلامي معاصر] للأستاذ مروان القيسي المدرس في قسم الدراسات الإسلامية / جامعة اليرموك / الأردن .

ليحيط بكافة العلوم ، لهذا كان من الأصوب أن يتلقى الطالب منهاجا عاما في عشر السنين الأولى من عمره بحيث يتعلم :

أ ـ ما هو ضروري من تاريخ الإنسان وحياته ، والأرض والكون من وجهة نظر الإسلام .

ب ـ اللغة العربية .

ج ـ بعض اللغات الأوروبية مما يتيح له الاغتراف من كنوز العلوم والمعارف المكتوبة بهذه اللغات ودراستها وتمحيصها .

أما في المرحلة التالية لهذه المرحلة (ست أو سبع سنوات) فيتخصص الطالب في المادة التي يختارها بحيث يجتاز في نهايتها امتحانا يمنح بموجبه (إجازة) في المادة التي تخصص فيها . ١

أما الأستاذ القيسي فأشار إلى ضرورة أن تختصر سنوات الدراسة قبل الجامعية إلى نحو تسع سنين أو ثمانية ، بدلا من اثنتي عشرة سنة ، وأن يبدأ التخصص قبل الدراسة الجامعية ، وربما لسنتين أو ثلاث سنين ، بحيث يكون هذا الأمر ممكنا بعد حذف كثير من المواد غير الضرورية . وأضاف أن مسألة التقليل من سنوات الدراسة بحيث يتخرج الطالب في سن مبكرة مزودا بالمعلومات النظرية والخبرات العملية والتدريب الكافي قضية في غاية الأهمية ، ذلك أن التأخر في ذلك يؤدي إلى التأخر في الزواج وما يترتب على هذا من آثار نفسية واجتماعية خطيرة .٢

١انظر المودودي ـ أبو الأعلى ـ المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم ـ جمع وتقديم وتعليق محمود مهدي الإستنبولي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ـ ص٢٥-٢٧ .

٢انظر القيسي ـ مروان إبراهيم ـ في سبيل نظام تعليمي إسلامي معاصر ـ دار البيارق ـ عمان ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ـ ص٧٧.

ثانيا : تضييق الثغرة بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة :

ذكر المودودي أن الهدف من منهجه الجديد هو تضييق الثغرة القائمة بين العلوم الدينية وسائر العلوم الحديثة ومزجها معا لتكون وحدة واحدة متجانسة لها خصائصها ومميزاتها ، وفي الحقيقة أن تقسيم العلوم إلى دينية وأخرى دنيوية يقوم على أساس نظرية الفصل بين الدين والحياة ، وتعتبر مثل هذه النظرية متعارضة تعارضا تاما مع الإسلام الحنيف . لذلك قال المودودي أنه حسب منهجه الجديد ستتحول العلوم كافة إلى علوم دينية تحقق الحياة السعيدة للمجموعة البشرية وفق تعاليم السماء.

فعلى الطفل في المراحل الأولى من حياته المدرسية أن يتعلم :

ـ أن هذا الكون هو ملك الله سبحانه وتعالى .

ـ أن آيات الله الدالة عليه الشاهدة بقدرته ظاهرة للعيان في الإنسان كما هي في الكون

ـ أن الإنسان إذا سقطت غشاوات الضلالة عن عينيه يستطيع أن يتعرّف على مظاهر الحكمة الإلهية والقوة الربانية ، وأن يهتدي بعد طول ضلال أنه وكل شئ في هذا الكون منسوب إلى الله العلي القدير .

ـ أن الإنسان مهما بلغت قوته ومهما قهر قوى الطبيعة وسخرها فهو عبد الله المنعم ، فحري به أن يستخدم هذه النعم وفق إرادة الله .

ـ أن الإنسان مسؤول عن عمله بين يدي الله وأنه سيلقى عليه الجزاء الأوفى .

أما في المراحل التي تلي هذه المرحلة فيجب :

ـ تقديم العلوم والمكتشفات الحديثة والبراهين العلمية من وجهة نظر الإسلام إلى الطبيعة وإلى الكون والحياة .

ـ تقديم النظريات الخاطئة ، وبيان أن أصحاب هذه النظريات هم الذين تنكبوا طريق البحث العلمي تحت مصباح الحقيقة العظمى القائلة بان الله مصدر كل شئ واليه المعاد.

فإذا تم ذلك تحققت الغاية التي نبغيها من تحويل العلوم كلها إلى دينية بهذا المعنى الشامل ، ولا تكون ثمة ضرورة إلى اعتبار العلوم الدينية شيئا منفصلا عن العلوم الأخرى لأنها تكون حينئذ ممتزجة بها ومهيمنة عليها . [1]

---

[1] انظر المودودي ـ المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم ـ ص٢٣-٢٥.

وقد أشار الأستاذ القيسي إلى مثل هذه الأفكار تحت مسمى :[أسلمة العلوم والمعارف والآداب] وقال : إن تحقيق ذلك أمر ميسور وسهل وعمل لا يحتاج للوقت والجهد كما تصور ذلك كثير من المعاصرين ، وباختصار فإنه يتطلب :

أ- حذف كل ما يتعارض مع العقيدة والشريعة من نظريات ، ولا أقول حقائق ، لأن الإسلام لم يتعارض مع حقيقة علمية .

ب- تتبع ألفاظ الكفر وإبدالها بألفاظ صحيحة ، فالغربيون يستعملون كلمة (طبيعة) بدلا من الخالق أو الله جل جلاله.

ج. لفت أنظار الطلبة في الكتب - التي يعاد تأليفها - إلى :

- مطابقة العلم للدين وسبق الدين للعلم في كثير من الأمور العلمية .

- لفت النظر إلى مسؤولية الإنسان نحو نعم الله والمحافظة عليها.

- ربط العلوم بأسماء الله وصفاته ، وكل شيء في الكون له ارتباط بصفة من صفات الله كالرحمة أو العلم أو الحكمة أو القدرة ...

- إعطاء صفة دينية لعناوين الكتب وعناوين الفصول والأبواب . فمثلا علم الأحياء يمكن أن يكون آيات الله الكونية في الأحياء ،وبديع صنع الله في الكيمياء .

د - أما أسلمة الأدب فتعتمد على أسلمة غايته ومضمونه ومقدار خدمته لقضايا الأمة المتنوعة ، وإسهامه في نشر الدين والتوحيد وتصحيح المفاهيم ونشر الفضائل .[1]

ثالثا : إزالة النقائص الموجودة في نظام التعليم والتربية[2] :

انتشر القول بأن العلوم التجريبية علوم عالمية لا تنحاز لدين من الأديان ! وهذه غلطة كبيرة وجهل فاحش . إن العلوم التجريبية لها ناحيتان :

الناحية الأولى : عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التي تعرف عليها الإنسان بعد الاختبار والتجربة والمشاهدة ، وهذه الناحية لا شك في كونها عالمية .

---

١ انظر القيسي - في سبيل نظام تعليمي إسلامي معاصر - ص٧٨ .

٢ انظر المودودي - أبو الأعلى - دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي - الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية - الكويت - د.ط - ١٩٧٧م - ص٢٩ بتصرف

والناحية الثانية : تتمثل في العقلية التي تدون هذه الحقائق والمعلومات وتضع على أساسها النظريات ، كما تتمثل الناحية الثانية في اللغة التي تختارها هذه العقلية كأداة للتعبير عن هذه النظريات ، فهذه الناحية ليست شيئا عالميا .

ونحن إذا دعونا إلى التغيير في العلوم التجريبية لا نريد الناحية الأولى ، وإنما نريد الناحية الثانية فقط ، ونضرب مثالا لتوضيح ذلك :

هناك ظاهرة علمية ملخصها (أن كل شئ في العالم حينما يبرد يتقلص إلا الماء فإنه إذا تجمد امتد وإذا تحول إلى ثلج يخف وزنا، ولهذا السبب يطفو على سطح الماء) وهذا علم يدل عليه الواقع العلمي أو التجريبي .

فإذا أردنا تعليل هذه الظاهر ؛ نجد تعليلا وضعيا وآخر إسلاميا :

التعليل الأول (الوضعي) : إن هذا من خصائص الماء وهذا واقعه .

التعليل الثاني : (الإسلامي) : إن الله أودع هذه الخاصية في الماء بحكمته البالغة وربوبيته الشاملة لكي يستطيع أن يعيش ما في الأحواض من مخلوقات ، ولو لم يعط الماء هذه الخاصية لرسب في الأسفل كلما تجمد وتحولت بذلك الأنهار والبحار إلى صخور من الثلوج المتراكمة وما استطاع كائن حي من العيش فيها .

وينسحب هذا المثال على غيره من الأمثلة الكثيرة في مناهجنا المدرسية ، ولذلك كان لا بد للحكومات الإسلامية أن تبادر إلى إنشاء مؤسسة تقوم بتبديل الترتيب التأليفي الحاضر للعلوم والفنون ، وتضع كتبا منهجية جديدة تدون فيها العلوم والآداب حسب الفكرة الإسلامية .

رابعا : إجراء مجموعة من الإصلاحات المرتبطة بالمحتوى الدراسي في أنظمة المدارس والجامعات والمعاهد أهمها [١] :

١- حذف كثير من المواد التي لا يفيد منها الطالب وتكون على حساب عمره وجهده ، فالعلوم والآداب كلها ليست أساسية ، وليست كل الكتب في العلوم الأساسية أساسية ، فطلبتنا يتعلمون كما هائلا لا نفع في أكثره لهم في حياتهم ، كما أن كثيرا مما يتعلمونه لن يفيدهم في تخصصهم .

---

١ القيسي - في سبيل نظام تعليمي إسلامي معاصر - - ص٧٧ - ٧٩ .

٢- إصلاح دروس التربية الدينية وزيادة حصصها وتأليف مقرراتها وفق عقيدة السلف وفقه الكتاب والسنة ودون تضمينها الخلافات المذهبية ، وأن لا تكون وفق مذهب معين، كما ينبغي أن تتصف بسمات القبول والسرور لدى الطلبة بعدم زيادة حجمها وبأسلوبها المبسط . وأن يكون إلقاء حصص التربية الدينية في أول النهار ومع نشاط الطلبة .

٣- الحد من الصفة النظرية للتدريس في المدارس ، والعمل على أن تكون الصفة التطبيقية هي الغالبة ، ولا يقتصر هذا على العلوم وما تتطلبه من ضرورة تدريسها في المختبرات ، بل إنه يشمل اللغة وتطبيقها ودروس التربية الدينية ، ويمكن إنشاء مختبرات لتعليم التجويد، ومعرض دائم تعرض فيه الأشياء التي ذكرت في القرآن والسنة ما أمكن إلى ذلك سبيلا .

٤- العمل على إعداد الطالب للحياة العملية ، فيدرب التلاميذ وهم في الصفوف الابتدائية الأولى على السير في الطريق وأصوله مثلا بشكل عملي ، وعلى استخدام المرافق . . . كما ينبغي أن لا يتم الطالب دراسته الثانوية إلا وهو مؤهل علميا لإقامة أسرة ، وينبغي أن تتضمن المناهج أمورا مناسبة وضرورية للفتيات كالتدبير المنزلي وكيفية معاملة الأزواج والاقتصاد المنزلي .

وبعد كل ذلك لا بدّ من تضمين المحتوى الدراسي لمجموعة من الدروس ، يتبين من خلالها أهمية الرفق وفضله وضرورة الالتزام به ، وكيف يمكن أن يكون سلوكا عمليا، على أن يراعى في هذه الدروس التوزيع على جميع السنوات الدراسية للطالب ، والتدرج بحيث تبدأ في السنوات الدراسية الأولى من خلال القصة وضرب المثال ، وتنتهي في السنوات المتأخرة بالطرح العقلي المجرد .

أهم ما تضمنه الفصل :

- التأثير في الأسرة لا يتم بطريق التلقين وحده ، وإنما يكون للقدوة دورها كذلك، بل إن دور القدوة يفوق دور التلقين .
- أفضل أنواع الرفق يأتي من التفكير والإحساس الصادق تجاه الآخرين ، لأننا إذا فهمنا حاجات الآخرين واحترمنا رغباتهم فإننا سنكون أكثر تقديراً ومراعاة لهم.
- اللطف والرفق لا يعني أبداً التذلل أو الخضوع للناس ، أو عدم مطالبة الإنسان بحقوقه وماله عند الآخرين ، وإنما هو الحكمة والتفكير ، والقدرة على التأثير بالناس وعلى ترك مشاعر طيبة فيهم .
- الحاجة إلى الرفق لا تبرز حين نكون فرحين بذكاء أطفالنا وتفوقهم وحسن إدراكهم للأمور أو حسن تصرفهم مع الآخرين ، ولكنها تبرز حين يبدو الطفل غبيا أو مقصرا في الفهم والتحصيل ، أو حين يبدو عليه مظهر من مظاهر التمرد والعصيان ، أو حين يتصرف تصرفا سيئا سبق أن نُهي عنه .
- العنف يحطم الشخصية ، ويفقد الإنسان الثقة في نفسه ، ويورثه كره الذين يمارسونه معه ، ولا ينشئ إلا إنسانا جبانا ، يطيع رهبة وخوفا لا رغبة وحبا ، وينفذ ما يؤمر به خوفا من العقاب لا اقتناعا بجدوى الصواب .
- إشعار المسن بقيمته ، والاهتمام برأيه والاستفادة من خبرته ، وإظهار الاحترام والتقدير له ، و تلمس احتياجاته وتوفيرها له قبل أن يطلبها، وتقدير عمل الزوجة ومعاملتها معاملة طيبة ، كلها عوامل تساعد في تنشئة الأبناء على الرفق .
- الاتساع في الحلم ومجاراة المخطئ بالترك ، والأخذ عليه بالفضل يؤدي إلى ضروب من الفساد ، فيصير معها ترك الحلم حلما والبعد عن الرفق رفقا ، والعمل بالحزم رحمة ، ويصبح العقاب ضرورة لازمة وأمرا واجبا ، ولكن بشروط وضوابط محددة .
- الشفقة على الطالب ومعاملته معاملة الابن ، و التبسم في وجهه وعدم الاحتجاب عنه والتواضع وخفض الجناح له ، و مراعاة الجانب النفسي عنده ، و الحلم عليه خصوصا عند جهله ، عوامل مهمة في تنشئة الطالب على الرفق .

- التنوّع في الأساليب والوسائل التعليمية ، والتدرج في التعليم ، وعدم الإثقال على الطالب ، والتقييم والتعزيز ، امور لا بد منها للتيسير على الطالب رفقا به.
- مراعاة المحتوي الدراسي لقدرات الطالب العقلية ولثقافته الدينية والاجتماعية يشكل قمة الرفق بالطالب ، ولذلك وجب الكيل للطالب بمعيار عقله والوزن له بميزان فهمه، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار .
- الأخذ بنظام التخصص ، وتضييق الثغرة بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة وأسلمة العلوم والمعارف والآداب ، وإجراء الإصلاحات في نظام التعليم ، وإزالة النقائص الموجودة فيه ، عوامل تساعد في المقاربة بين المحتوى الدراسي ومستوى عقول الطلبة .
- تعاضد المؤسسات التعليمية في نشر مبدأ الرفق يجعل من الرفق منظومة اجتماعية يشارك في ادائها جميع أفراد المجتمع ، و تصل آثارها إلى كل فرد من أفراده .

الخاتمة :

في نهاية هذه الدراسة نعرض إلى أهم النتائج والتوصيات التي وصل إليها الباحث :

أهم النتائج :

- يعرف الرفق بأنه : كل أصل يدل على اليسر والسهولة واللين والبعد عن العنف بما لا يصل إلى حد الاستهانة والضعف .
- أهم مظاهر الرفق في الإسلام تتمثل باتصاف الخالق عز وجل بالرفق، وإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، وتكريم الإنسان بالعقل سبيل الهداية ومناط التكليف ، وفتح أبواب التوبة في الدنيا والمغفرة والشفاعة في الآخرة ، وبناء مقاصد الشريعة على قاعدة الرفق .
- من أهم الآثار النفسية لمعرفة مظاهر الرفق في الإسلام : الشعور بالسكن والراحة والطمأنينة وبالسعادة والأمن النفسي ، وتقوية روح الأمل والتفاؤل ولبعد عن الجزع أو الهروب من الواقع ، والتخلص من الأمراض النفسية ومن الضيق عند البلاء ، والتوازن في الشخصية والراحة من مرارة الحقد ، التخلص من الشعور بالذنب ومن الذل لغير الله ، وبناء روح محبة الخير للآخرين وتعزيز مبدأالإيجابية في التعامل معهم .
- ينتج عن معرفة مظاهر الرفق في الإسلام مجموعة من القواعد السلوكية أهمها : التخلق بالرفق تأثرا برفق الله ورسوله ورسالته ، وبناء السلوك الإنساني على قاعدة دفع المشقة ، وضرورة التزام جميع المكلفين بالرفق سلوكا عمليا بالإضافة إلى الإيمان بإمكانية التطبيق العملي لهذا السلوك . كما ينتج عن الإيمان برفق الله مجموعة من الآثار الإجتماعية مثل تماسك المجتمع وتراحمه وإقامة المعاملة فيه على التسامح والود والعطاء .
- من أهم المجالات التطبيقية التي ينعكس التصور الصحيح لمفهوم الرفق ومظاهره من خلالها : الرفق بالنفس والرفق بالحيوان ورفق الراعي بالرعية والداعي في الدعوة ، الرفق في مجال الأسرة وفي مجال العلاقات الإجتماعية والرفق بالمشركين .

- للأسرة دور كبير في تنشئة الأفراد على سلوك الرفق من خلال القدوة الحسنة ، واستخدام الرفق سلوكا دائما في أثناء التربية ، وتعليم الأبناء قواعد الرفق منذ الصغر ، ومعرفة مدى الحاجة إلى عقاب الأبناء .
- دور المدرسة في تنشئة الأفراد على الرفق يكون من خلال التعامل الرفيق مع الطلاب ، واستخدام وسائل وأساليب تعليمية ترفق بالطلاب ، وتحقيق الرفق في المحتوى الدراسي .

التوصيات :

- إجراء دراسة ميدانية تطبيقية تقارن بين استخدام المعلم للأسلوب الرفيق والأساليب والوسائل التعليمية الحديثة والمنهاج قليل المحتوى ، وبين استخدام الأساليب التقليدية من المعاملة ووسائل الشرح والمنهاج التقليدي .
- القيام بدراسات تربوية مشابهة يدرس من خلالها الآثار والتطبيقات التربوية لبعض المبادئ والقيم الإسلامية كالتقوى ، والمراقبة ، والوسطية وغيرها .
- إعداد دورات تدريبية للمعلمين ، ودورات تثقيفية للآباء والأمهات ، يُبيَّن من خلالها كيفية الوصول إلى تصور كامل متناغم من الرفق ونبذ العنف ، مع تفصيل أساليب التربية المتعددة وبيان أن العقاب هو أحد هذه الأساليب وليس أهمها .
- إعادة صياغة المناهج المدرسية والجامعية بصيغ تضمن إيصال الفكرة بصورة سهلة ميسرة ، مع مراعاة أسلمة هذه المناهج واستبعاد الأفكار التي تحدث تضاربا في عقول الطلاب .

الفهـارس

فهرس الآيـات

فهرس الأحـاديـث

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ	١٦٤	٥٨
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ	١٨٢	١٢٠
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٩١	٦٨
٤ النساء		
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ	١	١٤٢
وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ	٢	١٤٦
وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا	٦	١٤٦
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا	١٠	١٤٦
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ	١٩	١٣٣،١٣٢
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا	٢٨	٨١،٥١
وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا	٢٩	٢٣
الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ... وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ	٣٤	،١٣٢،١٣١، ١٣٣
وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا	٣٦	١٢٨
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	٥٨	١١٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	٥٩	١١٧
وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ	٦٤	٧٤
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ	٦٩	١٣
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ	٨٣	١١٧
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ	١٢٨	٨٧
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ	١٣٥	١١٩
٥ المائدة		
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ...مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ	٦	،٨١،٧٨،٢٥ ٨٨
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ	٨	١١٩
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ	٤٤	١١٥
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	٤٥	١١٥
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	٤٧	١١٥

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	٧٧	٨٩
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا	٨٧	١٠٧
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ	٨٩	١٤٣
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ	٩٥	١٤٣
٦ الأنعام		
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ	٥٠	٦٨
فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ	١٤٧	٢٧،٥٣
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ٠٠٠ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ٠٠٠ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	١٥١	٦٧،١٢٨،١٤٠
٧ الأعراف		
وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ	١٤٢	٧٩
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	١٥٦	٢٧،٥٣
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا	١٧٩	٦٧
٨ الأنفال		
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ	٣٣	٧٥
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ	٣٩	١٥٥
٩ التوبة		
وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ	٦١	٢٨
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً	١٢٢	٧١
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ	١٢٨	٥٩،٨٧،٢٨
١٠ يونس		
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	١٦	٦٧
إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٤٤	١٢٠
١١ هود		
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ	٨٨	٧٩
((إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ	١١٤	٧٥

١٢ يوسف		
وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ	١٠٠	٢٧
١٥ الحجر		
فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ	٨٥	٦٢
لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ ... وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ	٨٨	٢٧، ٦٠، ١٨٠
١٦ النحل		
وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ	٥	١٠٩، ١٦٠
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ .	٦	١٠٩، ١٦٠
وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ	٧	١٠٩، ١٦٠
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	٨	١٠٩، ١٦٠
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا.	٩١	١٥٢
ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	١٢٥	١٢١
١٧ الإسراء		
وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ	٢٣	١٢٧، ١٢٨
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ	٢٤	١٢٨، ١٢٩
وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا	٢٨	٢٨
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ	٣١	١٤٠
١٨ الكهف		
فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا	٦	١٥٠
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ... وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا	١٦	١٢، ٢٦
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا	٢٩	٢٦
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا	٣١	١٢، ٢٦
وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا	٤٩	١٢٠

٢٩ العنكبوت		
ولا تُجادلوا أهْلَ الْكِتاب إلّا بالّتي هِيَ أحْسَنُ إلّا الّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ	٤٦	١٢٣
٣٠ الروم		
أولَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أنفسِهِمْ	٨	٦٨
وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لكُمْ مِنْ أنفسِكُمْ أزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا	٢١	٢٩
فانظرْ إلى آثار رَحْمَةِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا	٥٠	٥٧
٣١ لقمان		
وَإنْ جَاهَدَاكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا	١٥	١٢٩
٣٣ الأحزاب		
لقدْ كانَ لكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٢١	٩٤
٣٤ سبأ		
قلْ إنّمَا أعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا	٤٦	٦٨
٣٥ فاطر		
ألَمْ تَرَ أنَّ اللّهَ أنْزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ	٢٧	٧٠
٣٩ الزمر		
قلْ يَا عِبَادِيَ الّذِينَ أسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ	٥٣	٥٥
٤٠ غافر		
وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ	٣١	١١٩
٤٢ الشورى		
وَأمِرْتُ لِأعْدِلَ بَيْنَكُمْ	١٥	١١٨
اللّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ	١٩	٢٧
وَهُوَ الّذِي يَقْبَلُ التّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السّيِّئَاتِ	٢٥	٧٣
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأمُورِ	٤٣	٢٩
٤٣ الزخرف		
وَلَئِنْ سَألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأنّى يُؤْفَكُونَ	٨٧	٢٧
وَقِيلِهِ يَارَبِّ إنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ	٨٨	٢٧
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ	٨٩	٢٧

٦٧ الملك		
وقالوا لوْ كُنّا نسْمَعُ أوْ نعْقِلُ مَا كُنّا فِي أصْحَابِ السّعِير	١٠	٦٧
٦٨ القلم		
ن والقلم ومَا يسْطرُونَ	١	٦٩
٦٩ الحاقة		
إنّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ باللّهِ العَظِيم ولَا يَحُضّ عَلى طعَام المِسْكين	٣٤	١٤٣
٧٠ المعارج		
والذِينَ فِي أمْوالِهِمْ حَقّ مَعْلومٌ لِلسّائِلِ والمَحْرُوم	٢٤-٢٥	١٤٣
٧١ نوح		
فقلتُ اسْتغْفِرُوا رَبّكُمْ إنّهُ كَانَ غفّارًا	١٠	٧٥
يُرْسِلْ السّمَاءَ عَليْكُمْ مِدْرَارًا	١١	٧٥
ويُمْدِدْكُمْ بأمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلْ لكُمْ أنْهَارًا	١٢	٧٥
رَبّ اغْفِرْ لِي ولِوالِدَيّ ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا	٢٨	١٢٩
٧٦ الإنسان		
إنّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولَا شُكُورًا	٩	١٤٤
إنّا نَخَافُ مِنْ رَبّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا	١٠	١٤٤
فوَقاهُمْ اللّهُ شَرّ ذلِكَ اليَوْمِ ولَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا	١١	١٤٤
٨١ التكوير		
وإذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بأيّ ذنْبٍ قُتِلَتْ	٩	١٤٠
٨٧ الأعلى		
ونُيَسّرُكَ لِلْيُسْرَى	٨	٦٤
٩١ الشمس		
قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّاهَا	٩-١٠	١٠٣
٩٣ الضحى		
ألمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فآوَى . ووَجَدَكَ ضَالًا فهَدَى	٦-٧	٩٤،١٤٥
فأمّا اليَتِيمَ فلا تَقْهَرْ . وأمّا السّائِلَ فلا تَنْهَرْ	٩-١٠	٩٤

٩٦ العلق		
اقرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الّذي خلقَ . خلقَ الإنسانَ منْ علَـق . اقرَأْ ورَبُّكَ الأكرَمُ . الذي علّمَ بالقلم . علّمَ الإنسانَ ما لمْ يَعلمْ	١-٥	٦٩
١٠٧ الماعون		
أرَأيتَ الّذي يُكذّبُ بالدّين . فذلكَ الّذي يَدُعُّ اليَتيمَ	١-٢	١٤٥

فهرس الأحاديث

إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ	١١٥،٤٤
إنَّ عَبْدًا أصَابَ ذنْبًا فقالَ: رَبِّ أذنَبْتُ فاغْفِرْ لِي ، فقالَ رَبُّهُ: أعَلِمَ عَبْدِي أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذنْبَ وَيَأخُذُ بِهِ ؟ غفرْتُ لِعَبْدِي .	٧٢،٥٥
أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَذْهَبُ إلى الْعَوَالِي كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ فإذا وَجَدَ عَبْدًا فِي عَمَلٍ لا يُطِيقُهُ وَضَعَ عَنْهُ مِنْهُ	٤٥
إنَّ فتًى شَابًّا أتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم فقالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائذنْ لِي بِالزِّنَا ... اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذنْبَهُ وَطَهِّرْ قلبَهُ وَحَصِّنْ فرْجَهُ ، فلمْ يَكُنْ بَعْدُ ذلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إلى شَيْءٍ	١٨١
أنَّ قُرَيْشًا أهَمَّهُمْ شَأنُ الْمَرْأةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فقالُوا : وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟	١٢٣
إنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ ؛ أنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ	٥٣
إنَّ مَثلِي وَمَثلَ مَا بَعَثنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثلِ رَجُلٍ أتَى قوْمَهُ فقالَ يَا قوْمِ إنِّي رَأيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإنِّي أنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ	٦١
أنَّ ملك الموت أتَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فقالَ : يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى فقأ عَيْنِي وَلوْلا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لعَنَفْتُ بِهِ	٢٣
إنَّ هَذا الدِّينَ مَتِينٌ فأوْغِلُوا فِيهِ برفق	١٠٤ ،٣٢
إنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ	١٨١
إنَّك أنْ تذرَ وَرَثتَكَ أغنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أنْ تذرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ	١٤٠
إنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ وَتحْمِلُ الْكَلَّ وَتكْسِبُ	٦٠
إنَّمَا أنَا لكُمْ مِثلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ	١٧٨
إنَّمَا الْأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	٨٧
إنَّهُ مَنْ أعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فقدْ أعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ	٣٤
إنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فلا تَظَالَمُوا	١٢٠
إنِّي لأعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ ، قالَتْ : قُلْتُ وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ	١٣٦
أيُّمَا مُسْلِمٍ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إلى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ	١٤٥

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنْ النَّارِ	١٥١
حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُوسِرًا وَكَانَ	٤٤
خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ	٦٣
خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ لَا وَاللَّهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ وَلَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ	١٤٨،٦٣
خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّى تَمَلُّوا	٦٤
خَرَجَ زَوْجِي فِي طَلَبِ أَعْلَاجٍ لَهُ فَأَدْرَكَهُمْ بِطَرَفِ الْقَدُومِ فَقَتَلُوهُ	٤١
خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلْ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ	١٣٦
خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ	١٤٦
دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا	١١٢
دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ	١٢٠
رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا مَوْسُومَ الْوَجْهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ	١١٢
الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ	٩٤
رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ	١٣٠
رَكِبَتْ عَائِشَةُ بَعِيرًا فَكَانَتْ فِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلَتْ تُرَدِّدُهُ	١٠٩،٣٤
سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ فَقَالَ خُذْهَا فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ	١٢٤
سئلت ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ	١٠٤
سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ : نَعَم	١٨٦
سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضَالَّةِ الْإِبِلِ تَغْشَى حِيَاضِي قَدْ لُطْتُهَا لِإِبِلِي فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ إِنْ سَقَيْتُهَا ؟ ، قَالَ : نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ	١٠٩
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله	١٤٣،١٤٢
السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار	١٤٣
سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ	١٠٤

فهرس المصادر والمراجع

إسماعيل - سعيد إسماعيل علي - اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي - دار الفكر العربي - القاهرة - د٠ط - ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

الأصبحي - مالك بن أنس - الموطأ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - مصر - د٠ط - د٠ت .

الأصفهاني - أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢) - المفردات في غريب القرآن - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - د. ط - د. ت .

أنيس - إبراهيم وآخرون - المعجم الوسيط - دار الفكر - د.م - د.ط - د.ت .

الأهواني - أحمد فؤاد - التربية في الإسلام - دار المعارف - القاهرة - ط١ - ١٩٨٠م .

البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي ت(٢٥٦) - تحقيق مصطفى البغا - دار ابن كثير ودار اليمامة - بيروت - ط٣ - ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

البلالي - عبد الحميد - البيان في مداخل الشيطان - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٦ - ١٩٨٦م .

الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي - ت(٢٧٩) - تحقيق أحمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت - د٠ط - د٠ت .

ابن حجر - أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢) - فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب - دار المعرفة - بيروت د.ط - د.ت .

الحسيني - عبد الحي بن فخر الدين - تهذيب الأخلاق - المكتبة العصرية - صيدا - د٠ط - ١٩٨٠م.

خيشة - عبد المقصود عبد الغني - تهذيب الأخلاق في الإسلام - دار الثقافة العربية - د.م - د.ط - ١٤١٢هـ / ١٩٩١.

الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد - سنن الدارمي - تحقيق فواز زمرلي وخالد العلمي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ - ١٤٠٧هـ .

أبو داود - سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي - سنن أبي داود - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - د٠م - د٠ط - د٠ت .

الدجوي - أحمد سعيد - فتح الخلاق في مكارم الأخلاق - مكتبة دار المحبة - دمشق - د٠ط - ١٩٩١م

الدجوي - يوسف - من أخلاق الإسلام في كتاب الإسلام ومكارم الأخلاق بأقلام عشرة من العلماء - دار الكتاب العربي - د. م - د. ط - د. ت

رشدي ـ ياسين ـ من أخلاقيات الإسلام ـ نهضة مصر ـ مصر ـ د. ط ـ د. ت

رضا ـ محمد رشيد ـ الوحي المحمدي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط١٠ ـ ١٩٨٥م

الزحيلي ـ وهبة ـ الرخص الشرعية أحكامها وضوابطها ـ دار الخير ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤١٣هـ /١٩٩٣م .

الزرقاني ـ محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢) ـ شرح الزرقاني على الموطأ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١١هـ .

سبوك ـ مشاكل الآباء في تربية الأبناء ـ ترجمة منير عامر ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٩٩٩م .

أبو السعود ـ محمد بن علي العمادي ت (٩٥١) ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت .

السيسي ـ عباس ـ الطريق إلى القلوب ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤١٩هـ /١٩٩٨م .

الشجراوي ـ سليمان الصالح ـ الأحاديث الواردة في الرفق ودوره في كسب القلوب ـ رسالة ماجستير في أصول الدين شعبة الحديث النبوي ـ الجامعة الأردنية ـ عمان ـ الأردن ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

الشيباني ـ أحمد بن حنبل أبو عبد الله ت(٢٤١) ـ المسند ـ مؤسسة قرطبة ـ مصر ـ د.ط ـ د.ت .

الصابوني ـ محمد علي ـ صفوة التفاسير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م .

ظهير ـ فضل إلهي ـ من صفات الداعية اللين والرفق ـ إدارة ترجمان الإسلام الباكستان ـ ط٦ ١٤١٧هـ /١٩٩٧م .

ابن عاشور ـ محمد الطاهر ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ـ تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي ـ البصائر للإنتاج العلمي ـ د.م ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ /١٩٩٨ .

بني عامر ـ محمد أمين حسن محمد ـ أساليب الدعوة والإرشاد ـ جامعة اليرموك ـ إربد ـ د.ط ـ ١٩٩٩م .

عبد الباقي ـ محمد فؤاد ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت .

العثيمين ـ محمد بن صالح ـ حقوق دعت إليها الفطرة ـ دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م .

العظيم أبادي ـ محمد شمس الحق أبو الطيب ـ عون المعبود شرح سنن أبي داوود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤١٥هـ .

علي ـ الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد ـ آداب العلماء والمتعلمين ـ الدار اليمنية ـ اليمن ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

عمارة ـ محمد ـ الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق ـ عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت ـ العدد ٨٩ ـ ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

عمران ـ عبد الرحيم ـ تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي ـ صندوق الأمم المتحدة ـ د.م ـ ط١ ـ ١٩٩٤م .

الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد :

ـ إحياء علوم الدين ـ دار الخير ـ دمشق ـ ط٤ ـ ١٤١٧هـ /١٩٩٧م .

ـ إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٤٠٣هـ .

الفيروز أبادي ـ مجد الدين محمد بن يعقوب ـ القاموس المحيط ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٩٨٧م .

القرطبي ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ـ تفسير القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٣٧٢هـ .

القرني ـ عائض بن عبد الله ـ كتاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنك تراه ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

القشيري ـ مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري ت(٢٦١) ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ د٠ط ـ د٠ت .

قطب ـ سيد ـ في ظلال القرآن ـ دار الشروق ـ د٠م ـ ط٩ ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

القيسي ـ مروان إبراهيم ـ في سبيل نظام تعليمي إسلامي معاصر ـ دار البيارق ـ عمان ـ ط١ـ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

ابن كثير ـ أبو الفداء ـ إسماعيل بن عمر الدمشقي ت(٧٧٤) ـ تفسير ابن كثير ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٤٠١هـ .

ابن ماجة ـ محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ـ السنن ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د٠ط ـ د٠ت .

المباركفوري ـ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣) ـ تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت .

المرادي ـ أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني ت (٤٨٩هـ) ـ الإشارة إلى أدب الإمارة تحقيق رضوان السيد ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٨١م .

المغربي ـ عبد القادر ـ الأخلاق والواجبات ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٣٤٤هـ .

المقدسي ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة ت(٧٤٢) ـ مختصر منهاج القاصدين ـ مكتبة أبو بكر أيوب ـ نيجيريا ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

المليجي ـ يعقوب ـ الأخلاق في الإسلام ـ مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الإسكندرية ـ د.ط ـ ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

ابن منظور ـ جمال الدين ـ لسان العرب ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ١ ـ ١٩٠٠م.

المودودي ـ أبو الأعلى :

ـ دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي ـ الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ـ الكويت ـ د.ط ـ ١٩٧٧م .

ـ المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم ـ جمع وتقديم وتعليق محمود مهدي الإستنبولي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ط٢ـ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

الميداني ـ عبد الرحمن حسن حبنكة :

ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها ـ دار العلم ـ دمشق /بيروت ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م

ـ الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ـ مؤسسة الريان ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

النحلاوي ـ عبد الرحمن ـ أصول التربية الإسلامية وأساليبها ـ دار الفكر ـ دمشق ط٢ ـ ١٩٨٣م .

النسائي ـ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ت(٣٠٣) ـ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ـ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ / ١٨٨٦م .

النسفي ـ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ـ تفسير النسفي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت .

النووي ـ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ـ شرح النووي على صحيح مسلم ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩١هـ /١٩٧٢ .

الهاشمي ـ محمد علي ـ شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ـ الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ـ الرياض ـ د.ط ـ د.ت .

اليامي ـ محمد بن سرار آل دعيش ـ الأسس التربوية لإصلاح الذرية ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م .

فهرس المجلات والدوريات

البشاري - حسن بن علي - استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم الوسائل التعليمية - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد ٧٧ - ١٤٢١هـ .

البيانوني - محمد أبو الفتح - القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الإسلامي - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد٨٢ - ١٤٢٢هـ .

حسنة - عمر عبيد - تقديم كتاب استخدام الرسول - صلى الله عليه وسلم - الوسائل التعليمية - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد٧٧ - ١٤٢١هـ .

خشيل - صالح بن عامر - رعاية المسن واجب شرعي - مجلة الأسرة - السعودية - العدد ١٠٥ - ١٤٢٢هـ .

خليل - معمر فوزي وآخرون - كنوز منسية - الأسرة - السعودية - العدد ١٠٥ - السنة التاسعة ١٤٢٢هـ .

الزبير - عبد الله عبد الرحمن - دعوة الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد - كتاب الأمة - قطر - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - العدد ٧٦ - ١٤٢١هـ

الزحيلي - محمد - مقاصد الشريعة أساس حقوق الإنسان - في حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة - كتاب الأمة - وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية - العدد٨٧ - ١٤٢٣هـ .

أبو زهرة - محمد - الرفق الرفق - لواء الإسلام العدد ١٠ - ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

الكثيري - ابتسام - ما خالط الرفق شيئا إلا زانه - منار الإسلام العدد ١٤٢١/٦هـ/٢٠٠٠م .

أبو النور - محمد الأحمدي - من معين الأسوة الحسنة الرفق بالخدم - الفيصل العدد ١٩٥ / ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

ياسين - فكري - الرفق في العبادة - مجلة الأزهر العدد ١٣٦٧/٧هـ .

--- - الإدارة بالإرادة / إدارة تربوية - المعرفة العدد ٥٧ - ١٤٢٠هـ .

Abstract summary

Kindness

and its educational effects on the individual and society

Prepared by:

Mohammed Husni Mohammed Mousa

Under the supervision of:

Dr Mohammed Abdul rahman Altwalbeh –legal supervisor

Dr Qasim Mohammed Sammour – educational supervisor

According to our prophet's true speech – peace be upon him – describing Allah as kind also telling us that He likes kindness, is contented of it and helps doing it. and it was approved that kindness was the main character of our prophet and it was description of his message –peace be upon him . also he ordered his nation to adopt this behavior and parctise it by the individuals and nations as well . This abstract tries to clarify the true aspect of kindness as it was mentioned in the holy quran and sunna , so as to reflect the effect's of this understanding on the individual and society as well and to clarify the role of educational institutions how to raise the individuals to obtain this great behavior through answering the following questions:

- **What is kindness? what's its place in Islam ?**
- **What are the aspects of kindness in Islam?**
- **How can the rue imagination of kindness and its effects reflect on the individual and society?**
- **How can educational institutions contribute to raise individual to adopt this behavior?**

The researcher used in this study the inductive analytical method, dividing it into: introduction, four chapters and an end. these chapters dealt with :

- ❖ definition of kindness as a good behavior full of tenderness , humoring ,simplicity and being apart of violence ,maltreat ,harshness and severity.
- ❖ writing in details the most important aspects of kindness in Islam that are represented in the characteristics of Allah , Who sent our prophet –peace be upon him – as amerce to the whole nations , gifting the human being the brain as a means of creative thinking and guidance ,as a position of charting , giving the chance to repent during the one's life , law of Islam was built on abase of kindness pointing to the most important psychological , behavioral ,social effects that one based on these aspects .
- ❖ Clarifying the most important applications that reflect the right imagination of the aspect of kindness and its effects on individual in general as: to be kind with your self with animals and with all human beings in general. Also the herald has to be kind with his followers. On the level of the society kindness has to be spread among the family it self in the range of social relations also , muslims have to be kind even with polytheists or nonbelievers
- ❖ Pointing to the schools role in raising the individual how to deal with others from the point of kindness and how to deal with its pupils gently, and through using different teaching aids that suit their level.

Finally the researcher recommends that at the end of this abstract (study):

- to make an applicable field study that makes comparison between the usage of kind method, modern teaching aids ,curriculums with little contents and between the usage of traditional methods and the traditional curriculams .
- to make some educational studies that enable us to study the educational effects and applications of some principles and Islamic values such as piety , oversight and meditative and so on .
- to make some training seminars for teachers , some educational seminars for parents . These seminars will focus on kindness and reject any kind of violence. focusing on the idea that punishment is one educational techniques but not the most important one
- controlling the mass media ,the journals that encourage violence and family ,social separation
- reforming the school and university curriculum in a simple way , taking into consideration the questions of these curriculums that makes conflict in the pupils minds.